359

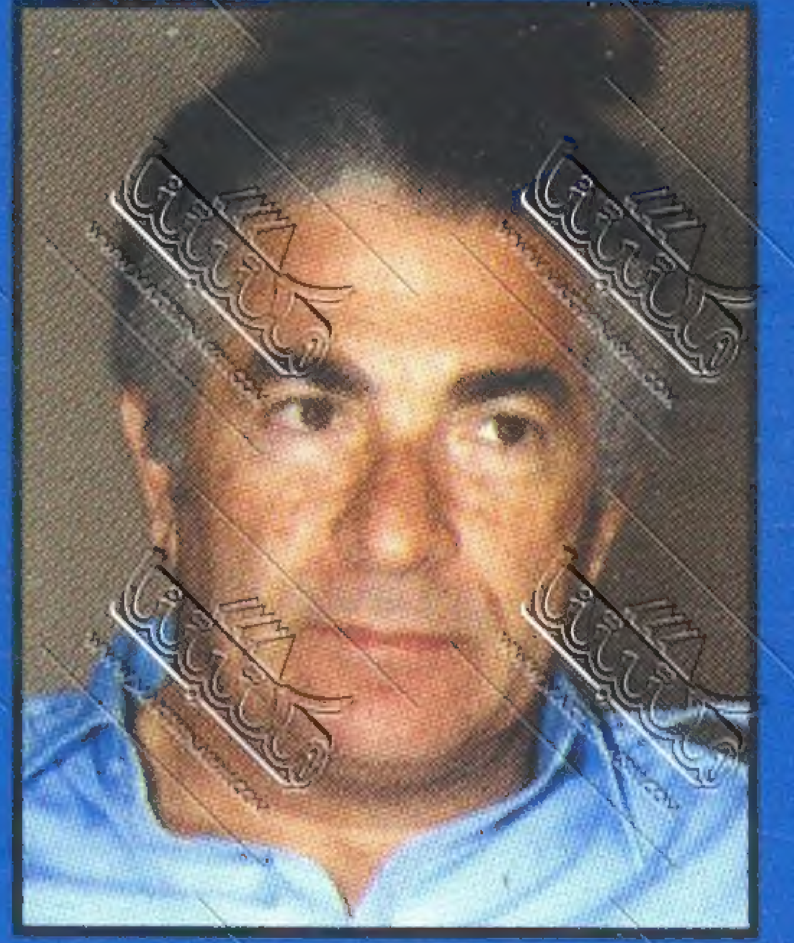


أنيس منصور

في انتظار المعجزة!







في انتظار المعجزة!

من أهم تقاليدنا الشرقية أننا في انتظار دائم للمعجزة.. وكل أجنبي هو (المهدي المنتظر) والذي يستطيع كل شيء، أما نحن فلا.. بهذه الروح انتظرنا توني بلير رئيس وزراء بريطانيا الذي حقق السلام بين البروتستانت والكاثوليك في أيرلندا الشمالية، فكيف لا يستطيع ذلك بين المسلمين واليهود؟!

ولكن توني بلير أعلن قبل أن يجيء أنه لن يحقق معجزة، وأقصى ما يقدر عليه هو أن يجعل المسافة أضيق بين الأطراف. وعندما جاء قال: لا أنا وحدي أستطيع ولا حسني مبارك وحده يستطيع أي شيء، ما لم تكن هناك رغبة حقيقية في السلام.

Sat.
18/5/2013





دار نهضة مصر للنشر

www.nahdetmisr.com

كتابنا القادم



٦٠ قصة
كما رواها النبي
صلى الله عليه وسلم



محمد بن حامد عبد الوهاب



أنيس منصور

في انتظار المعجزة!



لا شـــيء
يقـــال..

إلا هذا الكتاب! فالمثل يقول: الجواب من عنوانه. أو الكتاب من عنوانه. أما هذا الكتاب فهو عنوانه. يقول العنوان: (كل ما قام به العرب حيال جرائم الصهيونية والإرهاب الأمريكي منذ توقيع ميثاق جامعة الدول العربية عام 45 حتى الاحتلال الإنجليزي الأمريكي للعراق 2003) وبعد ذلك 550 صفحة من الورق الأبيض! أما الغلاف فأسود وعليه صورتان لبوش وصدام حسين. للمؤلف أو المؤلفة: وفاء المصري. وعلى ظهر الغلاف وجهة نظر الكتاب: إنه لا شيء يقال ولا داعي لأن يقال. وهذه الكمية من الورق الأبيض المصقول هدية لست البيت تمسح بها البلاط أو للأطفال يشخبطون عليها أو لدورة المياه! وفي القرن السابع عشر ظهر كتاب ديني من ثماني صفحات صفحتان لونهما أسود للذنوب.. صفحتان لونهما أحمر للخلاص.. وصفحتان لونهما أبيض للتوبة.. وصفحتان لونهما ذهبي للبركات الأبدية!

وفي 1738 ترك الطبيب الهولندي هرمان بيرجهاف كتابًا كبيرًا عنوانه (أسرار مهنة الطب) من 200 صفحة بيضاء. وفيها هذه العبارة: أن تكون مرتاح البال تصبح أعظم طبيب في الدنيا! أما الرجل الذي كان يكتب خطب الرئيس كارتر واسمه هندريك هرتزنبرج فقد ألف كتابه به مليون نقطة. وبس!

ولكن في سنة 1898 أصدر الكاتب الأمريكي ألبرت هابارد كتابًا بعنوان (مقال عن الصمت). وأهداه إلى محبوبته وليست في الكتاب كلمة واحدة.وإنما مئات من الصفحات البيضاء. يريد أن يقول لها: مفيش حاجة أقولها لك!

وفي سنة 1970 نشرت إحدى دور النشر الأمريكية كتابًا بعنوان: كتاب لا شيء – هذا إذا أردت أن تجعل منه شيئًا مفيدًا – وكل الصفحات بيضاء! وفي العام نفسه اتهمته إحدى دور النشر في بلجيكا بأن هذا المؤلف لص وأنه سرق الفكرة من الكاتب جان – بول ريمييه الذي جعل عنوانه: مذكرات واحد لا يتذكر شيئًا. وبعد ذلك 360 صفحة بيضاء!!

أما الكتاب المصري الذي لا يجد ما يقوله عن كل ما قام به العرب في 58 عامًا، فلا أظن أحدًا سوف يقتبس الفكرة أو يسرقها.. بل كان من الممكن أن تكتفي وفاء المصري بالغِلاف الأسود وتبعث به هدية لكل العرب. فقد عرفنا ما أراد أن يقول، أو ما لم يرد أن يقول. فنحن متفقون معه أو معها.

.. إلا ضــــرب ليبيــــا!

كتبت هنا أكثر من مرة عن محـاولات بريطانية وإسرائيلية لاغتيال صدام حسين. فشلت المؤامرة الإنجليزية في آخر لحظة. أما محاولة إسرائيل فقد استعدوا لها تمامًا... فتسلل عدد من اليهود العراقيين إلى بغداد. ثم ألغوا هذه المحاولة عندما انفجرت الصواريخ في المتآمرين فقضت على خمسة منهم في صحراء النقب: أربعة جنود وضابط. وكان يشرف على هذه المؤامرة إيهود براك، وكان رابين مترددًا في تنفيذها، بينما سلفه مناحم بيجين قد نفذ عملية ضرب المفاعل العراقي. سنة 1981.

وأيامها قال لي الرئيس السادات إن مناحم بيجين قال له في الإسكندرية إنه يريد أن يضرب مصانع الكيماويات السامة في ليبيا. فغضب الرئيس السادات قائلا: على جثتي!

فعدل بيجين عن هذه العملية! وعندما ذهبت إلى تل أبيب رأيت أحد الصواريخ سكود الـ27 التي أسقطها صدام حسين على إسرائيل. ونشرت الصحف صورتي وأنا أتفرج على الصاروخ المهزلة! فقد كان محشوًّا بالظلط والرمل. سقط وتفتت فلا هدم بيتًا ولا قتل أحدًا!!

وأطلقت إسرائيل نكتة على صدام حسين تقول: إن معظم الصواريخ نزلت على الأحياء التي يسكنها العراقيون.

ولو كانت المؤامرة اليهودية قد نجحت ومات صدام لعاش عشرات الألوف من الأبرياء... ولو كانوا قد قتلوا هتلر سنة 1930 لعاش ملايين الأبرياء... وقد جاء في حديث السيدة سميرة شهبندر الزوجة الرابعة لصدام حسين، والتي هربها إلى بيروت مع ابنها علي، أن صدام انفرد بها في أثناء الغزو الأمريكي وبكى بحرارة وهو يقول: خانوني... باعوني!

فقد كان عظيم الثقة بجيشه ورجاله وعلى يقين من هزيمة الأمريكان!

إذن صدام حسين اختار الموت الذي يستحقه: فقد ذهب به الغرور بعيدًا جدًّا في فهم قوته وإخلاص رجاله وحاشيته – يستاهل.. وكذلك كل الطغاة!

حين هاجم البوليس
مصريًا يذبح إوزة

لأن الحيوانات لا تملك الدفاع عن نفسها، وقف القانون الإنساني إلى جوارها. ففي كثير من الدول الأوروبية تنقلب الدنيا؛ لأن عصفورًا على شجرة لا يعرف كيف يطير.. أو قطة صعدت وانحشرت بين الأغصان. أو سقطت في بالوعة. والروس عندما وضعوا الكلبة لايكا في سفينة فضاء لإجراء كثير من التجارب عليها ثم ماتت فوق، هاجت وماجت كل لجان الرفق بالحيوان.. وفي الأسبوع الماضي سحبت ملكة بريطانيا اسم عالم كبير من بين أسماء المكرمين؛ لأنه لا يزال يستخدم الحيوانات في معمله – مع إنه يجري عليها تجارب من أجل الإنسان!

وفي أمريكا احتج الرأي العام؛ لأن علماء القوات المسلحة يستخدمون الأسماك في كشف المياه السامة. وذلك بأن تضيء الأسماك ثم تموت بعد ذلك.. وفي بولندا – كما نشرت الصحف العالمية هذا الأسبوع – اعتقل البوليس رجلين أحدهما اصطاد سمكة كبيرة وراح يصب في حلقها خمرًا روسيًّا رديئًا، فكادت تموت.. وسارع رجل آخر وراح يدللها ويهشكها ويصب في حلقها شمبانيا لعلها تفيق!

ومصري هاجمه البوليس في مدينة جرانس بالنمسا حاول أن يذبح إوزة. والإوزة خطفها من إحدى البحيرات. خطف الإوزة سرقها وذبحها ممنوع!

والبوليس الأمريكي طارد رجلًا حتى أودعه السجن، فقد لجأ إلى حيلة للاستيلاء على أموال سوبر ماركت.. دخل الرجل في ساعة متأخرة فوجد مدير المحل وحده. فهدده: أعطني ما معك وإلا أذبح هذه الإوزة أمامك. وانزعج الرجل من مجرد منظر إوزة مذبوحة يسيل دمها.. فأعطاه كل ماعنده. ومن طمع اللص أخذ معه الإوزة التي هربت فراح يطاردها فطاردوه وأمسكوه!

وكان الإسلام أسبق. فهناك حديث نبوي يقول: «**دخلت النار امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعًا. فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل مما في الأرض**»!

بل إن الرسول عليه الصلاة والسلام طلب الرفق بالنخيل عند قطعها. شيء عجيب فقد ثبت علميًّا وبالصور أننا عندما ننزع ورقة من غصن أو من وردة فإن باقي الشجرة يتلون. وإن الوردة كأنها تذرف دمعًا. بل أثبت العلماء أيضًا أن الفراشة إذا دنت من شجرة، فإن الشجرة تبعث بإشارة ضوئية للأشجار القريبة بأنه لا خوف. وإذا اقترب كلب تغيرت الإشارة إلى تحذير. وهي حقيقة علمية – سبحان الله!

وتحطم معها قلبي..

هذه هدية للدكتور سمير فرج رئيس الأوبرا. ففي هذا العام سوف يحتفل العالم بمرور مائة سنة على وفاة الموسيقار التشيكي أنطونين دفوراك أو دفورجاك.. وعلى وفاة الموسيقار الروسي خاتشادوريان.. وفي مثل هذا العام أيضًا من مائة سنة مات الأديب الروسي شيخوف وأديب الخيال العلمي جيل فرن والمئوية الثانية لأستاذ أساتذتنا الفيلسوف الألماني العظيم (كنت) وفي 1904 أبدع الموسيقار الإيطالي بوشيني أوبرا (مدام بترفلاي) وسحقت اليابان الأسطول الروسي واعتقل البوليس في نيويورك سيدة بلغت بها الجرأة أن تدخن سيجارة في الشارع جهارًا نهارًا؟!

والموسيقار التشيكي قد ظهرت موهبته صغيرًا. ولم يفلح أبوه في أن يوجهه إلى أية مهنة أخرى. ففي السادسة عشرة كان يعزف على الفيولينا في الفندق الصغير الذي يملكه أبوه. ثم تنقل بين الفنادق وبين العواصم الأوروبية وتدفقت إبداعاته حتى بلغت 200 تحفة للبيانو والفرقة وتسع سيمفونيات أروعها جميعًا سيمفونيته التاسعة المسماة (العالم الجديد).. أو العصور الحديثة.. وأذكر أنني تلقيتها هدية وتصادف أن سافرت مع د. مصطفى خليل إلى روما وكان وزيرًا للمواصلات وشكوت له من أن الأسطوانة قد تلقيتها بالبريد جثة هامدة – فقد اغتالها موظفو البريد. طبعًا ليس في استطاعته أن

يفعل شيئًا ونحن في الهواء ولا حتى على الأرض – بصراحة دمعت عيناي. وفي موسيقى دفوراك كثير من الألحان الشعبية.. البوهيمية والسلافية والغجرية. ثم الزنجية التي سمعها من زنوج أمريكا يوم كان مديرًا للكونسرفتوار الجديد في نيويورك.. وقد لقي دفوراك كل أنواع التشجيع من عباقرة الموسيقى في أوروبا وروسيا. وساعدوه على نشر مؤلفاته أيضًا. ورغم كثرة ما أبدع فإن القليل من أعماله هو الذي حمل شهرته إلى كل مكان. وفي بريطانيا منحوه الدكتوراه الفخرية من جامعة كمبريدج. ومن أخلاقيات دفوراك أنه كان دائم الامتنان للعظماء الذين دفعوه ودافعوا عنه.. ومن عبارات دفوراك في أحد الاحتفالات: إن الفنان هو الذي يعتقد أن فنه دين وإذا مات في سبيله فهو شهيد. ويقول: إننا نحن الفنانين أقرب مخلوقات الله إلى الله!

عزيزي د. سمير فرج إننا ننتظر منك أن ترد الهدية بأحسن منها.. في دار الأوبرا..

دينيـــة
وغيرهـــا

أليس من حقنا أن نتساءل: هل كل الجرائم.. أو كل العنف في هذه الدنيا لأسباب دينية؟ ألا توجد أسباب أخرى.. إننا قد ابتلعنا هذه الأيام أن العنف ديني. وأنه إسلامي. وأن المسلمين دمويون. وأن دينهم هو الذي يغريهم بذلك.. فما الحل؟

الحل وجده الأمريكان وأعلنوه في كل صحفهم. وهو يجب أن تتغير برامج التعليم.. أو برامج التلقين. فقد لاحظ الأمريكان ومعاونوهم وعملاؤهم وخبراؤهم أن تلقين الدين الإسلامي في المدارس، وبهذه الصورة المكثفة، لا يتيح لأي إنسان أن يفكر وإنما فقط أن يستسلم ليملأوا دماغه بالخرافات والتعصب، وتجيء العلوم الأخرى تفسد عليه كل منافذ التفكير. وهكذا يجد التلميذ نفسه مشحونًا بالدين وكراهية الأديان الأخرى – وخصوصًا الديانة اليهودية – هذا خلاصة رأي الأمريكان؟! وليس هذا سرًا. بل قد نشروا ذلك ونقلوه إلى كل الدول العربية من فم إلى أذن، ومن يد إلى يد. وكلما جاء إلى البلاد العربية زائر كبير كان حديثه الهامس: كفى دروشة.. ارفعوا أيديكم عن الصغار الذين سوف يكبرون إرهابيين! وليس سرًا كل ما أقول.. وقد تسارعت دول عربية في تعديل برامج الدراسة الدينية.. ويضربون مثلًا لذلك أن مسئولًا أمريكيًا كبيرًا استدعى أحد الأطفال وفاجأه بهذا السؤال: ماذا تفعل لو وجدت يهوديًا

في بيتك؟ فأجاب الطفل بسرعة: أقتله... وقال المسئول الأمريكي: ولكنه لم يفعل شيئًا ضدك أو ضد بابا وماما.. فلماذا؟

فقال الطفل: كده وخلاص!

وتوقف المسئول الأمريكي عند (كده وخلاص) ووجد فيها ما يبحث عنه... إنها الكراهية قد تعمقت بلا سبب عند الأطفال وتوارثوا التعصب.. ودون أن يدري الأطفال أصبحوا أعداء لليهود وللمسيحيين واليوم للمسلمين.. وهذا هو الإرهاب العالمي؟!

الأمريكان هم الذين يقولون ذلك.. ولكن هناك أسبابًا أخرى قوية جدًّا. هناك أكثر من سبب في فلسطين وأفغانستان والعراق. ثم إن في إسرائيل متعصبين أيضًا يتظاهرون بالحجارة، وقد قتلوا رئيسهم رابين، وعلى استعداد لأن يقتلوا شارون إذا توقف عن قتل الشعب الفلسطيني.. ثم إن الرئيس بوش متعصب أيضًا. إنه أول من وصف العنف بأنه بداية الحرب الصليبية.. وكانت بالأمس وسوف تبقى غدًا..

عمـــل
جليـــــل..

تصحيح غلطة بهذا العنف يكون غلطة أعنف. يعني إيه؟ في مؤتمر صحفي لمارك جروسمان وكيل الخارجية الأمريكية أعلن عن هيئة جديدة مهمتها أن يتعلم الأطفال ما الذي فعله هتلر باليهود.. وكيف أنه أحرق منهم مليونًا ويقال ثلاثة ويقال ستة. مش مفهوم؟ أنا أقول لك..

هـذا الرجل جروسمان عندما علم أبـواه أنـه سوف يعمل في الخارجية الأمريكية راحا يتلقيان العزاء فيه. فليس هذا هو الأمل الذي كانا يحلمان به. إنهما يريدانه أن يعمل شيئًا من أجل أبناء جنسه ودينـه: يهود إسرائيل ويهود العالم. فلما عـرف الأبـوان بمشروعه الجديد تطلعا إلـى السماء يشكران الله على ما أنعم به عليهما وعليه. أما العمل الجديد فهو تبصير العالم كله بما فعله هتلر في اليهود. والأمل ألا يتكرر ذلك في أي مكان. وكانت فكرة. وأصبحت الفكرة برنامجًا للعمل في 55 دولة. أما البرنامج فهو تلقين الأجيال القادمة جريمة النازية في إبادة الشعوب اليهودية في أوروبا! وكان رد الفعل الأوروبي على هذا المشروع أن أسفرت استفتاءات الرأي على أن دولة الشر هي إسرائيل وأن أشرار الأرض هم اليهود المتعصبون الذين لم يشبعوا من الدمار والدماء. ولكن مارك جروسمان ماض في

مشروعه بالضغط على أطفال أبرياء واعتصار عيونهم حتى يبكوا على من لا يعرفون ويشفقوا على من لم يروا. ثم فرض ماضي ألمانيا على حاضر الدنيا كلها.. وهي أكبر غلطة تقع فيها إسرائيل أو أمريكا نيابة عن إسرائيل، لأن تعميق الكراهية والعداء وشهوة الانتقام عند الأطفال ضد الألمان والعرب وكل الشعوب الأوروبية: جريمة جديدة من أجل القضاء على جريمة قديمة.

بينما العلاج عن الجريمتين هو أن تعطي إسرائيل للشعب الفلسطيني حقه المشروع. وأن تسحب دباباتها وطائراتها من فوق الأرض الخراب..

فالخراب في البيوت والمزارع والنفوس.. ولا علاج لكل هذه الشرور إلا بالسلام العادل.

سبحـــــان
اللـــــه..

رأيي الشخصي – هذا أروع كتاب صدر هذا العام. وهو الكتاب الوحيد الذي لا تستطيع أن تقاوم إغراءه وجماله وروعته. إنه صورة متواضعة برغم جمالها وفتنته من عظمة **الله** سبحانه وتعالى. هذا الكتاب الذي لا أمل النظر فيه وإليه وتقليبه والدهشة لا تفارقني ولن يفارقك اسمه: الكون في 365 يومًا. الكتاب ليس في حاجة إلى كلام كثير.. يكفي جدًّا أن تجد سطرًا أو سطرين تحت كل صورة. الصور من اختيار العالمين الكبيرين: روبرت نيمروف وبيري نوفل. لم أقرأ عنه ولا رأيته ولكنه جاءني هدية من صديقي د.عزت عطية بشركة (ألكون) العالمية للعيون في سويسرا. ومن منشورات دار (ثايز وهدسون) ..فما هذا الكتاب؟ إنه صور التقطتها سفن الفضاء وكذلك المراصد المدارية حول الأرض والعدسات التي تركها رواد الفضاء فوق القمر وألقت بها سفن الفضاء فوق المريخ وفوق أقمار حول كوكب المشتري. فما الذي في هذه الصور الملونة والتي اختارها المؤلفان من مئات ألوف الصور. والتي تكونت من الصور الصغيرة وقد أمكن جمعها وضمها وتذويبها بعضها في بعض. فكانت هذه اللوحات السماوية للكون الذي حولنا..

فما هذا الذي حولنا؟ انظر إلى الصور وتأمل.. كل يوم وسوف تجد نفسك كأنك في صلاة من القلب والعقل وتقول: **الله**.. ما أعظمك! ما

أحكمك! ما أروعك! وما أصغرنا! وما أحقرنا! وما أهون أمرنا على الكون من حولنا! وما أقل الذي نعرفه ونفرح به إذا قورن بهذا الذي لا نعرفه! ما الذي نتخيله في هذا الكون العظيم أو في هذه الأكوان التي لا عدد لها ولا نعرف لها أولًا ولا آخرًا.. ولا بداية ولا نهاية..

وكل شيء من تراب ونار وشرار ودخان وجليد.. وكل شيء مشدود بالجاذبية وكل شيء مربوط بعضه ببعض وكله يدور حول كله.. وكل في فلك يسبحون.. ما المعنى؟ ما الحكمة؟ ما الحياة؟ ما الموت؟ أين نحن؟ وإلى أين؟ وإلى متى؟ وكيف؟ ولماذا؟

سبحان الله، تأمل وتفرج وتوقف وابتهل واشكر واحترم وتواضع أمام الجلال والجمال والروعة ـ فلا أعظم ولا أبدع!

السفاح
كولمبوس

عندما احتفل العالم بمرور خمسة قرون على اكتشاف كولمبوس لأمريكا، احتج الهنود في أمريكا. فقد كان كولمبوس سفاحًا مجرمًا. ثم إن اكتشاف أمريكا أتى للعالم الجديد بكل أمراض العالم القديم.. وطالبوا بأن تعتذر الدول الأوروبية للزنوج الأفارقة والزنوج الأمريكان وللهنود الحمر عن هذه الجريمة. وعندما تذكرت أمريكا غرق أسطولها في ميناء بيرل هاربور طالبوا اليابان بأن تعتذر لأمريكا. كما طالبت تشيكوسلوفاكيا من بريطانيا أن تعتذر لها عن هدم مدنها وقتل أهلها في الحرب العالمية الثانية.

ولا أمريكا اعتذرت عن ضرب اليابان بالقنابل الذرية، ولا اليابان اعتذرت عن إغراقها الأسطول الأمريكي. واكتفت كل هذه الدول بأنها حركت المواجع وتعالت الصدور بالآهات على ما كان، حتى لا يكون مرة أخرى.. والإنجليز يتساءلون هل يستطيع توني بلير في أكتوبر سنة 2005 أن يحتفل بمرور مائتي سنة على أعظم انتصار بحْري في التاريخ على الأسطول الفرنسي في موقعة الطرف الأغر؟ هل يحتفل توني بلير بتحطيم كل آمال نابليون في غزو بريطانيا وإعلان نفسه سيدًا على بحار العالم؟! هل يستطيع بلير أن يضع ملحًا على جرح الكرامة الفرنسية؟. بعض الدول أعلنت استعدادها لتخليد ذكرى النصر وذكرى أعظم قادتها اللورد نلسون. فأمريكا سوف تبعث بأساطيل

بحْرية وإسبانيا أيضًا.. ثم إن دولًا أخرى كثيرة سوف تساهم في هذه المظاهرة العالمية في البحر وفي ميدان الطرف الأغر في لندن حيث يرتفع عاليًا جدًّا تمثال اللورد نلسون الذي مات متأثرًا بجروحه عندما أصابه أحد القناصة الفرنسيين!

أذكر أن سفير إسرائيل ساسون قد ذهب إلى الرئيس السادات يرجوه ألا يكون يوم احتفال مصر برفع العلم على سيناء لأنه يوم حداد في إسرائيل.

فأمر الرئيس السادات بأن يكون الاحتفال متواضعًا حرصًا على السلام الوليد بين الدولتين.فهل يفعل توني بلير ذلك حرصًا على العلاقات الفرنسية التقليدية؟ العقل يقول: ممكن وأفضل!

إسرائيــل:

أكبــر حـارة يهــود

خط بارليف لم يمنعنا من العبور.. ولا قناة السويس منعت طائراتهم.. لا منعتهم من العبور ولا منعتنا من الانتقال من أرضنا إلى أرضنا.. ورغم أن هذه بديهيات عسكرية، فإسرائيل ماضية في بناء حائط شارون..

وفي القرن الماضي وجدنا الفرنسيين قد أقاموا خط ماجينو سنة 1929.. تيمنًا باسم وزير الدفاع أندريه ماجينو. والتف حوله الألمان سنة 1940 وأسقطوا خط ماجينو..

ثم أقام الألمان خط سجفريد سنة 1933 على حدودهم الغربية.. ثم انهزموا أمامه في سنة 1944.

والروس أقاموا حائط برلين ليعزلوا برلين عن ألمانيا الغربية.. وجعلوه أول الأمر من الأسلاك الشائكة والدشم.. ثم رفعوه من الخرسانة المسلحة سنة 1961 بطول 120 كيلو مترًا وارتفاع خمسة أمتار.. وكهربوه.. وتفنن الألمان في الهرب بالبالونات وفي بطون السيارات وتحت الأرض وتحت الماء.. ومات الألوف واستمرت الهجرة من الشرق إلى الغرب.. وسقط حائط برلين سنة 1989 وسقطت روسيا في أوروبا.. وبعد ذلك سقطت روسيا في روسيا وتفككت إلى دول معادية للشيوعية..

ورغم أن هذه كلها معلومات أولية يعرفها أي طفل يدرس التاريخ ويعرفها شارون والشعوب اليهودية في إسرائيل إلا أنهم ماضون في بناء حائط شارون. وهم يعلمون أنه سوف يسقط.. إن لم يكن قد سقط فعلًا.. فإنه لن يحميهم من القنابل والصواريخ واللعنات عليهم في المساجد والكنائس أيضًا. ولكن لماذا؟!

هناك نظريات. واحدة تقول إن اليهود اعتادوا أن يعيشوا بسبب الخوف في (حارات اليهود) في كل الدنيا.. فلما أقاموا إسرائيل لم تكن هذه الدولة قادرة على حل مشاكل الخوف والقلق وعدم الشعور بالأمن والفشل في التعايش السلمي. فكانت إسرائيل أكبر (حارة لليهود) ..فهي جزيرة محاطة بالكراهية من كل الجهات.. وبدلًا من أن يتحقق السلام في المنطقة لها ومعها، فقد تضاعف العداء لإسرائيل والكراهية.. وأصبحت إسرائيل هي مصدر العنف والتعصب في المنطقة وفي العالم أيضًا.. وبغريزة الخوف القديم أقاموا الحائط ليحمي (دولة الحارة) !!

والمجرم الأول شارون، نسأل الله أن يكون الأخير!

دنيـــاي
آخرتـــــي!

الحمد لله.. فهناك ما هو أسوأ من ذلك.. صحيح أنني لا أستطيع أن أنام في اليوم الواحد أكثر من أربع ساعات، وفي معظم الأحيان أقل من ذلك كثيرًا.. لماذا؟ لا أعرف.. ولماذا ينام الكثيرون أضعاف ذلك؟ لا أعرف.. فهذا هو أقصى ما أستطيع، فقد اعتدت على ذلك، ولم تنفع كل أنواع المهدئات والمنومات، وفي بيروت قابلت طبيبًا أمريكيًا يعالج أحد الزعماء العرب، شكوت له، قال: وماذا تتعاطى؟ قلت: أحيانًا حبوبًا منومة.. سألني عن اسمها قلت له: وسألني: وإذا توقفت عن تعاطيها هل تجد صعوبة في النوم؟ قلت: لم أجرب ذلك.

ولما عرفت منه أن بعض المنومات تؤدي في النهاية إلى فقدان الذاكرة تمامًا، كما أن الاعتماد على العصا أو العكاز في المشي يضعف عضلات الساقين، قررت أن أتوقف عن تعاطي المنومات مع أنها لم تكن تضيف إلى ساعات نومي أكثر من نصف ساعة، وأفسدت على نفسي كل أيام وليالي بيروت.. فقد كنت صاحيًا نائمًا لا أرى ولا أسمع ولا أتكلم، فقد أجلت كل شيء، أو أصبحت إنسانًا (مؤجلًا) !

وتعبت.. وتداخلت صور الناس في عيني، والليل والنهار، والجوع والعطش وشاشة التليفزيون والصفحات، وتحول كل شيء إلى طيف.. إلى ظل.. إلى شبح.. وأصبحت دنياي آخرة.. تمامًا كأنني انتقلت إلى العالم الآخر.. وأدهشني ذلك جدًّا.

ووجدت أن الامتناع عن المنومات كان ضروريًا، فلم أكن أعرف أنها استقرت في أعصابي وأصبحت ضرورة حيوية، ولم أكن أدري.. وطلبت الطبيب الأمريكي وقلت له، وأكدت له أن أحدًا لم يلحظ أي تغيير في سلوكي أو عزوفي عن الطعام والحوار والقراءة.. ولم أسأل إن كان صحيحًا ما قاله الطبيب الكبير عن الآثار الجانبية القوية للمنومات، ولكني قررت بعد أن اقتنعت ورضيت بالقليل..

وحمدًا لله الذي لا يحمد على مكروه سواه.. فإن كنت أيضًا هذه حالك فجرب ولا تخف!

فاطمة
عبد اللـــه

لابد أن أعجب بالسيدة فاطمة عبدالله. فقد دفعها حب مصر وتاريخها إلى أن تختار أروع ما كتبه الفرنسيون عن معشوقتهم العظيمة: مصر الفرعونية.. فإذا كانت مصر هبة النيل؛ فإن مصر الفرعونية هي هبة فرنسا.. وحب الأستاذة فاطمة عبدالله لمصر، هو عشق.. عبادة.. إنها وحدها قد قررت أن تقدم حبها لا آهاتها ولا دموعها وإنما قدمت أروع ما كتب الفرنسيون عن مصر وعن آثارها وتماثيلها وبردياتها.. وعن ملوك وملكات وغراميات وسحر مصر الفرعونية. وأحدث ما قدمت الأستاذة فاطمة عبدالله إلى القارئ العربي كتابان: الفن والحياة في مصر الفرعونية في 440 صفحة للباحثة كلير لالويث من مطبوعات المجلس الأعلى للثقافة. وكتاب (السحر والسحرة عند الفراعنة) في 450 صفحة للباحث إيفان كونج من مطبوعات الهيئة العامة للكتاب.

والذين يكتبون عن مصر الفرعونية أو يترجمون، هم عشاق مصر القديمة. وهم لا يبغون الراحة ولا الكسب ولا الشهرة ولا الشعبية. إنهم عشاق أحبوا وتعذبوا وتفانوا، ويرضيهم ذلك. وعلى الرغم من أن الباحثين الفرنسيين يستمتعون بالشهرة والمال وعظيم الاحترام في بلادهم فإنهم في بلادنا لا يعرفهم أحد. فعدد قليل من المثقفين عندهم الصبر على مغامرات العلماء والعشاق الفرنسيين. ولابد أن

تكون الأستاذة فاطمة عبدالله قد تجاوزت في حبها لأجدادنا الفراعنة كل حدود الحب إلى العبادة. فالكتابان الآخران في غاية الصعوبة. ولقد أشفقت عليها من قراءة وفهم وترجمة موضوعات السحر عند الكهنة المصريين التي يلفها الغموض والصعوبة – فما أكثر الأسماء والتعبيرات والتعاويذ. ولكن ظهور هذه الموسوعة عن السحر يؤكد اقتدار السيدة فاطمة عبدالله على اجتياز كل هذه الصعوبات وارتياد ظلمات وبخور المعابد الفرعونية.. ودهشة القارئ لا تنتهي لأجدادنا الفراعنة الذين سبقوا كل الأديان وكل الحضارات ولمسوا أبراج السماء وأعماق الأرض وغياهب النفس الإنسانية وتربعوا على عرش المعمار والطب والكيمياء – شكرًا للأستاذة فاطمة عبدالله..

لا أحـــد
طبيعـــي

العادي: ألا تكون عاديًا. الطبيعي: ألا تكون طبيعيًا. فالإنسان العادي لا وجود له. وإنما نحن أشكال وألوان وأحجام وأوزان ودرجات متشابهون ومختلفون. ومع ذلك فنحن بشر..

بل الواحد منا.. ليس على حالة واحدة طوال اليوم. فأنت عندما تنهض من النوم تحاول أن تؤهل نفسك ليوم جديد.. أو لاستئناف الحالة التي كنت عليها بالأمس.. أو الهرب منها. يعني إيه؟ يعني أن ما كان بالأمس لا يمكن التخلص أو التملص منه.. وقد تذهب إلى عملك وأنت (مقريف) فيكون من نتيجة ذلك أنك تتخانق مع زملائك أو عملائك. أما السبب ففي البيت.. أي ما كان بينك وبين زوجتك وأولادك أو البواب أو السايس أو أن أحدًا داس لك على طرف في الأتوبيس.. وفجأة تجد نفسك إنسانًا آخر. وقد تغلط ويترتب على غلطك أن تغلط أكثر وأكثر وتجد نفسك مفصولاً من عملك!

وما حدث لك في هذا اليوم يحدث لآخرين وبصور مختلفة.. ففي اليوم الواحد تجد نفسك على حالات مختلفة ومتناقضة. وأنت نفس الشخص..

هناك قصة تقول: إن عربة متجهة إلى مكان بعيد. والعربة تعطلت لأن الحداد كان يصنع لها مسمارًا. ولم يجد المسمار فتعطلت العربة

وتعطل البريد وفـي البريد خطاب من طبيب لعلاج مريض وهذا المريض لم يكن يعرف أن حالته خطيرة فلم يتمكن من كتابة وصية لأولاده. ومن بين الأولاد واحد كان قد وعد فتاة بالزواج. وانتظرت وضاقت. أما المريض فمات وأما البنت فانتحرت. والسبب مسمار الحداد. والمعنى؛ أن شيئًا يترتب على شيء وأن حالة تترتب على حالة وأن الإنسان كائن له حالات.. كأنه أكثر من واحد في جلباب واحد. هل هذا طبيعي؟ نعم طبيعي..

ليس هذا فقط. وإنما أنت في كل الأحوال أكثر من واحد: أنت زوج وأنت أب وأنت ابن وأنت صديق وأنت عدو.. وأنت كل حاجة لأولادك وأنت ولا حاجة لبقية الناس.. وقد تكون ابنًا بارًّا وأبًا قاسيًا وزوجًا خشنًا وجارًا لطيفًا ورئيسًا رذلًا – وأنت شخص واحد. ولكن تصرفاتك كل يوم تدل على أنك أكثر من واحد في واحد. هل أنت إنسان عادي؟ نعم. هل أنت طبيعي؟ نعم..

بفلوسهم
يخافـــون..

كأن الناس سعداء بهذه الجرائم. لأن هذه الجرائم تنعش روح الفضول بين الناس والرغبة في الشماتة في الأغنياء والمشاهير. فالحياة مملة راكدة آسنة.. فإذا انطلق عيار ناري في الشارع أو انفجر كاوتش السيارة. فإن هذا الصوت يحشد الناس حول شيء.. وفجأة يغير الناس اتجاههم وينظرون إلى مصدر الصوت أو مكان الجريمة. والناس ليست لديهم أية رغبة في مساعدة أحد أو التعاطف معه. وإنما هناك نوع من الامتنان الخفي.. لأن الصوت قد أنقذهم من أنفسهم. وأخرجهم من الملل.. فوقفوا متحدين يتفرجون!

وليس غريبًا أن يتزاحم الناس على أفلام الرعب والجريمة. لكي يجلسوا ويتفرجوا ويصرخوا ويبكوا.. كأنهم بفلوسهم وبكامل قواهم العقلية يحرصون على الصراخ والبكاء.. أي الإفلات من قبضة الملل والحياة الرتيبة والركود العقلي واللاطعم واللارائحة لهذه الدنيا! وكأن آلهة الإغريق يجلسون معًا في قمة جبل الأوليمب.. حياة أبدية مملة. ولذلك كانوا يهربون من ألوهيتهم ويتنكرون في جلود الإنسان والحيوانات.. يقتلون ويسرقون ويخطفون. لقد كانت آلهة الإغريق يحسدون الإنسان على أنه يمرض ويقاتل ويعيش ويموت.. ويحب ويكره.. لقد ضاق الآلهة بالملل! والأساطير الإغريقية تحكي لنا كيف يتحول الآلهة إلى حيوانات وإلى عواصف وبراكين في صراع مع

الإنسان.. والآلهة يستمتعون بمقاتلة الإنسان وقتله.. وآلهة الإغريق ينافسون الإنسان على قلوب الجميلات.. ولذلك فهناك آلهة وهناك أنصاف آلهة وهناك أبطال يحسدهم الآلهة..

ومذبحة الزمالك تكونت فيها كل عناصر الإثـارة والتشويق والشماتة والرغبة في الانتقام. وهي أهم الأخبار التي يتحدث بها الناس.. فقد كان ينقصهم خبر مهم.. فضيحة.. جريمة.. وأن يقيموا لأنفسهم حفلة يشكرون فيها الله على الستر: فلا هم أغنياء مجرمون ولا هم مشاهير ضحايا.. وإنما هم مستورون.. التف حولهم الفقر والظل والانزواء بعيدًا عن المسدسات والكاميرات والشاشات.. وأحسن من الشرف مفيش – والحمد لله على كده. وما أصاب الأغنياء والمشاهير يستحقونه هم أخذوا حقهم والناس أخذوا متعتهم وفي انتظار فضيحة جديدة!

ليس دفاعًا عن صدام

كان الرئيس بوش في كلمته إلى العالم واعيًا لما سوف يحدث في العراق بعد صدام – وإن كان (بعد) صدام هذه قد بدأت عند دخول القوات الأمريكية. ولكن الوحيد الذي لم يصدق ذلك هو: صدام حسين. ولهذا استسلم ضحية لسوء فهمه وغروره وثقته العمياء الصماء في الجيش وحزب البعث (القائد الرائد) والشعب الذي أباده! ولذلك أشار بوش في كلمته القصيرة البليغة إلى أن العنف لن يتوقف. لماذا؟ لأن الشعب لم يكن يدافع عن صدام وإنما هو ضد الاحتلال. فلا فرق بين الأمريكان وصدام حسين. فكلاهما متسلط على العراق ولكن بشكل آخر.. احتلال للأرض والبترول والإرادة والكرامة والحاضر والمستقبل..

ولولا المقاومة العراقية العنيفة ما فكر الأمريكان بهذه السرعة في تسليم البلاد لأهلها، برغم الملايين التي أنفقوها وبرغم المخابرات التي يسيطر عليها العراقيون اليهود. ومهما يحدث في الشارع العراقي فلن يؤدي ذلك إلى خروج الأمريكان. طبعًا لا. فقد جاءوا ليبقوا في كل الخليج العربي جنوبًا وبحر قزوين شمالًا.

وإذا كان الرئيس بوش قد أمر إحدى الشركات التي يرأسها نائبه تشيني بإعادة الملايين التي استولت عليها من العراق. فهو قد حقق العدل، وفضح في الوقت نفسه استغلال نفوذ نائب الرئيس.. وهو ما سوف تفعله شركات أخرى سرًّا بعد ذلك!

وإذا كان توني بلير رئيس وزراء بريطانيا قد أعلن أنه ضد إعدام صدام حسين فلم يكن ذلك رحمة بالطاغية العراقي، وإنما الدستور البريطاني يحرم الإعدام.

وكل الذين هنأوا أمريكا على اعتقال صدام قد تمنوا أن يؤدي ذلك إلى الاستقرار والوحدة.. وليس إلى تمزيق العراق إلى (ألوية) أو دويلات أو اتحاد فيدرالي بين دولة الأكراد في الشمال، ودولة السنة في الوسط. ودولة الشيعة في الجنوب.

وسوف تتوالى فصول المأساة العراقية الدموية.. ولن تجف الدماء لا في العراق ولا في فلسطين.. وأماكن أخرى!

وطني
وليس إنسانيًّا

يا ولداه.. طفلة عراقية مريضة اسمها (بسم الله). هذه الطفلة نقلوها من العراق لعلاجها في إسرائيل. عمل إنساني. شكرًا. ولكن ليس هكذا تفكر إسرائيل، ولا بهذه السهولة يعالجون طفلة مريضة. لا اختيار لها في أن يتم علاجها في أي بلد عربي أو غربي أو أمريكي. نقلوها طبعًا في طائرة إلى الأردن ومنها إلى إسرائيل. ودخلت المستشفى. ونشرت الصحف أن الطبيب الذي أشرف على علاجها هو عراقي هاجر إلى إسرائيل هو وأسرته واحد واحد. وأن الرجل كان سعيدًا بأداء هذا العمل الوطني – أي عراقي يعالج عراقية. وليس عملًا إنسانيًّا! وبحثوا فوجدوا أن والد الطفلة أو عمها أو جدها قد حارب ضد إسرائيل في حرب الاستقلال سنة 1948. وأن هذا الرجل كاد يموت لولا أن أحد الأطباء اليهود هو الذي أنقذه.. يعني؟.. لولا أنهم أنقذوه من الموت ما جاءت هذه الطفلة. فهم أصحاب الفضل عليها في المرة الأولى وفي المرة الثانية. يعني إيه؟

يعني أن دوافعهم الإنسانية قديمة وأنها لا تزال مستمرة. ولكنهم في الوقت نفسه لا يستبعدون بل يتوقعون أن هذه الطفلة عندما تكبر ويكون لها أولاد سوف يلعنون اليوم الذي ذهبت فيه أمهم إلى إسرائيل وأنهم على استعداد لقتل الطبيب الذي أنقذ أمهم؟!نعود إلى بداية هذه الحادثة. لقد استغلوا هذه الطفلة في الدعاية.. فأفسدوا

العمل الإنساني الذي لم يكن من الصعب أن ندركه من أول لحظة.. ولكنهم جعلوها مادة للدعاية لهم بأنهم أهل رحمة ولطف وأن الرحمة فوق العداوة.. وبدلًا من أن نتهامس بالامتنان لهم، فإنهم يجعلون الناس يجاهرون بالقرف والكراهية.. وبدلًا من أن يقولوا:

بسم الله فإنهم يقولون: أعوذ بالله! غلطة من ؟ ليست غلطة أحد بالذات. ولكن إسرائيل نجحت في القضاء على كل أمل في حسن الجوار والتعايش والسلام طريقًا إلى الحد الأدنى من التطبيع.. وبدلًا من أن تنكمش مساحة الكراهية والتعصب ضدها، فإنها دفعت حدود القرف منها إلى الوراء حتى انتشر من جديد في أوروبا.. لقد خسرت إسرائيل كثيرًا جدًّا. ومن الصعب أن تسترد هذا الذي فقدته.. لقد دخلت إسرائيل عصر التعصب ضد السامية – أبشع مما كان في ألمانيا النازية.. وهي في حاجه إلى قرون لكي تصلح هذا الذي أفسده شارون!

خــــــرج
علـى النـص

صدام مثل كل الطغاة: مغرور جاهل جبان؛ فقد توهم أن جيشه من الأشاوس والمغاوير والنشامى سوف يكونون سترًا وغطاء له ضد العلوج الأمريكان، ولكن الجيش استسلم وسقطت بغداد وقبضوا الثمن، وسوف يقبضون ثمن صدام، وقد نسي صدام أن العراقيين قد قتلوا قبل ذلك الملك فيصل والأمير عبد الإله ونوري السعيد والرئيسين عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف، وعندما قام بتهريب زوجته السورية سميرة شاهبندر وابنهما علي (21 سنة) إلى سوريا ومنها إلى لبنان ومعهما شنطة بها سبائك ذهبية وخمسة ملايين دولار، لم يكن يصدق ما يذاع على كل الشبكات من انتصار القوات الأمريكية على جيشه ورجاله..

وهو جبان لم ينتحر مثل هتلر، ولم يحاول الهرب مثل موسوليني، وإنما استسلم مثل شاوشيسكو لتكون له نفس النهاية.

وإذا كان الرئيس بوش الأب قد طارد الرئيس نورييجا من سفارة إلى سفارة ثم خطفه وأودعه السجن، فإن الرئيس بوش الابن قد طارد صدام ثمانية أشهر حتى وجده في أحد الجحور، وكان صدام كما كان نورييجا حليفًا لأمريكا، ولكنه خرج على النص المكتوب كما خرج بن لادن أيضًا، فالرئيس نورييجا كان من رجال المخابرات الأمريكية تحت قيادة بوش الأب، وصدام قد ساعده الرئيس ريجان

بالفلوس والسلاح وكان مفتونًا به، وقد بعث الرئيس بوش بالسفيرة أبريل جلاسبي تطلب إلى صدام ضرب الكويت فقط، ولكن صدام ضرب السعودية أيضًا، ثم انقلب على أمريكا كما فعل بن لادن فكان جزاؤهما جهنم!

اما استسلام صدام حسين فلأنه أصيب بغيبوبة تامة فقد انفضت الدنيا من حوله.. لا جيش ولا شعب ولا أولاد ولا زوجة ولا خدم ولا حشم، فحكم على نفسه بأن يعيش مثل أهل الكهف، وأن يرتد فأرًا في جحر على نهر الدجلة، حتى كتب له الأمريكان عمرًا ثانيًا ـ أرذل العمر وأحط الحياة ليموت بأيدي ضحاياه وبالقانون والعدل الذي حرمه على الملايين!

صح يا ريس!

صح يا ريس! فقد قابل الرئيس مبارك الرئيس الإيراني خاتمي.. فالذي بين الدولتين المسلمتين كثير.. وأعتقد أنه ليس من الإسلام بكل مذاهبه ما يحرم أن تأوي مصر إمبراطورًا مريضًا ضاقت به وعنه الدنيا.. ولم يكن الإمبراطور في ذلك الوقت يملك نفعًا ولا ضرًّا لنا أو لإيران.. فلا أخفى ثروة له في مصر ولا تركها لنا.. يكفي أن انطبقت عليه الآية الكريمة: ﴿**مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ**﴾ (المسد: 2) وبإيواء عزيز قوم ذل ظهرت مبادئ الإسلام السمحة.. وظهرت أيضًا سفالة كثير من الدول التي كانت تسبح بحمده ليلًا ونهارًا.. فعندما كان الرئيس كارتر يرقص مع الإمبراطورة في الكريسماس وعندما كان يهمس لها: إن إيران جزيرة الأمان في الشرق الأوسط.. كان مندوب المخابرات الأمريكية يستعد لاستقبال الإمام الخوميني القادم من باريس!!

وفضل الفرس على الحضارة الإسلامية عظيم في كل فروع المعرفة: في الفلسفة، والأدب، والشعر، والنقد، والعلم.. ولولا الفرس ما اتخذت الحضارة العربية والإسلامية مكانها الرفيع بين الحضارات.

ومن أجل الكثير الذي كان والذي من الممكن أن يتضاعف، امتدت يد الرئيس مبارك مصافحًا رئيس إيران ليستأنف علاقات أعمق وأبقى.. صح يا ريس!

ومقابلة سيلفان شالوم وزير خارجية إسرائيل صح يا ريس! ومقابلة شارون أيضًا.. فنحن جربنا الجسور التي تمتد فوق المشكلات حين ذهب الرئيس السادات في خطوة تاريخية فريدة إلى قلب إسرائيل وإلى برلمانها يكرر كل كلمة قالها في مصر عن مصر وعن العرب وعن فلسطين.. ولولا هذه الخطوة ما كان سلام بيننا.. ولا كان هناك أي أمل في السلام غدًا مع فلسطين.. فقد تواجهنا وتصافحنا وجلسنا واختلفنا ومزقنا الأوراق وتعالت الأصوات وهددنا وهددونا واتفقنا.. ولابد أن نتفق.. فلنا مصالح ولهم أيضًا.. وليس ضروريًا أن نطبع قبلة هنا ونتلقى قبلة هناك.. فليس عشقًا للذات اليهودية ولا للذات المصرية.. إنها مصالح.. لنا عندهم ولهم عندنا.. وبس.. إلى أن تنحل المشكلات وإلى أن تتحول خريطة الطريق الدائري حول السلام إلى خريطة الطريق المستقيم إليه.. غدًا أو بعد غد.. فالسلام يساوي ما نلقاه منه ومعه ومن أجله من عناء.. إننا ننعم بالسلام من ثلاثين عامًا ونريده ثلاثين قرنًا!

مبعوث
العناية الإلهية

يقال إن كل رئيس أمريكي له مثل أعلى:

الرئيس جونسون مثله الأعلى روزفلت..والرئيس كلينتون مثله الأعلى كيندي.. والرئيس بوش الأب مثله الأعلى إيزنهاور..

والرئيس بوش الابن مثله الأعلى ريجان. وكان ريجان رجلاً متدينًا وكانت زوجته تؤمن بالخرافات.. بالسحر والعملات وتحضير الأرواح وسؤال العرافين عن كل خطوة في حياتها أو حياة زوجها. ويقال وكان لا يعصي لها أمرًا! وكانت لريجان علاقة متميزة بمرجريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا. ولولا مساعدته لها في حرب جزر فوكلاند ما انتصرت في وقت قصير على قوات الأرجنتين. وكانت لها علاقة غريبة مع الرئيس ميتران.. وكان يهاجمها وكانت هي أيضًا. وهو قال إن لها شفتي مارلين مونرو وعيني السفاح كاليجولا.. والصواريخ الفرنسية المعروفة (إكزوسيه) هي التي أغرقت قطعًا من الأسطول البريطاني. فذهبت تاتشر إلى ميتران ترجوه أن يجد لها حلًا. فأعطاها أسلحة فرنسية مضادة للصواريخ الفرنسية!

والرئيس بوش يستأنف العلاقة القوية بين أمريكا وبريطانيا بعلاقة متميزة مع توني بلير رئيس وزراء بريطانيا.. ولا يجد عنده أية رغبة في تدعيم علاقته بفرنسا التي تتزعم هي وألمانيا المعسكر الأوروبي الرافض للنفوذ الأمريكي..

والرئيس بوش الابن لا يخفي تدينه العميق، ولا يخفي أن العناية الإلهية قد اختارته ليهزم الشر وينشر العدل – الديمقراطية الأمريكية بالصواريخ – مستهلًا عصرًا جديدًا للحروب الصليبية؟! فهل أراد الرئيس بوش الابن أن يقوم بهذا الدور الكريه؟ هل هي زلة لسان.. لا.. ولكنهم ضحكوا عليه وقالوا: إنه هو المهدي المنتظر الذي جاء ليملأ الأرض عدلًا بعد أن امتلأت ظلمًا. وأن أحداث سبتمبر إذا لم تكن قد وقعت في ذلك الوقت، فإن السماء كانت ستدبرها في أي وقت آخر وفي أي مكان آخر.. المصيبة أن الرئيس بوش قد صدق هؤلاء الدجالين حوله وفي كل مكان!

نوبـــل
للسيــدة مبــارك

هل ممكن أن تفوز السيدة سوزان مبارك بجائزة نوبل للسلام؟ ممكن جدًا. فكثيرات من الحاصلات على هذه الجائزة قد قدمن لبلادهن وللإنسانية أقل كثيرًا مما قدمته السيدة سوزان مبارك. ولو ذكرت أسماء الفائزات بهذه الجائزة فإن 99٪ من القراء لا يعرفون هذه الأسماء ولا من أي البلاد، ولا ماذا قدمن لبلادهن..

أول من فازت بجائزة نوبل للسلام في 1905 هي البارونة برتافون سوتنر وجيين أدامز سنة 1931 وأميلي جرين بالشي سنة 1946 وبتي وليامز سنة 1976 ومريد كوريجن سنة 1976 والأم تريزة 1979 وألفا ميردال سنة 1982 وأونج سان سوركييي سنة 1991 وريجوبرتا منشو توم سنة 1992 وجودي وليامز سنة 1997 وأخيرًا المحامية الإيرانية المسلمة شيرين عبادي التي يهاجمها المتشددون في بلادها ويسمونها شارون عبادي. وقد ذهبت شيرين إلى الأكاديمية النرويجية سافرة الوجه تهاجم الظلم والقهر والعدوان الأمريكي على الشعوب تحت شعار أنه الموت الرحيم بالشعوب المقهورة المظلومة وباسم الديمقراطية..

بل إن جائزة السلام كثيرًا ما تتجه الأكاديمية النرويجية إلى منحها لاعتبارات سياسية. فلم تكن الجائزة مكافأة لصاحبتها فقط وإنما لحل أزمات سياسية وتشجيع للأصوات الحرة الخافتة لعلها

تعلو وتتعملق، وفي ذلك إعلان لكرامة الإنسان وسمو مبادئه.. وسجل السيدة سوزان مبارك طويل عريض في التوعية والتنوير.. مكتبات في الريف وفي المدن وكتب بالملايين رخيصة الثمن. ومساندة للفتيات والمرأة في أن تنال حقوقها وتتقدم وتجلس إلى جوار الرجل ما دامت الكفاءة واحدة والموهبة واحدة.. وليس غريبًا أن تجاهر سيدات قياديات في البلاد العربية بأن سوزان مبارك هي المثل الأعلى.. لقد تجاوزت سوزان مبارك الآفاق المصرية والعربية إلى الآفاق الدولية والإنسانية.. فليس غريبًا ولا بعيدًا أن نرى على رأسها تاج نوبل للسلام.. وعلى رأس مصر أيضا التي اعتادت على هذا التكريم الرفيع...

حصـــاد السنيـــــن

هذه العبارة جاءت في آخر سطور الكتاب: دعونا نمنح الجيل الجديد كل اهتمامنا.. نتيح للنابغين فرصة تألقهم، أما المؤلف فهو د. لواء عبدالكريم درويش، والكتاب اسمه (حصاد السنين) في 350 صفحة. أما شكل الكتاب، فغلافه من الورق المتين اللامع، والمؤلف له صورة أنيقة رشيقة.. فورًا هذا المنظر يردك ويصدك عن قراءة كتاب كأنه يتعالى عليك، فليس مرنًا تنشره وتطويه ثم تضعه في جيبك!

ولكن الكتاب غير ذلك؛ إنه قصة حياة مدرسية جامعية مصرية أمريكية.. قصة ضابط بوليس مختلف لأنه لطيف ظريف ابن نكتة.. قال لي اللواء رفعت مطاوع أحد تلامذته ونائب أمين عام مجلس الشورى: إن د. درويش كان يعلمهم الضبط والربط، وأن يكون الضابط لطيفًا مهذبًا.

وقد حكى لنا د. درويش عن رجل يجيء في الريف دون أن يتوقعه أحد ويطلق النار في الهواء فيلتف حوله الناس، ثم يروح يغني، هذا الرجل اسمه (المواوي)، وبرغم أنني ريفي دقهلاوي مثل د. درويش فإنني لم أر هذا الرجل الذي يرتدي قفطانًا، قديمًا ويركب بغلة هزيلة تشبه حصان سانكو بانزا في رواية (دون كخوتة) .

وروى لنا أيضًا أنه كان أحد المكلفين بحراسة الرئيس عبدالناصر بعد أن حاول أحد حراسه اغتياله، وكان لابد أن يعتاد الرئيس على

أحد كلاب الحراسة بأن يقدم له الطعام، فاعترض الرئيس قائلًا: وهوه أنا لاقي آكل عيالي لما آكل كلب الحراسة كمان!!

ولم يشعر د. درويش بأي حرج عندما قال إنه عندما تزوج زميلته د. ليلى تكلا لم يستطع أن يشتري لها خاتمًا ثمينًا، فما كان من أختها د. عايدة الأمريكية إلا أن خلعت خاتمها ووضعته في إصبعها!

وفي نيويورك، قابل أم كلثوم وجلس إليها وأسعدته بحديثها، وقال لها: سوف يجيء يوم أقول إننا عشنا في عصر أم كلثوم، وجاء هذا اليوم فكتب هذه العبارة!

وقبل وبعد ذلك أخذ اللواء د. درويش يتدفق في عبارة أدبية سهلة دافئة حميمة. هل لأنه هو كذلك أو أنه حاول أن يبعد عن القارئ صورة ضابط البوليس التي هي عادة جافة خشنة، أو لهذين السببين معًا!

وسوف تجد مشوار حياة د. درويش وحصاد سنينه ممتعة تجعلك تنسى أنه توجه بها إلى رجال الأمن لدرجة أنه يخيل إليك في النهاية أنك تستطيع أن تضع الكتاب في جيبك لتكمله في جلسة ثانية، أو لتعيد قراءته!

زفة طيبة!!

وزيران سابقان هما عبد ربه وبيلين وأربعة رؤساء سابقون: مانديلا وفوانسا وكارتر وكلينتون وفي زفة إعلانية عريضة اتفقوا على تقديم فكرة عرض نيات طيبة... فقط هذا هو مشروع جنيف للسلام بين إسرائيل وفلسطين، والمشروع: فكرة.. نية.. حلم.. وأساس هذا المشروع أنه لا سلام بدون تنازلات.. من جانب إسرائيل قطعة أرض ومن جانب فلسطين هدنة.. أما الهدف فهو ألا تكون دماء بريئة، وأن يتعايش اليهود والعرب في هذه المساحة الضيقة من الأرض، وحتى لا تنتشر النيران فتشمل الشرق الأوسط كله، وتكون الحرب الصليبية الجديدة التي سوف يكون وقودها اليهود أولًا..

فانقلبت الدنيا في إسرائيل وفي كل المنظمات والصحف والقنوات اليهودية في العالم، واتهموا هذه المظاهرة البيضاء: بالسفالة السياسية والخيانة للصهيونية والكفر باليهودية، وأنها تشبه موقف رئيس وزراء بريطانيا تشمبرلن الذي ذهب إلى هتلر سنة 1938 وباس القدم وأبدى الندم وعاد إلى بلاده بطلًا مظفرًا مع أنه كان السبب في كل جرائم هتلر.. وقالوا إن الوزير بيلين سياسي فاشل سقط في الانتخابات هو وحزبه.. ثم من الذي وكله عن الحكومة الإسرائيلية التي هي الممثل الشرعي لليهود...

وقالوا أيضًا نفرض أن عراقيًا سياسيًا فاشلًا قد تقدم بمشروع سلام وإعمار للعراق فوافق عليه كوفي أنان سكرتير الأمم المتحدة

وبوتين رئيس روسيا، فما الذي كان سيفعله الرئيس بوش؟ هل كان يقبل هذا التدخل الروسي في صميم السياسة والسيادة الأمريكية.. ثم كيف يقابل الرئيس بوش مخترعي مبادرة جنيف وهو يعلم أنهم ليسوا رسميين وأنهم ليسوا مفوضين.. كيف يفعل ذلك، وهو الذي ينادي بالديموقراطية. فأين هي؟ كيف يشجع الخارجين على النظام في إسرائيل... كيف يشجع الفاشلين.. كيف يكافئ الإرهابيين بإعطائهم الأرض وحق العودة وجبل الهيكل ونصف القدس التي أعلنتها إسرائيل عاصمة موحدة أبدية؟!

مع أن كل الذي حدث هو أن رجالًا من إسرائيل ومن فلسطين حاولوا أن يقدموا نموذجًا للحل ووقف الدماء والتعايش السلمي بين فلسطين وإسرائيل، مرة واحدة وإلى الأبد... هذه مجرد فكرة... مشروع.. أناس يقولون: بعد نقطة وربما نقطتين تنفتح البلاد وتنمو أشجار الزيتون ويرفرف حمام السلام على الأراضي المقدسة في كل الاديان!

ولهذه الأسباب جميعًا لابد من العودة إلى خريطة الطريق!! عجبي!

مثـل
كـل قضايانـا..

في الخمسينيات ظهر كتاب جميل فتح دماغنا وأنار طريقنا إلى أنفسنا ويعرفنا معنى أن يكون الإنسان لامنتميًا. وكلمة (اللامنتمي) قد ابتدعها الكاتب العراقي أنيس زكي حسن. وهي ترجمة لكتاب (الغريب) للأديب الإنجليزي كولن ويلسون أحد أعلام مدرسة الساخطين في الأدب الإنجليزي الحديث.. وأمام أي موقف أو أي قضية، فالناس ثلاثة أنواع: الداخلون في الموضوع والخارجون عنه.. والذين لا يعنيهم؛ فهؤلاء هم الذين رفضوا أن ينتموا لرأي أو لأحد.. وإنما هذا رأيهم ألا يكون لهم رأي مع هذا الطرف أو ذاك. وليس هذا موقفًا سلبيًّا ولا هروبًا من أن يكون لهم رأي.. موقف.. حكم.. إدانة.. تأييد. وإنما فقط أن هذه القضية لا تعني هذا الشخص. أو أن هذه القضية إذا كانت مشكلة فهو لا يعرف كيف يحتفظ بها ويفهمها لكي يكون له رأي. وهذا ينطبق على الكثير من القضايا في دنيانا.. مثلا قضية المياه في وسط إفريقيا أو الأخشاب في أمريكا اللاتينية.. أو الإيدز.. وغيرها من قضايا الحياة والموت. فمن الصعب على الرسام أو النحات أو الجزار أو المريض في الإنعاش أن يلم بها. وليس هذا عيبًا فيه.

ولكنه ليس متخصصًا. ولذلك ليس قادرًا على أن يكون معها أو ضدها. إنه فقط لا يعرف ولا يدري كيف يعرف. فهي من شئون وهموم أناس آخرين.

سألوا الأديب كولن ويلسون كيف جاءت لك هذه الفكرة. تمامًا كما سألوا العالم العظيم نيوتن عن قوانين الجاذبية.. فقال: من تساقط التفاح والأحجار وكل شيء من فوق إلى تحت.. سقوطه على الأرض. ما الذي يشد الأشياء ما الذي يجذبها.. إنها الجاذبية. واكتشف نيوتن قوانين الحركة في الأرض وفي السماء.

أما كولن ويلسون في كتابه الأخير (كيف كنت أنا) بالإيطالية ولا أعرف اسمه الأصلي في الإنجليزية قال إنه كان يعمل في أحد البارات. والبار معزول عن الدنيا ومن يدخل البار يندمج وينسى ولا يدري بالضبط ماذا يحدث أمام الباب. وكل ما يحدث لا يهمه. لقد دخل دنيا غير الدنيا.

وقال ويقول ويقال له كلام غير الكلام. فكل الناس في البار اختاروا لهم دنيا وعلاقات وبداية ونهاية، إنهم في دنيا داخل الدنيا.. إنهم ينتمون إلى البار وليس إلى الدنيا.. إنهم سعداء بأنهم غير منتمين لأحد.. أو لأية نظرية أو شخصية.. فهم في إجازة من كل شيء.

بعض الناس يجعلونها إجازة عارضة وبعضهم يجعلها إجازة طويلة.. وقليل منهم يراها أنها إحالة إلى المعاش في دنيا أخرى!

لا خـــوف
مـن المعلومـات

هناك عبارة للمفكر الإنجليزي كارليل تقول: إذا سقطت شجرة في غابة كان لها دوي، ولكن النسيم الذي يحمل ملايين من حبوب اللقاح لا صوت له!

ولذلك فالكلام عن أهم أحداث سنة 2003 سوف يكون عن الحروب، والزلازل والأوبئة والحوادث والذين ماتوا والمطلقات والفضائح. أما الأحداث العظيمة التي تتم في صمت فلا ذكر لها..

لقد اكتشف أحد العلماء أن هناك أكثر من نظام للكون. أي أن القوانين التي يوالي العلماء اكتشافها لحركة الأجسام السماوية (ملايين ملايين ملايين ملايين إلى نهاية هذه الصفحة) لها قوانين نعرفها ولكن في قلبها أجسام لا تخضع لنفس القوانين. كيف؟ لماذا؟ ما المعنى؟ هذا ما سوف نعرفه في مئات السنين القادمة..

وأثبت الأطباء والكيميائيون أن الأسبرين لا يزال دواء الفقير وأقدر الأدوية على علاج الكثير جدًّا من الأمراض. وآخرها أنه قادر على علاج أو منع أنواع من السرطانات.

وهذا العلاج الرخيص قد ابتكره الكيميائي الألماني فريدريش باير سنة 1863.

واكتشف الأطباء أيضًا أن بعض الأعشاب التي يتداوى بها الناس، لها فائدة صحية وأغرب من ذلك أن البصل والثوم والشطة لها فوائد

في تكوين الدم. وأن خلطة الثوم والزيت وبعض الأعشاب العطرية لها فوائد مؤكدة. والغريب أن هذه الخلطة وبالصورة التي كشفها الأطباء هي وصفة فرعونية قديمة!

والشيء الوحيد المشترك بين العام الماضي وهذا العام والعام القادم: صدور كتب وأبحاث وروايات فرنسية عن مصر الفرعونية ولا أحد ينافس الفرنسيين في حب مصر القديمة.. ولا أحد استطاع أن يكتشف جديدًا كل يوم في حياة وآمال وخيالات أجدادنا كما فعل الفرنسيون.. وكما يفعلون وسوف يفعلون..

واكتشف أحد العلماء أيضًا أن مخاوف الآباء في غير محلها.. فلا خوف على الطفل من المعلومات الكثيرة.. ومن الكتب ومن الأفلام ومن المباريات. فعقل الطفل قادر على احتواء ما لا نهاية له من المعلومات واختزانها وترتيبها وإظهار ما ينفع وإخفاء ما لا ينفع الآن. ولكن سوف يبقى كل ما رأى الطفل وسمع في مكانه إلى حين الاحتياج إليه.. ومخاوف الآباء والأمهات على أطفالهم، لا مبرر لها فالطفل الصغير قادر على استيعاب واختزان ما لا حدود له..

هات ورقة وقلمًا واكتب من حين إلى حين: أين أنت وماذا حققت وماذا تريد من غدك. وقد اكتشف د. كارلوف: أن احتياجات الناس جميعًا أن يعرفوا موقفهم من: المال والصحة والعمل والبيت والحب والمجتمع. إذا كان نصيبك منها أكثر من 50٪ فأنت سعيد. ولا تحزن!

فاطمـــة
المرنيســـي

لسن كثيرات من يكتبن مثل الباحثة المغربية فاطمة المرنيسي - فلغتها الفرنسية بديعة. أما دراساتها فشاملة واجتهاداتها كثيرة وجريئة. ولكنها اجتهادات سيدة مسلمة مؤمنة. وباب الاجتهاد مفتوح وسوف يبقى كذلك. والقرآن الكريم واضح تمامًا. يقول تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (سورة النحل) . ويقول: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (سورة البقرة) ويقول: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (سورة سبأ). ويقول: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ (سورة البقرة).

وإذا كان بعض الأئمة المسلمين قد لقي ظلمًا وقهرًا مثل الإمام مالك وابن حنبل – فلأسباب سياسية.. ففي كتاب الباحثة فاطمة المرنيسي الذي عنوانه (الحريم السياسي – النبي ونساؤه) تعود إلى المراجع التاريخية وتنهل وتختار وتنتقي وتعرض. وليس بالضرورة أن تكون أنت على وفاق معها. وقد اعترض على آرائها كثيرون. ولكن حجتها أنها تحاول أن تفهم وأن تفكر على طريقة الأوروبيين وتكتب بأسلوبهم. ولذلك فكتبها لها أهمية خاصة. لأنها تتوجه في المقام الأول إلى الأوروبيين. أما دراسات السيدة فاطمة المرنيسي لحياة

الرسول عليه الصلاة والسلام وجهاده وكفاحه نبيًّا وقائدًا وزوجًا.. ثم زوجات النبي واحدة واحدة، فهي تستحق عظيم الاحترام. وتتساءل: كيف يمكن لعربي معتد بأهله وعشيرته، عربي لم يكن يعرف أية لغة أجنبية ونادرًا ما سافر، كيف يمكن له قلب أوضاع العالم برسالة القرآن. فالإسلام ملحمة خارقة لرجل سعيد الحظ كان يحلم بعالم مختلف في صباه وحقق أحلامه في شيخوخته القوية المفعمة بالنجاحات في علاقته بالنساء وبالانتصارات العسكرية طاويًا تحت لواء إرادته أعتى الأعداء.

وتناقش السيدة فاطمة المرنيسي كثيرًا من القضايا كالدور القيادي للمرأة والحجاب والأحاديث التي تدل على العداء للمرأة، والتي يحرص الرجال في كل العصور – انتقامًا من المرأة – على أن يعيدوها ويكرروها دون مناقشة لسندها الصحيح أو الضعيف. ربما كان كتاب بنت الشاطئ (عائشة عبد الرحمن) عن (زوجات الرسول) من أحسن الكتب العربية وضوحًا وسهولة وانتشارًا. ولكن دراسة الباحثة المغربية تتفق مع مزاج ونظرة الغرب إلى الإسلام وإلى المرأة. إن كل مؤلفات الباحثة المغربية تستحق الاهتمام والحفاوة بها فقد درست وتعبت وحاولت أن تضيف وأضافت وأمتعت..

هلويـــزة
الراهبـــة

وقفت مع الزميل د. أحمد يوسف أمام البيت في باريس. واجهة البيت جليدية. النوافذ مغلقة والأبواب. ولأننا تكلمنا كثيرًا وانشغلنا تخيلنا أنهما سوف يخرجان من الباب في طريقهما إلى الدير.. ونسينا أنهما عاشا وماتا من تسعة قرون.

أما هو فالفيلسوف والشاعر الخطيب الفصيح الجميل الصورة والصوت الراهب بيير أبيلار (1079 – 1142 م) أما هي فالعاشقة الجميلة الجريئة هلويزة (1098 – 1164) .

كان أبيلار في شهرة لاعبي كرة القدم هذه الأيام. وكان الكثيرون يحرصون على سماع مواعظه واجتهاداته الفلسفية. فما كان من أحد القساوسة إلا أن طلب إليه أن يتولى تعليم ابنة أخيه هلويزة. وانتقلت الفتاة الحلوة من التلمذة إلى العشق. وهربا معًا. وحملت منه وتزوجا سرًّا وأنجبت ولدًا اسمه استرولاب.. وثار عمها وأرسل إليه عددًا من البلطجية طرحوه أرضًا وأزالوا ذكورته. ودخلت الدير ودخل أيضًا. وفي سنة 1871 دفنوا الاثنين في مقبرة واحدة في باريس.

وهذه المأساة العاطفية جعلت الراهب شهيرًا. وهذه الشهرة الفاضحة حجبت عنا أفكاره الفلسفية الجديدة والجريئة أيضًا. وأشهر كتبه: تاريخ محنتي.. نعم ولا.. وصرفتنا عن ابتكاراته العقلية وحولتنا إلى رسائله الغرامية الملتهبة.. إحدى هذه الرسائل طولها

عشرة آلاف كلمة باللاتينية. أما رسائلها إليه، فهي أكثر جرأة. لقد انشغل هو بتحليل وتعميق مشاعره.. أما هي فقد اختارت أن تلمسه بكلماتها وتدغدغه بعباراتها المثيرة.

يقول لها: لم يكن حبنا واحدًا.. إنني أحب فيه الكثير والكثيرات. ولذلك فليس غريبًا أن أقول أحببت بك وفيك كل هذه الدنيا. وأستحق أي عقاب فقد حصلت على أكثر مما كنت أريد.

وتقول هي: لا يغيب وجهك عني.. لا تغيب أنفاسك.. ولا أصابعك.. ولا مذاق شفتيك.. إنني (شولاميت) التي جاءت في سفر (نشيد الأنشاد) في التوراة: راعية الأغنام في مراعي سيدها، خادمة الجمال في محراب سيدها.. عبدتك الذليلة السعيدة بك يا حبيبي.

يا عيني – أرجو أن تقرأ بالإنجليزية كتاب (أبيلار – هلويزة – قصة حب القرن الثاني عشر) تأليف جيمس برج (دابر بروفيل) ولن تندم.

رياضـــة
بـــلا روح..

الرياضة في مصر: جسد بلا روح. فالروح الرياضية هي التي تسعى إلى النصر، ولكنها لا تموت بالهزيمة، والهزيمة ليس معناها نهاية العالم. وما من فرقة مهما تكن عظمتها لم تعرف الهزيمة، ثم لم تعلق المشانق للاعبين والمديرين والمدرب الأجنبي. والكرة في مصر إهانة وسخافة، ولا علاقة لها بالرياضة. فهي تمشي على قاعدة إما أن نكسب وإما أن نكسب. فإذا كسبنا بأي لاعب مهما يكن صغيرًا فهو السبب، وإذا انهزمنا فأي مدرب أجنبي مهما تكن عبقريته هو السبب. وتنتهي المباريات الفاشلة بطرد المدرب الأجنبي والبحث عن مدرب آخر. هذا المدرب الآخر لا كرامة له إذا جاء، ولا كرامة له إذا بقي، وسوف يندم كثيرًا إذا ما غادر بلادنا!

فإذا انتصرنا في الكرة، أو في أي شيء آخر لاحقتنا الأغنية الرهيبة التي تقول: المصريين أهمه.. فإذا انهزمنا توارت هذه الأغنية، مع أن هذه الأغنية وغيرها ممكن أن تذاع إذا انهزمنا، ويكون المعنى: حتى إذا انهزمنا فالمصريون أهمه، قادرون على أن يمضوا ويتعثروا هذه المرة، ويكسبوا المرة الأخرى!

أذكر رئيس وزراء بريطانيا وزعيم حزب المحافظين المايسترو إدوارد هيث، كان يقود فريق اليخوت في بريطانيا، وانهزم ولم يترتب

على ذلك طرده من حزب المحافظين، ومن البرلمان، ومسح تاريخه السياسي بالأرض. لا شيء من ذلك قد حدث..

والدول القوية التي عانت المر والهوان أشكالًا وألوانًا قامت وتقدمت وتعملقت: ألمانيا واليابان، فألمانيا ضربها الحلفاء حتى جعلوها ترابًا وهبابًا على سطح الأرض، وحتي دفنت الشعب الألماني تحت الأرض في الكهوف، ولكن ماذا حدث؟ قامت ألمانيا بسواعد وعقول أبنائها حتى أصبحت أقوى الدول الأوروبية وأغناها، وحتى أقرضت أمريكا الدولة الغازية المدمرة.

واليابان ضربتها أمريكا بالقنابل الذرية فأبادت مئات الألوف في لحظة واحدة، وأصابت الملايين بالجروح والتشوهات، حتى الأرض لم تعد صالحة للزراعة، فماذا حدث لليابان؟ قامت بمنتهى القوة والعظمة والأبهة، وهي أكبر وأخطر منافس لأمريكا في كوكب الأرض.

ونحن نسينا ما جرى لنا وعلينا، لقد انهزمنا في سنة 1967 وتحطمت معنويات مصر وصرنا أضحوكة الشعوب العربية وغيرها، ولكن استطعنا أن نبلع الهزيمة وأن ننتصر، وإن لم تكن قد قرأت حفلات التكريم والتتويج التي أقامها مستشار الأمن القومي كيسنجر، فأرجو أن تعود إليها لتزداد فخرًا بجيشك وقادته وأنور السادات، لعل الرياضيين أن يتعلموا!

اختيـــار
سفـــاح..

أكثرنا لا رأى ولا سمع ولا تحدث إلى إسرائيلي واحد. وبعضنا لا يريد ذلك. وقد رأينا واستنكرنا ما فعله الرجل الذي اختارته إسرائيل قائدًا لمصيرها ومسيرتها.. شارون الذي أصاب الشعوب اليهودية في إسرائيل بأكبر نكسة في تاريخها.. فبعد السلام مع مصر والأردن وكان في الإمكان مع فلسطين، تبدد كل ذلك، حتى أصبح السلام بعيدًا والحرب قريبة.. بل وشيكة. إن اختيار إسرائيل لرجل سفاح مثل شارون يؤكد أن الشعوب إذا خافت ألقت بنفسها في النار، بل إن الرأي العام الأوروبي قد رأى أن إسرائيل وحدها في هذه الدنيا هي محور الشر. وأنه لا خوف على الدنيا إلا من إسرائيل!

هذه الصورة البشعة قد قام برسمها وتجسيمها وإقناع العالم ببشاعتها: إرييل شارون! إن الطيارين في إسرائيل قالوا – في بيان احتجاج على حكومتهم – إنهم لا يرون ضرورة لضرب المدنيين.. من الجو أو من الأرض. أي أن هذا العدوان لا مبرر له. ثم إنه يتنافى مع الدين ومع الصهيونية التي نذروا أنفسهم للدفاع عنها.. كما أن ضابطًا كبيرًا فصلوه لأنه لا يوافق على قتل المدنيين الفلسطينيين بلا قضية وفي حرب غير متكافئة.. حرب الحجارة والطيارة!

و60٪ من الرأي العام الأوروبي ضد إسرائيل، ومثل ذلك العدد في أمريكا أيضًا.. فهم ضد العدوان الإجرامي اليومي على شعب فلسطين

وأرضه ومزارعه وأطفاله واغتيال مستقبله.. ثم إنهم في أمريكا ضد الحرب في العراق.. فهي حرب بلا قضية.. أو هي حرب تبحث أمريكا عن أسبابها في أرض العراق.. فهي قد قررت أن تحارب لأسباب سوف تعثر عليها فيما بعد. ولأنها دولة عظمى أو الدولة الأعظم، فليست في حاجة إلى أسباب لتقوم بحرب الإبادة لآمال وأحلام الشعوب!وإذا قلت إنهم في أمريكا أو في أوروبا ضد إسرائيل، فليس معنى ذلك أنهم يأكلون ويشربون وينامون في أحضان هذه القضية.. لا.. إن لهم همومًا أخرى وآمالًا لبلدهم وأولادهم.. وإنما هذه القضية هي جزء من اهتماماتهم، كما أن أضرار التدخين والخوف من الإيدز والسرطان من اهتماماتهم ـ وليست كل اهتماماتهم فهم لم يعطلوا حياتهم من أجل كراهيتهم لرئيس وزراء إسرائيل أو الإدارة الأمريكية!

لسنا الأهم!

أنت شخص عادي جدًّا – وأنا أيضًا. وليست هذه إهانة لك. ولا هي محاولة لإنزال الإنسان من فوق عرش الكون. لأنه ليس صحيحًا أننا على عرش الكون. وإنما الصحيح هو أننا لسنا أهم ما في هذا الكون. فالأرض حجر كبير يدوخ حول نفسه ويدور حول الشمس والشمس هذه نجم عادي جدًّا. ففي مجموعة النجوم القريبة منا ألوف ملايين النجوم التي تشبه الشمس. وحولها كواكب تدور كالأرض. وفي الكون ألوف ملايين المجموعات من النجوم.. ويرى العلماء أنه لا يوجد كون واحد وإنما ألوف ملايين الأكوان – فقل لي أيها الإنسان أين أنت من هذا الكون؟!.

والإنسان لم يتقدم إلا عندما عرف هذه الحقيقة: إنه كائن عادي جدًّا عنده عقل. ولابد أن هناك كائنات أخرى مثلنا، أو أسمى أو دوننا. ولكننا لا نعلم. ونحاول أن نعلم. وهذه المحاولة ليست إلا في لحظاتها الأولى من تاريخنا الذي هو بملايين السنين..

بدأت الثورة على الأفكار القديمة عندما أعلن الفلكي العظيم كوبر نيكوس في القرن السادس عشر أن الكرة الأرضية ليست هي مركز الكون. وعندما أعلن الفلكي الإيطالي جاليليو أن الأرض كوكب يدور حول الشمس.. وربما كانت سنة 1543 من أعظم السنوات في الحضارة

الإنسانية لأنها سنة لم تعرف الخوف. ففي هذه السنة صدر كتاب (بناء الأجسام الحية) لفزاليوس الذي رأى أن الحياة ليست مقدسة.. وكتاب آخر في غاية الجرأة لكوبر نيكوس (عن دوران الأجسام السماوية). وفي هذه السنة طرد الأتراك العلماء والفلاسفة الإغريق إلى إيطاليا ومعهم أفكارهم وأحلامهم العظيمة ورايات الحرية. هربوا ومعهم كل أدوات التطور ومشاعل النور..

وهناك رأي يقول إن الفكر الأوروبي تأخر بسبب إيمانه المطلق بالفيلسوف الإغريقي أرسطو. وكان يكفي أن تظهر عبارة: قال أرسطو، حتى يتوقف الفكر. ولما حذفوا هذه العبارة وظهرت عبارة أخرى: قال أرسطو، ولكن لنا رأي آخر.. هنا فقط أفلت الفكر الأوروبي من قيود الأسطورة والإيمان الأعمى.. وتحرر بنظريات جديدة وإيمان جديد.. والبداية التي كانت هناك ويجب أن تكون هنا هي: العلم والنور والشجاعة والإرادة وبلا خوف من أحد!

نسينـــــا
لهجـة بلادنـا..

لا شيء يدل على أن يحيى الفخراني يمثل في مسلسل (الليل وآخره) إلا اللهجة الصعيدية! فهو فنان كبير قدير. ولكن هذه اللهجة الصعيدية تجعله مضحكًا مع أنه لا يقصد ذلك. فإذا كان المخرج يريد أن يكشفه لنا جاهلًا، بينما إخوته مثقفون لا يتكلمون لهجتهم الصعيدية؛ فالجلباب يكفي. وإذا لم يكن الجلباب كافيًا فيمكنه أن يجعله يمسح يديه في الأرض أو في الحائط.. وأنا لا أرى سببًا لأن يتكلم يحيى الفخراني لهجة بلاده. ونحن كلنا جئنا من الريف، ونسينا كيف كان آباؤنا وأجدادنا يتكلمون. وفي الوقت نفسه نحب أصولنا وجذورنا.

أما الفنان الكبير جميل راتب في مسلسل (مسألة مبدأ) فلا حيلة فيه.. فلغته العربية خواجاتي، فما بالك بخواجة صعيدي - وهو مُصِرٌّ على أن يكون خواجة وأن يكون صعيديًا أيضًا؟!

واللهجة الصعيدية ليست ضرورية له. وكون ابنته تعلمت في فرنسا لا يجعلها تنسى لهجتها الصعيدية. ومع ذلك لا تنطق بها. وكان أستاذنا د. أحمد بدوي صعيديًا تعلم في ألمانيا. ولكنه كان حريصًا على لهجته الصعيدية. وهو يحسن نطقها ويضحكنا أيضًا. ولم يكن ممثلًا ولا من آماله.

لكن إذا فرضنا أن المخرج يريد من أبطاله أن يتكلموا بلهجة الصعيد أو الريف أو الأرياف المصرية، فهناك تسجيلات صوتية..

أو من الواجب أن تكون هناك. وعلى الممثل أن يستمع ويتدرب حتى يتقن اللهجة المطلوبة.

من الإنصاف أن نقول بالمناسبة: أن يحيى الفخراني فنان يتدفق بأشكال التعبير وصدق الأداء والتفوق في المسلسل العربي والمسرح الأوروبي.

كما أن نور الشريف قد أقنعنا بأنه بارع في الغوص في التاريخ العربي ليظهر لنا عملاقًا في بلاغة الأداء والإقناع..

وكذلك ليلى علوي في مسلسل (تعالي نحلم ببكره) لم تعتمد على جمالها فقط وإنما إلى جانب الجمال سهولة التعبير. ثم إن نجاحها في المسلسلات يفوق نجاحها في الأفلام.. ففي المسلسلات مساحات من الوقت وزحام من الشخصيات والأحداث وهي فرصة لتتألق فيها وبينها.

وقد سألت بعض أصدقائي الصعايدة إن كانت هذه لهجتهم فضحكوا وقالوا: إنه حكم القوي على الضعيف.. والقوي هو التليفزيون!

الفجــــر
والفراشـــات..

أول عمل قمت به في جريدة (الأهرام) سنة 1950 هو ترجمة الرسالة التي تبعث بها من باريس الزميلة أليس باخوس. وكانت رسائلها عن الفساتين. ولم تكن لي أية دراية بمثل هذه الموضوعات. وكانت فرصة أن أدق أبواب مصممات الأزياء في القاهرة لأفك المصطلحات الغريبة. وقد ساعدتني كثيرًا السيدة صالحة أفلاطون ومسيو جورج ومدام آدم. وفي كل المجلات التي رأست تحريرها كنت أنا الذي أكتب الموضة بإمضاءات مستعارة في مجلات: الجيل وهي وآخر ساعة، وأكتوبر، ومايو. السبب؟ أنه شيء له علاقة بالمرأة.. فالفساتين هي البشرة الثانية للمرأة.. وأحد مفاتيح شخصيتها المعقدة أو شخصيتها ذات العقد الناعمة. ومهما تكن ناعمة فهي عقد. أو هي حيلة مني للتنصت والتلصص على المرأة وهي في نصف أو ربع ملابسها!

وضبطت نفسي أخيرًا أتابع موضات سنة 2004. واخترت مصممًا اسمه سورسيه. لماذا؟ أعجبني كلامه. وأعجبني حماسه وهو يتحدث عن أنه استلهم الخطوط هذه المرة من (ألف ليلة). ومن حريم سلاطين آل عثمان. وأكثر من ذلك من النظر إلى الخطوط العربية: النسخ والثلث والفارسي. ثم اختيار الألوان في رقة السحاب. سحاب البخور في القصور مع الموسيقى الهادئة ووشوشة السلاسل والصاجات والأساور والخلاخيل..

ثم أنه راح يشرح ذلك بأسلوب أدبي جميل. والذي لا يعرفه أنه مصمم أزياء يخيل إليه أنه رسام أو مثال.. وأنه يخلط الألـوان في العطور الهندية وفي الأواني المغربية. وأن سيدة القصر هي شهر زاد الساحرة التي استعانت بـالأدب لإنقاذ حياتها ومئات من بنات جنسها. فقد كان زوجها الملك شهريار قد قرر أن يقتل عذراء كل ليلة انتقامًا من الزوجة الخائنة: زوجته وزوجة أخيه..

فما هي هذه الألوان التي اختارها سورسيه إنها نفاثات البخور وضباب الفجر وأجنحة الفراشات وآهات الفتيات عند لقاء الحبيب.. وأحلام العذارى. من هذه الأصوات والألـوان اعتصر مصمم الأزياء الفرنسي خطوط وخيوط فساتين الربيع القادم.

ثم هذه العبارة التي قالها: إن عبارة فرعونية سحبتني من أصابعي ومن رموش عيني. العبارة تقول: أيها الإنسان الفاني امش وراء قلبك. ولقد مشيت!

تبحث
عن أبيها

من السويد جاء صوت حزين يقول لي: ساعدني لعلي أجد والدي المصري الذي أحاول أن أعرف من هو منذ 38 عامًا. لم أصدق. فأرسلت على الإنترنت حكايتها. قالت إن اسمها سابين أبتشي، وأمها اسمها جندولا أبتشي.

ذهبت أمها لزيارة جدتها في مدينة جراتس النمساوية. وهناك قابلت والدها مدحت سليمان ولا تعرف اسمه بالكامل. وكان طالبًا في المدرسة العليا للتكنولوجيا.. وقبل أن يعود والدها إلى مصر اكتشفت الأم أنها حامل. والبنت عندها مشاكل نفسية كثيرة. من بينها أن ملامحها مصرية. ولا يعرف الناس لماذا؟ وهي غير قادرة على أن تقول إن أباها مصري كان هنا واختفى. وتقول: ساعدني..وحدثني أحد المصريين من أستوكهلم يؤكد عذاب هذه الابنة المسكينة.

ذهبت الأم والابنة إلى المدرسة التي كان قد التحق بها الأب من سنة 1965.. ولكن المدرسة رفضت أن تطلعها على دوسيه الطالب. فهذه أسرار وليس من حق أحد أن يعرفها. حاولت الأم أن تعرف عنوانه أو حتى اسمه كاملًا. ولكن المدرسة رفضت برغم اقتناعها بمحنة الأم والابنة.

ثم وجهت الابنة رسالة إلى والدها تقول فيها: أنت لا تعرف عذابي. أريد أن أراك لا أكثر. وأنا أعرف أنه من الطبيعي أن تكون لك أسرة.

وأنا لا أطلب مالًا ولا حتى اعترافًا. ولا أريد أن أغير اسمي ولا أن أكون عبئًا عليك. فقط أن أراك. وأن أجلس إليك ساعة أو حتى أراك وتختفي وأختفي. هذا كل ما أريد.. فهل هذا كثير؟ إن هذا القليل يشفيني من عذاب عمري كله..

وقد طلبت إليها أن تبعث بصورتها وصورة أمها. لعلي أنشر الصورتين في التليفزيون المصري.. فمن يدري ربما عرف الأب زوجته، ورأى ملامحه في وجه ابنته – ربما!

وبهذه المناسبة تذكرت طالبًا مصريًا آخر كان صدمة شبابي في سنة 1950 عندما كنت أجلس في فيينا بإحدى الحدائق العامة مع شبان مصريين حين تقدمت فتاة جميلة حزينة تسأل إن كنا مصريين. وكانت لها مشكلة لقد اختفى زوجها المصري. وتركت لنا طفلها حتى تأتي بعقد الزواج من سيارتها. ولم نستطع أن نضحك عندما قدمت لنا العقد بيد مرتعشة فقرأنا بسم الله الرحمن الرحيم: كتب زرع درس هرب.. ثم إمضاءات – منتهى النذالة!

شكـرًا
يـا دكتـور..

هل تذكر ذلك الصحفي الذي وقف في مؤتمر صحفي بين السادات وبيجين في الإسماعيلية؟.. ذلك الشاب الأسمر النحيف وقف في ذلك اليوم وهو عيد ميلاد السادات يقول باللغة العبرية: أريد أن أسأل السيد بيجين بالعبرية. فرد عليه بيجين بسرعة: وأنا أفهم العبرية.

هذا الشاب ظهرت صورته في الصفحة الأولى في كل ورقة مطبوعة في الكرة الأرضية على أنه يتكلم العبرية. هذا الشاب هو بلدياتي الزميل رفعت فودة المحرر بمجلة (أكتوبر) والمهاجر إلى أستراليا منذ ثلاثين عامًا.. وله أبناء طيارون في الجيش الأسترالي ومهندسون وهو يقوم بتدريس اللغة العربية لأبناء الجاليات العربية والإسلامية في غرب أستراليا.

.. هذا الشاب قد صفقوا له أخيرًا عندما حصل على درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الأولى. فبعد عشر سنوات من قراءة 200 من مؤلفاتي جاءت هذه الدراسة عن الأثر الفكري لكتبي في الأدب العربي المعاصر. وقد أشفقت عليه وعلقت على قراءة هذه الدراسة المرهقة. وعندما كنت أقلب رسالة الدكتوراه وجدتني أندهش كثيرًا، كيف فهم وفسر وحلل وربط المعاني بعضها ببعض. وجعل منها صورة بهرتني. هل أنا هكذا؟. هل أنا قلت؟ هل أنا صورت.. هل أنا أبدعت.. هل أنا كل هذه المعاني؟.. لقد نسيت الذي قلت وما أكثره في أكثر من

خمسين عامًا.. يبدو أنني كل ذلك. ولكني لا أدري. لا أراني بوضوح.. لا أفهمني تمامًا..

وتذكرت ما قاله أمير الشعراء الألمان جيته، عندما ظهرت الترجمة الفرنسية لمسرحية (فاوست) .قال: لقد استطاع المترجم أن يوضحني لنفسي. وأن يفهم أكثر مما فهمت. لقد عرفت عن نفسي ما لم أكن أعرف. شكرًا له..

وشكرًا للزميل المهاجر الذي لم يشأ أن يبعد عن أهله وناسه في مصر: رفعت فودة بلدياتي ومؤلف قصة حياتي أدبًا وفكرًا وسياسة أيضًا!

كاتبـــة
كويتيـــــة

العبارة التي تقول: قل كلمتك وامش – تنطبق على كاتبة كويتية اسمها طيبة أحمد الإبراهيم. فهي كاتبة ليس لها نظير بين بنات جنسها في أية لغة. تقول كل ما يخطر على بالها وطول الوقت في حديث مع نفسها. ولو جلست وكتبت ما يجول في عقلها ويصول على قلمها لأصبحت لها دار للطباعة والنشر. والكاتبة طيبة الإبراهيم درست العلوم والرياضيات. وكتبت القصة في سن صغيرة. ولم تكن في حاجة إلى تشجيع.. فقد قررت أن تقول. وأن تتهجم على قضايا صعبة جدًا في الرياضيات والفيزياء. واستطاع خيالها أن يتجاوز المعقول واللامعقول. فكتبت.

أما رواياتها فهي: دائرية الزمن والإنسان المتعدد وتطابق الصور حتى تتوازى الأعمال الروائية للمرأة والرجل والإنسان الباهت، ومذكرات خادم وانقراض الرجل والقرية السرية وظلال الحقيقة والبلهاء ولعنة المال – ولابد أن في حياة كاتبة الكويت أسرارًا أخرى لا نعرفها أو لا تبوح بها..

ولقد فوجئت بالأديبة الكويتية في ندوة في الكويت. أهدتني كتابًا لها. واتجهت إليه وعكفت عليه وطلبت أن أراها وأن أجلس إليها. ومن المؤكد أن أحدًا لا يدري بها تمامًا.. فأقل الناس إقبالًا على كتبها

هن بنات جنسها. فليس في رواياتها ثرثرة ولا شوشرة ولا فضيحة ولا جنس..

وإنما هي تنطلق على هواها في كل اتجاه في الزمان والمكان والخلايا وبكل الأشياء والأزمان وتخوض بلا خوف. ولا يهمها كثيرًا إن كان أحد قد رآها أو يريد أن يراها أو يمشي وراءها. ومن يقرأ للكاتبة طيبة الإبراهيم يحتاج إلى صبر أيوب عليه السلام وصبر بنيلويه بطلة الإلياذة التي راحت تنسج بلوفر لزوجها المسافر عشرين عامًا وصبر الفتى سيزيف الذي حكمت عليه الآلهة بأن يدفع حجرًا إلى قمة الجبل ليتدحرج على السفح ويعاود سيزيف دفعه أمامه إلى الأبد.. وإلى صبر تنتالوس الذي حكمت عليه الآلهة بالعطش الأبدي فوضعوه في بحيرة من الماء العذب ليرتفع الماء إلى شفتيه فإذا انحنى عليه انحسر وإلى الأبد.

ولا أظن أحدًا لديه هذه الأنواع الفريدة من الصبر عليها والإيمان بها. ولذلك سوف تبقى الكاتبة الخيالية طيبة الإبراهيم وحيدة في زمانها. ولكنها سوف تمضي..

لا يريـــــدون حـــلًا..

أنت مؤدب جدًا إذا وضعت أصبعك في عين أي أحد يقول لك: إنه قرأ (خريطة الطريق) و(وثيقة سويسرا) . لا لأن هاتين الوثيقتين سر من الأسرار. وإنما لأنهما قد نشرتا في كثير من الصحف العالمية. وأنهما طويلتان جدًا. وأنهما كتبتا بالزئبق على زيت الزيتون في ظلام الليل. أنا أدعي أنني قرأت وأطلت النظر. وفكرت. ولكن لم يطل بي التفكير. فقد تعبت عيناي وأوجعني دماغي. وعلى إيه؟! إن أحدًا لا يريد حلًا – لا إسرائيل ولا فلسطين ولا أمريكا. والعرب جميعًا يعلمون ذلك. ولكنهم يقاومون ويغالطون. ويرون أن الحد الأدنى من الواجب هو أن ينصحوا لعل وعسى. لعل أحدًا يصدق، وعسى أن ينفع ذلك.. بعبارة أخرى: هل كل أبناء فلسطين يريدون الحل؟ الجواب: بعضهم لا يريد ويبيعون شعبهم وزعماءهم كل يوم للمخابرات الإسرائيلية والأمريكية. هل شعب إسرائيل يريد أن يبدو متوحشًا مصاصًا للدماء؟ الجواب: لا.. ولكنه الخوف والرعب هو الذي يدفع الخائفين إلى القتل وإلى شرب الدم والشكوى من سوء الهضم.. إن الشعوب اليهودية في إسرائيل قد طفحت الدم في كل العالم وفي طول التاريخ وعرض الجغرافيا.. ولذلك فهم خائفون. والخوف يدفعهم إلى سوء الظن. وسوء الظن يدفعهم إلى العدوان وإلى اختيار أي بلطجي يحميهم مهما كلفهم من دم وسوء سمعة وكراهية وعزلة ـ وهذا بالضبط ما يفعله شارون بمنتهى الحماس!

ما قابلت أحدًا من العرب أو من اليهود إلا كانت على لسانه عبارة واحدة لم يجد لها معنى لأنها قديمة مكررة مملة: نريد السلام!وهم جميعًا صادقون. ولكن كيف؟ أمامنا خريطة الطريق ووثيقة سويسرا التي قدمتها المعارضة كبرنامج مبكر للحملات الانتخابية. أما حكاية طرد عرفات. فممكن، ولكن مشاكله كثيرة، فسوف تؤدي إلى تمزيق الفلسطينيين مما يجعل التفاهم معهم صعبًا. ويعطي إسرائيل ألف عذر لكي تحتل فلسطين من أجل أمنها هي واستقرارها.. ثم تطلب أمريكا إلى الأمم المتحدة أن تفرض وصايتها على إسرائيل – وكأننا يا بدر لا رحنا ولا جينا!

نحـــــن
مستعجلـون دائمًـا!

أنت لا تعرف كيف تأكل ولا كيف تشرب ولا كيف تحب ولا كيف تكره ولا كيف تنتقم ـ هذه حقيقة يؤكدها البروفيسور وليام ركفيك أستاذ علم النفس الأمريكي. فليكن. فما الذي يفرضه علاجًا لذلك أو إن كان يراك كارثة أو معضلة لا حل لها. يناقش الأستاذ ركفيك هذه النظرية ويفسر ويبرر. ويكتشف حقائق غريبة في السلوك الإنساني تؤكد نظريته.. فنحن في حالة استعجال مستمر.. لا نمضغ ولا نهضم. ولا نصبر فنحب ولا نكره فننتقم. وإنما نحن مجموعة من السلوكيات علقنا عليها لافتة تقول: لا.. أو ليس الآن!!

وتأجيل القرار ليس قرارًا. وإنما هو إفلاس أو هو سلبية تامة. والحل؟ في رأي د. ركفيك أن نحصر هذه اللاءات. فتقول: لا.. ولو مرة. وسوف يشجعنا ذلك على أن نقولها كثيرًا. فإذا حدث فسوف يكون هذا سلوكًا إيجابيًا مثلًا: أنت لا تحب.. أنت غلطان. فليس الناس كلهم أشرارًا. ثم إنك لا غنى لك عن الناس. وليس من الحكمة ألا تثق فيهم وليس من العقل أن تثق بهم دائمًا وإنما تبعد ولا تبعد. وليس من الحكمة أن تكره على طول الخط، ولا أن تحب من أول نظرة. ولابد أن (تحرك وتفرك) طول الليل لأنك عاجز عن الانتقام. أي لابد من أن تنتقم. وهذا غلط أيضًا. لماذا؟

يقول د. ركفيك: إذا كانت هذه حالك فأنت قد انتقمت من الشخص الغلط. انتقمت من نفسك مع أنك تريد أن تنتقم من غيرك. ولذلك فالانتقام درجات. اصعد على أول وثاني وثالث درجة وقل رأيك واكشف عن غضبك وانتظر. المهم أن تفعل شيئًا. فلا أنت كليوباترا ولا أنت أنطونيو ولا أنت ديانا ولا أنت تشارلز. وإنما أحيانًا ديانا وأحيانًا تشارلز باختصار: العيب فيك أنت.. ففي الدنيا وفي الناس وبين الناس أشياء ومعان جميلة.. تمامًا كما في الحدائق والغابات والسوبر ماركت.

لا ترفض لا تلق بنفسك على كل شيء. وإنما قف وقرر واختر أي شيء.. لابد أن تختار!

لا توجـــع
دماغـــك!

إيه يعني ألا تقرأ الصحف؟ ولا حاجة. إيه يعني ألا تشغلك السياسة ومن مات ومن سيموت في العراق وفلسطين وأفغانستان ولبنان وسوريا؟ ولا حاجة. فليست السياسة تهم كل الناس. ويجب ألا تكون مهمومًا بهذه القضايا. وإنما هذه القضايا هي هموم رجال السياسة. وأنت لست سياسيًا. هل أخذ أحد رأيك في أي شيء؟ هل أنت مصلح سياسي؟ هل أنت صاحب رسالة؟ هل أنت أحد أبطال هذا الزمان؟ لا أنت هذا ولا ذاك؛ فلماذا توجع دماغك وقلبك في قضايا لا رأي لك فيها، ولا أنت طرف، ولا حتى إذا كنت طرفًا من الذي جعلك كذلك وإذا كان لك رأي فمن الذي يسمعه ومن الذي يأخذ به.. لا أحد يأخذ به ولا أحد طلب إليك أن يكون لديك برنامج إصلاحي للشرق الأوسط وكوكب الأرض. وإنما هناك أناس ضحكوا عليك ووضعوا على رأسك تاجًا من ورق الصحف وقالوا: شبيك لبيك.. احكم يا ملك!

والصحف من ورق والتاج من ورق. فلا أنت ملك ولا أنت حاكم. وإنما أنت كده وكده في مسرحية هزلية. أما الممثلون فهم أناس آخرون.. والذين كتبوا الحوار والسيناريو أناس وراء أبواب مغلقة في العواصم الكبرى. أما الذي نعمله نحن، فهو أننا من كثرة ما نسمع وما يقال لنا تشبعنا بالمسرحية وفي لحظة تخيلنا أننا لسنا

مشاهدين وإنما نحن ممثلون مؤلفون أبطال وأصحاب رسالات كبرى في تحقيق السلام للشعوب والرفاهية!

يعني إيه؟ إننا يجب أن نتذكر من حين إلى حين أننا متفرجون وأن العرض المسرحي طال جدًّا. وليس غريبًا أن ننصرف عن هذه المأساة إلى أي شيء مسخرة يبعث على الضحك.. أو نرتد إلى همومنا نحن: أسرتنا وأولادنا وإخواننا وجيراننا؛ لأن مشكلاتنا لا تقل خطورة.. وأن همومنا جبال.. وأن جهنم على الأبواب.. لم نعد في حاجة إلى أن نموت لكي ندخل النار.. ونحن ندخلها كل يوم.. وبس!

ولا كلمة
عن كيسنجر

كأن هنري كيسنجر في كتابه (الأزمة) لم يقم حفلة تكريم للجيش المصري والعسكرية المصرية والقيادة الذكية والمعجزة السياسية.. كأن هنري كيسنجر لم يقل إن إسرائيل هي التي انكسرت وإن جولدا مائير لم تجف لها دموع، وديان قرر أن يلقي بنفسه في قناة السويس، وأن إسرائيل هي التي استردت سيناء، وأن حرب أكتوبر قد تم التخطيط لها يوم 6 أو7 يونيو سنة 1967.. أو كأن هنري كيسنجر وزير خارجية ومستشار الأمن القومي، والألماني اليهودي الذي لولاه ما صمدت إسرائيل، كان يتحدث عن حرب (البوير) في جنوب إفريقيا.. وعندما كان يتحدث عن الزلزال الذي مزق الروح المعنوية في إسرائيل، كان يتحدث عن فيتنام...

ولذلك كله لم يكتب قلم مصري واحد عن الأبهة السياسية والروعة العسكرية المصرية. ولا كلمة! وكأن مذكرات كيسنجر مخطوطة من الحروب الصليبية وجدناها أخيرًا. فانشغلنا بالحدث وأمانة الترجمة، والباقي لا يهم لأنها ليست مكتوبة عن مصر الحديثة!

ولكن لماذا؟ لأن الرئيس السادات قد أصبح اسمًا على نوع من الإرتكاريا أو الحساسية الشديدة. فلا يكاد يظهر اسم الرجل الذي هو بطل الحرب والسلام بشهادة الأعداء، حتى يهرش الناس في مظاهرة ضد الرجل الذي حقق النصر.. والذي يستحق العقاب لأنه قد غير

أسلوبًا جوهريًا في حياتنا هو: البكاء على الماضي الأسود الذي ليس به شعاع ضوء.. على حروب 48 و56 و67 ووكسة اليمن والخلع السوري لمصر. فلما جاء نصر أكتوبر كان المطلوب إلى جانب النصر معجزة نفسية.. إذ كيف يقوم الحانوتية والمعدداتية في زفة دمياطية. صعب جدًا. إلى جانب أن فلول الناصرية لا يزالون قادة للطبل والزمر.. فإن لم تكن هذه أزمة ضمير، فهي مأساة أمة لا ترى الحق ولا تؤمن بالعدل.. وأوضح تزوير لها في تاريخ مصر أن محمد نجيب لم يكن أول رئيس لمصر.. وما دام هذا رأيهم فمن الواجب أن نقول إن فاروق لم يكن آخر ملوك مصر.. فعلا فقد ظهر بعده ملوك كثيرون!

هل ننتظر أن تظهر مذكرات كيسنجر في كتاب ضخم، أو في طبعة شعبية...

فإذا حدث أشعلنا فيها النار للوقاية من برد الشتاء؟! ولكن أحدًا لا يخجل ولا يرى في ذلك فضيحة أخلاقية.

مذبحـــة غنائيـــة!

هل أفلسنا فنيًا ؟ الجواب: نعم. ولكن لماذا ؟ أنا أقول لك إن لم تكن تعرف. هل معقول أن تتحول كل أغانينا الجميلة الرومانسية إلى إعلانات عن السمن والزيت والبطاطس والمشروبات والأثاث! كل الأغاني الجميلة.

إنها مذبحة المشاعر الإنسانية الرقيقة.. وجعلها نكتًا سخيفة.. فبدلًا من أن نسمع أغنيات أم كلثوم ونقول: الله.. فإنك تقول أعوذ بالله.. قلة أدب.. قلة ذوق إهانة - إفلاس.. هذه هي الكلمة. حتى أسماء الأفلام القديمة صارت هي الأخرى أغنيات وإعلانات. إفلاس؟ نعم إفلاس..

وأقصى درجات الإفلاس هو هذا الهتاف الذي وحد بين جماهير الأمة العربية: بالروح بالدم نفديك يا مش عارف مين.. في كل الدول العربية تعلن الجماهير أنها مستعدة أن تبذل أرواحها من أجل فلان الفلاني وهي في الحقيقة لا تفعل ذلك.. وقد عقمت الحناجر العربية أن تجد هتافًا أكذب من هذا الهتاف!

أما الأغاني الجديدة، فهي فعلًا جديدة في تفاهتها وسخافتها.. ولم يعد المطرب الذي ليس مطربًا قادرًا على مواجهة الجماهير إلا بأن يسرق اهتمامها بعدد من البنات تتلوى وتتعرى فالمستمع مدعو لأن يرى وبعد ذلك يسمع.

ومرة قلت عبارة ظلمت فيها فريد الأطرش وصباح.. وهو موسيقار رائع وصباح مطربة جميلة الصوت والأداء. قلت: كانت الأغنية من (لحن) فريد الأطرش ومن (لحم) صباح..

أما اليوم، فلا نرى إلا اللحم، أما اللحن فلم يعد ضروريًا. وكما تحولت الأغاني القديمة إلى إعلانات عن مواد غذائية، تحولت الأغنيات الجديدة إلى لحوم شقراء تصرخ وتدعو المستمع أن يصرخ أيضًا.. وفي هذه الأثناء يظهر المطرب فلا نملك إلا أن نصفق له ونحن نعني اللاتي حوله من الجميلات الشقراوات الفاتنات.. ثم نسمي ذلك غناء وطربًا.. فلا هو غناء ولا فيه طرب، وإنما هو رقص واستعراض اللحم على حساب اللحن!

فهل هناك ما هو أسوأ من ذلك؟!نعم أن نسكت على التشويه والتخريف وندفع ونصفق.

اختـــاره
طـــه حسيـــن

تلقيت رسالة وفـاء وامتنان من د. مينا بديع عبدالملك أستاذ الرياضيات بالجامعة الأمريكية بالقاهرة تقول:

28 أكتوبر من هذا العام يوافق الذكرى الثلاثينية (1973 – 2003) لرحيل عميد الأدب العربي د. طه حسين إلى عالم النور و29 أكتوبر يوافق مرور ستة عشر عامًا (1987 – 2003) على رحيل الصحفي وعالم الآثار الفنان كمال الملاخ إلى عالم الأبدية في مركبة شمسية.. وبين العميد والأديب قصة لطيفة. فبعد أن تخرج كمال الملاخ في كلية الفنون الجميلة عام 1943 تم تعيينه مدرسًا في قسم العمارة بها فاتجه إلى الكتب ينهل منها الثقافة الجادة. وذات يوم جاءته مكالمة تليفونية تفيد بضرورة مقابلة د. طه حسين المستشار الفني لوزارة المعارف.. فقال له طه حسين: سمعت عنك الكثير وأنك موهوب وبالنسبة لعمرك نابغة وأطلب منك أن تتجه إلى الآثار.. فقال كمال الملاخ: ما لي أنا والآثار، فلقد عقدت العزم على أن أكون أستاذًا للعمارة والفن. فقال د. طه: وهل الآثار إلا عمارة وفن.. ثم قدم له نصيحة ذهبية: تعود أن ترى في مستقبل الأيام من يفتح لك طاقة نور.. أريد أن أمصر جو الآثار ولا أتركه إلى الأجانب.. أنت أولى بحضارة بلدك. حاول كمال الملاخ أن يراوغ د. طه فقال له: لكني لم أدرس الآثار. فأجاب د. طه: تدرسها بعد الظهر في الجامعة، معهد

الآثار.. إني منتظر منك الكثير: ثم أضاف على فكرة أنا عندما أنشد الراحة أمضي بضعة أيام في تونة الجبل عند سامي جبرة مدير معهد الآثار.. في جو الصحراء وعبق حضارة الماضي. وبعد ثلاثة أشهر قال كمال الملاخ للدكتور طه حسين: لا عودة إلى العمارة والفن.. لقد اخترت طريقي مع حضارة بلدي سأظل مع عمالقة الزمان. ولهذا السبب عندما سجل الأستاذ كمال الملاخ كتابه الرائع (قاهر الظلام) جاء في الإهداء: إلى رجل أضاء لي الطريق إلى الحضارة.. تحية إلى عظيمين خلعا الجسد الترابي والتحفا بالخلود أن تركا لنا تراثًا عظيمًا ننهل منه بلا شبع..

شكرًا يا دكتور فقد نسينا أو أنسينا ذكرى الأستاذ العظيم طه حسين والصديق الكريم زميل العمر رمز الوفاء والنقاء كمال الملاخ!

إيطاليـــة
مصريـــة..

شيء غريب كاتبة مصرية من إيطاليا، وكل ما حولها يغريها بأن تكتب فنًا جميلًا وأن تعيش.. ففي إيطاليا ألوان دافئة وحياة هادئة وروعة فنية في كل شارع وكل ميدان، فإذا ذهبت إلى الريف فهو الجمال وقد استحم في البحر وتمدد تحت الشمس ثم راح يغني، إنها مفاجأة من الأديبة المصرية د. نوال فهمي الدريني التي تعيش في أقصى الجنوب من إيطاليا في مدينة تارنتو التي لها جو الصعيد الجواني، حارة، والحياة تكاد تكون زراعية جميلة، والناس فيها جدعان، ولهجتهم الإيطالية: صعيدية.. ولذلك كان عجيبًا أن يصدر لها كتاب في موضوع غريب، المهم أنه أمتعها واستراحت إليه وعايشته، وقد استشارت عددًا من أساتذتها في مصر وفي سوريا، وشجعوها على أن تكتب، فكتبت دراسة في 250 صفحة بعنوان: (أبو العلاء وليوباردي ـ مأساة رجلين) أما أبو العلاء المعري (979 – 1058م) فنحن نعرف عظمته الشعرية وحكمته الفلسفية، عاش ومات أعمى، أما الشاعر الإيطالي فهو جاكمو ليوباردي (1798 – 1837م) والمسافة بينهما في الزمان والمكان بعيدة، وقد جمع بينهما أن الشاعر الإيطالي قد أصابه العمى بالتدريج، أصاب عينًا ثم أطفأ الثانية وتفجرت ينابيع العبقرية والحزن واليأس والكفر أيضًا، كانت للشاعر الإيطالي تجارب في الحب فاشلة ـ الواحدة بعد الأخرى، حتى قال: إنني ممنوع من الحب... أن أحب وأن يحبني أحد... حتى الله لم يعد يحبني!

تقول د. الدريني: بدأت ملاحظاتي عن التشابه بين رجلين بينهما ألف سنة بقراءة الشاعر الإيطالي، أما التي وضعت أصبعي على الطريق الصاعد الهابط إلى عالم ليوباردي فهي إحدى المطربات.. هي الأخرى أحبته وعلقت صورته واحتفظت بأبيات بليغة له.. وتقول إنها عكفت على دراسته أملًا في ترجمته إلى العربية.. ولكن شعره الرقيق المليء بالأسى والجمال استعصى على الترجمة..ثم أرسلت خطابًا إلى د. عبد الرحمن بدوي الذي كتب عن الشاعر ليوباردي فكتب لها رسالة خاصة... فقررت بعد قراءتها أن تذهب إلى أبعد من ذلك، وذهبت وتعمقت وعاشت وكتبت! وعايشت. ولذلك يمكن تسمية هذه التجربة قصة حب لرجلين يكرهان الحب ويكفران بالدنيا والآخرة ـ وبسبب هذه الألوان والأشواك كانت دراسة مثيرة جميلة!

أمنيــة
كـل زوجــة!

سيدة إسرائيلية حبست زوجها في الحمام أربع سنوات وقفلت عنه مياه الحمام. لا أحد يعرف كيف عاش وكيف لم يمت. وقد اكتشف الجيران هذا الشيء الغريب، الذي يصرخ ويئن. وجاء البوليس ليعرف أن هذه السيدة الشرسة قد ضاقت بزوجها المجنون. وهو مجنون لأنه يستحم خمس مرات يوميًا. وقد وجدت الزوجة متعة الدنيا كلها في أن تجلس أمام الحمام بعد أن تلقي له بالطعام من تحت الباب. وتجد لذتها الكبرى في أن تجده يشد بأظافره اللقمة وحبات الأرز ويقول: آه.. تقول السيدة إن صوت زوجها وهو يتوجع كان أعظم الألحان في حياتها.. وإنها لم تفعل أكثر مما تتمناه كل زوجة في الدنيا. وهي لذلك لا تستحق العقاب. فهي في رأيها الزوجة المثالية، التي لم تخف حقيقة شعورها. وهي المرأة الشجاعة التي لم تنتظر محكمة ولا قانونًا. وإنما نصبت المحكمة وكانت هي القاضي والمحامي والسجان.. ولم تجد صعوبة في تنفيذ العقوبة.. ولم يعارضها ضميرها. وإنما هو مستريح تمامًا. ولذلك لم تكن ترى ضرورة لأن تنام في فراشها وإنما أمام الحمام ليسمع زوجها صوت الشخير دليلًا على راحتها، وعلى إمعانها في التعذيب والإذلال!

إن شجرة الدر كانت أرحم بزوجها. فبعد أن أدخلته الحمام الدافئ.. هاجمه الخدم وضربوه بالقباقيب حتى مات بعد نصف ساعة.

ولا من شاف ولا من دري. وكل ما فعلته شجرة الدر هو أن غيرت ملابسها وتأنقت وتألقت وجمعت قادة البلاد وحكمت مصر 80 يومًا بدعوى أن زوجها مريض. وراحوا يخطبون باسمها في المنابر ويطلبون من الله أن يطيل عمر الست أم خليل ملكة مصر..

بينما كانت امرأة أخرى هي الزوجة الأولى واسمها الست (أم علي) كانت تصنع قباقيب أخرى. وهجم الخدم على شجرة الدر في حمام البخار الدافئ وقتلوها بالقباقيب.. وألقوا بجثتها إلى جوار القلعة ليجيء اللصوص ويجردوها مما في عنقها وأذنيها وأصابعها وحول خصرها، وابتهجت الست أم على وصنعت الفتة المشهورة باسمها: (أم علي) وأكلت وأطعمت المئات.. ومن يومها ونحن نأكل، أم علي، ونضع فيها الزبيب – دون أن نعرف أنها سيدة شرسة قد قتلت سيدة أخرى انتقامًا منها ومن زوجها..

حتى في التعذيب.. فإن العرب أرحم من بني إسرائيل اليوم وبالأمس وغدًا!

بل سرقـــوا
الساميـــــن

إسرائيل سوف تكمل الحائط الفاصل بينها وبين فلسطين. فما الذي يمنعه أو يحميه هذا الحائط؟ ولا حاجة ولا أي شيء.. إن هذا الحائط قد إقامته إسرائيل: طوبة من خوف وطوبة من كراهية.. هذا الحائط لم يمنع عن إسرائيل دعوات الخطباء في المساجد، يلعنون إسرائيل واليهود والصهيونية وأمريكا وشارون وبوش. وقد سقطت قبل ذلك كل الحوائط: حائط الصين وحائط سجفريد الألماني وماجينو الفرنسي.. وقناة السويس التي ظنها اليهود مانعًا للعبور من أرضنا في الدلتا إلى أرضنا في سيناء.

ولم يمنع الحائط الثورة على إسرائيل في أوروبا فقد دلت استفتاءات الرأي العام الأوروبي على أن 60٪ من الشعوب الأوروبية ترى أن إسرائيل هي محور الشر.. وهذا الحائط لم يمنع نسف المعابد اليهودية.. ولم يمنع كثيرًا من الأفراد الأحرار في إسرائيل وفي أوروبا من أن تجاهر بالغضب على إسرائيل وشارون..

واتهام إسرائيل لكل إنسان يكتب كلمة عن هتلر أو ضد الهولوكست (الحريق الشامل لليهود في معسكرات الاعتقال) بأنه عدو للسامية

.. هذه التهمة لم تعد تخيف أحدًا. وإنما يكون الرد عليها: بل حكام إسرائيل ليسوا ساميين وإنما هم أوروبيون سرقوا أرضًا في بلاد الساميين..

يا ترى هل سعد زغلول باشا وهو على فراش الموت قد قال: مفيش فايدة؟

وإذا كان قالها فما المعنى؟ طبيعي أن يقول أي إنسان على مدى دقائق من الموت إنه لا فائدة من الدواء والبكاء، ولا فائدة من كل ما عاناه من عذاب.. حتى لو لم يكن قد قالها، فإن أي إنسان من الممكن أن يقولها.. فهل سعد زغلول كان قد تنبأ بمصير القضية الفلسطينية.. وأنه مفيش فائدة من كل محاولات السلام الكاذب..

ولا من التعاويذ السحرية المسماة: كامب دافيد الثانية وأوسلو وسويسرا؟

..وأن الذي قالته جولدا مائير للسادات في القدس هو الحقيقة التي يسير عليها كل زعماء إسرائيل.. فعندما حدثها الرئيس السادات عن قيام دولة فلسطين قالت: ليس في حياتي.. فقال لها: في حياة الذين من بعدك.. فكان ردها: ولا في حياة هذا الكون. فإذا كان هذا هو يقين زعماء إسرائيل، فمفيش فائدة.. ومفيش سلام!

شكـــرًا
ألــف مــرة!

بناتي وأبنـائـي الأعـزاء الـذين ينامون ويقومون على صدر الكمبيوتر. شكرًا جزيلًا على مئات الرسائل التي تلقيتها في الأيام القليلة الماضية. فلم أكن أعرف أن الكمبيوتر منتشر إلى هذه الدرجة. وأن الشبان والأطفال يفضلون الكتابة على الكمبيوتر على الكتابة بأيديهم وباللغة الأوروبية على اللغة العربية. شكرًا.. ولكن بعض الرسائل طويلة جدًا. وليس عندي وقت لتحويلها إلى رئيس مجلس الوزراء ورؤساء البنوك ومكاتب الزكاة ومفتي الديار. ثم إنني لست قاضي الغرام ولا شيخ البلد ولا مأذون طوارئ.

أما البنات الصغيرات الظريفات الجميلات فأرجو يا بناتي مراعاة فروق التوقيت - فقد جاءتني هذه الرسائل متأخرة خمسين عامًا. ومع عظيم امتناني أرجو الاستماع إلى صوت (الست) وهي تقول: الحب وسيرة الحب.. وحب إيه اللي انت جاي تقول عليه.. أما الكتكوتة (14 سنة) التي تكتب بالإيطالية فوالله أسلوبك جميل جدًا. فإن كان هذا أسلوبك فأنت أديبة يا آنسة كليليا يوسف. وإن كان الذي تكتبين منقولا من كتب أخرى فهي جميلة. وأشكرك في الحالتين..

أما الزملاء في المكاتب الصحفية بالسفارات فشكرًا على هذا الاهتمام، ويكفيني هذه الإشارة إلى المقالات والأبحاث هكذا: أقرأ مقالا بقلم فلان على الموقع الفلاني وبس! وأخص بالذكر السيد

على درويش بالسفارة الأمريكية والسيد إسرائيل – بسفارة إسرائيل.. وبمنتهى الأمانة فأنا لا أستطيع أن أقرأ المقالات الطويلة ولا القصص، ولا أعد أحدًا بأنني سوف أرد عليه. أولًا ليس لي كثير من الصلاحيات والقدرة.. فلا أنا رئيس مجلس الوزراء ولا أحد من الوزراء، ولا أنا رئيس لأي بنك من البنوك. ولا أنا حلال العقد، مفرج الكروب، الواقف على باب الجنة.. وإنما أنا واحد غلبان عاش مكسور الرقبة على الكتب وأخيرًا على الإنترنت، وعيناي في نهاية كل يوم في لون الدم: إرهاقًا وأرقًا وعذابًا.. وأتوسل إلى الله وأتسول المعاني والكلمات..

ولا تنسوا أيها الأبناء الأعزاء والأصدقاء أن قراءة الإنترنت مثل قراءة المكتوب على سطح الشمس: وجع في العين وصداع في الرأس. وكنت أتمنى لو كانت لي عينا صقر أو قط أو ذئب..شكرًا جزيلًا. وأرجو ألا يكون الإعلان عن عنواني على الإنترنت جريمة أستحق عليها العقاب!

قــل لــي
وأنــا أقــول لــك!

سلامة مصر من سلامتك يا ريس.. ولا أعرف هل يجوز لي أن أقول ما يقال في مثل هذه الظروف العارضة. أعتقد أنه يجوز يا ريس.. بل واجب علينا أن نقول.. فحياتك غالية علينا يا ريس.

والنبي ﷺ يقول: إن لبدنك عليك حقًّا، يعني إذا عملنا وأرهقنا أجسامنا يجب أن نستريح لنستأنف حياتنا أقوى وأكثر انتعاشًا وكفاءة. فإذا لم نسترح بالذوق، فإن المرض سيفرض علينا الإجازة بالقوة. والرؤساء في الدنيا حولنا يلعبون ويصيدون الأسماك، ويركبون الخيل، فهذا حق لهم. وحق لنا عليهم أيضًا. ولمصلحتنا أن تهدأ أعصابهم حتى تثبت أيديهم على عجلة القيادة، وحتى يروا أوضح ويقرروا ويديروا أحكم.. إن بعض الدول ترفض أن يجلس أحد إلى جوار سائق التاكسي، فلا ينشغل السائق عن عمله المتواضع والطريق أمامه.. مع أنه مسئول عن راكب أو اثنين وليس سبعين مليونًا.

والمثل يقول: قل لي ما الذي تفعله في اليوم السابع أقل لك ماذا فعلت في الأيام الستة. وفي التوراة إن الله خلق العالم في ستة أيام واستراح في السابع – سبحان الله. ولكن المعنى أن الراحة مقدسة. ولقد اندهش العالم كله عندما قرر توني بلير رئيس وزراء بريطانيا أن يأخذ (إجازة وضع) مع أن التي وضعت هي زوجته، ولكنه القانون

يعطي هذا الحق للزوج أيضًا، ولكن رئيس الـوزراء لابد أن يطبق القانون، وأن يتفرغ للأم والطفل. وكان في استطاعته أن يكون الأب ورئيس الوزراء معًا، ولكنه وجد أنه لا يستطيع أن يتفرغ لعملين في وقت واحد. فنفذ القانون الذي يفيد الأم ويحمي الطفل، فاختار إجازة من أعباء الحكم، وقال يومها: من الواجب أن أتقدم بالشكر لابني (ليو) الذي منحني إجازة كنت أحلم بها!

سلامتك يا ريس.. وإن كنت في شك من حب الشعب لك وحرصه عليك وعلى سلامتك وقيادتك وحكمتك، فقد كان هذا الاستفتاء الشعبي، والنتيجة الجارفة قد عرفتها في دموع الناس في مصر ولهفتهم خارجها.. فأنت أحب الناس إلى الناس.. لقد سلمت بك مصر، فسلامتك لمصر ولنا يا ريس، وكل سنة في صحة وعافية!

مـــي
زيـــــادة..

لم تعرف عاصمة في الدنيا ما عرفته باريس في القرون 17، 18، 19، 20، فقد كانت فيها صالونات أدبية.. كانت للرجال فقط، ثم صارت للرجال والنساء.. كان يتولاها الرجال، وبعد ذلك صارت صالونات لسيدات أديبات أيضًا. من أشهرها صالون مدام جريفان وريكا ميسه ودي شتايل وجولييت آدم التي كانت ترعى مصطفى باشا كامل.. ومن أشهر صالونات الرجال صالون الشاعر فيكتور هيجو في القرن19. وكان يضم الأدباء والشعراء والساسة. وكانوا يسخرون منه، فيقولون إنه صالون الرومانسيين. وكانوا يقصدون بذلك أن الناس كانوا يرتدون ما يعجبهم من الملابس. ولم يتقيدوا بما هو محترم في باريس.

وتقوم هذه الصالونات على فن الحوار أو متعة الحوار.. وكانت هذه الصالونات هي المولد الطبيعي للأدباء الشبان والساخطين والثوار بعد ذلك.

ولم تعرف القاهرة إلا صالون (مي) وكان يتردد عليه كبار الأدباء والمفكرين في مصر. ولأن مي كانت سابقة لزمانها أو امتدادًا للصالونات الأدبية في فرنسا وألمانيا. فقد التف حولها وأحبها كل أدباء مصر: طه حسين والعقاد ومصطفى صادق الرافعي ولطفي السيد وجبران خليل.. أما العقاد فأحبها ويقال إنها أحبته، وأما

صادق الرافعي فهو الذي أحبها فعلًا وادعى أنها أحبته وهي أنكرت ذلك تمامًا. ولكن لا يهم أنها نفت ذلك.. فلا يزال الحب الفاشل هو أعظم وأروع ما عرف التاريخ. وما كتبه صادق الرافعي عن مي أجمل من مي، فهو نموذج للحب العبادة ـ فهو من طرف الرافعي.

وعايشت أنا صالون العقاد، وانبهرت واستمتعت وسجلت ما دار في صالون العقاد من مناقشات فلسفية وأدبية وتاريخية.. وكيف أنني عندما جئت من المنصورة إلى القاهرة دخلت جامعتين معًا: جامعة القاهرة وجامعة العقاد. وكانت جامعة العقاد أمتع وأجمل. فأنت والأستاذ وجهًا لوجه.. صوتًا لصوت أملًا وعظمة.. نراه يفكر ويحلل ويبدع.

ولم أشهد جلسات لتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ.. أما صالون طه حسين. فقد انشغلت بالعقاد عنه. وأسفي على ذلك عظيم. وحاول أصدقائي: رجل الأعمال فريد خميس، والوزير حسب الله الكفراوي والمهندس أحمد المسري أن يجعلوا لي صالونًا في أحد الفنادق. شكرًا لهم على حسن الظن.. ولكن فات الميعاد فات – كما تقول الست أم كلثوم!

المفتـاح صغيـــر..

كان أستاذنا العقاد يقول: إنه يعيش على الطعام المسلوق، ولكنه يقرر في يوم أن يأكل الممنوعات ليعرف مدى قدرة معدته وأمعائه على الهضم...

وكان العقاد يقول لنا إنه استطاع أن يكتب عن عبقرية محمد والمسيح والصديق وعمر.. وأن الله قد يسر له ووفقه وهداه وأرضاه، وبقي أن يجرب عقله فيما هو أكبر وأعظم وأصعب فيكتب عن (الله) ..

وكتب العقاد عن (الله) وراعنا وروعنا ونورنا وأمتعنا وبهرنا، لقد استطاع العقاد أن يحشد كل القضايا والمشكلات، وأن يذيبها حلولًا، وكان أسلوب العقاد أن يوقفك أمام قصر ضخم أو قلعة منيعة ثم يقدم لك بكل بساطة مفتاحًا صغيرًا ويقول لك: تفضل، وتنظر إلى المفتاح الصغير ويدهشك كيف استطاع.. كيف تحولت العقد وعلامات الاستفهام والتعجب إلى حلول ومصابيح مضيئة على جانبي طريق مرصوف إلى غياهب القضايا الدينية، والمشكلات الفلسفية، إنه العقاد حلال العقد...

وربما بسبب هذا الذي ذكرت وعرفنا ونحن صغار في (صالون العقاد) خطر لي: ولماذا لا أكتب أنا أيضًا عن الرسول ﷺ، صحيح هناك ما لا عدد له من الكتب في كل اللغات.. ولكن كتابنا الكبار قد

اهتدوا إلى مداخل وأبواب ومفاتيح: هيكل باشا والعقاد وطه حسين والحكيم ومحمد صبيح وعبد الرحمن الشرقاوي، ومئات غيرهم، اهتدوا إلى خيط البداية ومضوا حتى النهاية، كل في طريق... وسألت من هم أكثر علمًا، ووضحت حيرتي تمامًا، وتخيلت أنني لو جربت قلمي في كتاب عن عمر بن عبد العزيز أكون قد اقتربت من عمر بن الخطاب، وأصبحت على عتبات الرسول عليه الصلاة والسلام، وهلل الناشر الكبير محمد المعلم ووعد وأعطاني الكثير من المراجع الإسلامية... حتى أصدرت كتابي (طلع البدر علينا) سنة 1964 وأحسست أن هذا الكتاب هو مقدمة فلسفية صوفية إيمانية للكتاب الذي أتمناه.. وأن الباقي سهل.

هكذا قلت لنفسي... ومن يومها كتبت مائتي كتاب إلا هذا الكتاب.. لقد شئت ولكن الله لم يشأ.. فمن يدري؟ ربما استطعت فاسترحت..

غلطة قاتلة

الطائرة التي حملت القنبلة الذرية لإسقاطها على اليابان سنة 1945، تلقت رسائل شفرية تقول: أمامكم أربعة أهداف: كولورا وميجانا وهيروشيما ونجازاكي. اضربوا الهدف الذي ترونه بوضوح. وجاءت رسالة شفرية تقول: ثلاثة أهداف غطتها السحب. أمامكم هدف واضح غطت السحب ثلاثة أرباعه.. وكان الهدف هيروشيما! لماذا؟ إنها الصدفة. إنها أحوال الطقس. فمات مائة ألف نسمة في لحظة واحدة. وتشوه مليون. والمزارع والحدائق كلها ماتت.. والأرض لم تعد صالحة للزراعة. إنها الصدفة..

وفي المعارك الحربية تكون الخطة العسكرية دقيقة وباهرة. ويكون القائد غبيًا أو يكون ذكيًا ولكنه وقع في غلطة قاتلة. من ضمن الأخطاء القاتلة أن قوات هتلر أسرت ثلاثة ملايين روسي في يوم واحد. فكان انتصارًا ساحقًا وغلطة شنيعة!

وأخطأ هتلر في تقدير ذكاء ستالين..

وأخطأت روسيا في فهم رسالة بعث بها عميل ياباني عن بدء الحرب وعن أهداف هتلر..

وفي معركة ووترلو انهزم نابليون العبقري. وكانت غلطته غلطة ذكاء. فقد حسبها خطأ. بينما القائد الإنجليزي ولينجتون قد عرف

ذكاء نابليون، وأنه عصبي أيضًا، فهو بسرعة سوف يغير خطته. فكان ما توقعه. وانحسمت المعركة لصالح الإنجليز!

وفي حرب الخليج قيل: لأول مرة في التاريخ ينهزم جيش بري أمام قوات جوية!

إنهم الرجال الذين يكسبون الحروب وليست الآلات.. وهي الأخطاء البشرية دائمًا!

أدعوك إلى قراءة الترجمة العربية لكتاب عنوانه (دور الصدفة والغباء في تغيير مجرى التاريخ) من تأليف إريك دورتشميد ترجمة محمد حبيب (منشورات دار الصدى للثقافة والنشر) في 370 صفحة.

صور رهيبة يقدمها لنا المؤلف عن أبشع الحروب في التاريخ.. ويدعونا إلى أن نطيل النظر إلى صور هيروشيما.. كيف كانت وكيف صارت. من هو الأحمق الذي ارتكبها؟ وما الثمن؟ وما الدافع؟ وما الهدف؟ هل هذه الحرب هي آخر حماقات البشر وآخر جنون القادة؟ وهل لا يزال العلماء يطورون الدمار دون أن يخجلوا من أنفسهم؟. كلها أسئلة لنا وعنا ومن أجلنا. فإن شئنا حولنا الكرة الأرضية إلى أكبر مقبرة في التاريخ وللتاريخ!

صـــورة أعماقنــــا

أنت لست في حاجة إلى أن تغوص في أعماق المحيطات والبحار لتعرف تركيب الماء. قطرة واحدة تكفي. وإذا نظرت إلى هذه القطرة تحت الميكروسكوب فسوف تجد حركة مجنونة كأنها (ميدان السادات) في ساعة الذروة مع تخبط السيارات وإطاراتها فوق الأرض وسقوطها من الجو، وأن لها ألوانًا غريبة وتطلق إشارات ضوئية ـ مع أنها قطرة واحدة.. وكذلك لسنا في حاجة إلى أن نفتح بطن ألف.. مليون إنسان لنعرف تكوين الجسم البشري. واحد يكفي.. فقد ظهرت الترجمة العربية لرواية فرنسية اسمها كانت ليلة – للأديب براندو في 220 صفحة، ومن ترجمة د.دولت أحمد الشناوي. هذه الرواية عجيبة حقًا. إنها اختارت ساعة واحدة من الزمان في بار صغير في حي مونبرناس بباريس. وفي البار صاحبة البار وزبون واحد. هو يقول وهي ترد.

هي تقول وهو يستنكر أو يتشاغل عنها بالشراب.. ما الذي قالاه في الأدب والشعر والفن والسياسة والقضاء والقدر ؟ وعلى الرغم من أن أحدًا لم يدخل البار في هذه الساعة، فإن إحساس الاثنين، وقد شربا كثيرًا، أن هناك أناسًا كثيرين أطلوا برءوسهم ولم يدخلوا. أو دخلوا فلم يجدوا حفاوة من صاحبة البار فخرجوا.. أو وجدوا أن الزبون الوحيد قد خلع معظم ملابسه.

ولم يفهموا ولكنهم استنكروا.. هل أطل كلب ثم تشجع فدخل وراح يشمشم في المكان.. هل دخل وطواط.. ثم خرج.. هل الحركة على الجدران هي أشباح الموتى.. أو هي ألسنة الموقد تتلوى.. تذكرت سطوح (عمارة يعقوبيان) للأديب علاء الأسواني.. السطوح كأنه سقف الدنيا.. حياة وهيصة ومشاكل ومشاعر وصراع واستعداد لذلك.. كأن سطوح (عمارة يعقوبيان) هو يوم القيامة.. يوم الحشر.. الناس فوق ومشاعرهم تحت.. هم السماء ومشاعرهم في الحضيض.. هل الناس اللي فوق في الحضيض، والناس اللي تحت في السما.. إن سطوح (عمارة يعقوبيان) ليس إلا نقطة تحت الميكروسكوب.. نقطة من محيط.. عينة بشرية.. لعنة إنسانية.. مأساة.. حقل للتدريب على الرماية والقتل والدمار.

إنها صورة بشعة لأعماقنا، ولكنها أعماقنا.. تقول الأديبة الفرنسية على لسان بائع الصحف: لست مخمورًا ولا كاذبًا أنا صادق تمامًا.. ففي كل مرة أدخل هذا البار أحس بأن كل ما جاء في الصحف صباح اليوم قد قفز من الصفحات ودبت فيه الحياة وانحشر في المكان الضيق.. الدنيا هنا والآخرة أيضًا والعذاب مباح للجميع ومجانًا! حلو الكلام ؟ نعم!

مـــن
أحمـــد وريـــث..

يـاه.. والله زمان. أخيرًا جاء هذا الشاب الليبي الخجول: محمد أحمد وريث.. بعد أربعين عامًا أصبح د. محمد أحمد وريث رئيس تحرير مجلة (تراث الشعب) منذ 15 عامًا. والمشرف على مجلة (مجمع اللغة العربية) .وقد جاء في عددها الأول أن كلمة (وريث) خطأ لغوي. وصحتها: (وارث)! جاءني الشاب الليبي محمد أحمد وريث. شاب رقيق لطيف خجول يريد أن يكون كاتبًا في بلاده. وقد أتيحت له فرص النشر، فعندما كنت مشرفًا على (أخبار الأدب) في جريدة الأخبار، أعطيته مكانًا ليكتب مرة. ووجدت أنه متأثر بالأسلوب المصري الصحفي السهل السريع. ولا يزال كذلك.

وقد أضاف إلى سهولة العبارة الكثير من الدراسة المتخصصة المتعمقة. ولابد أن له مكانًا مرموقًا في بلده، فهو مجتهد، واجتهاده واضح في قضاياه الأدبية والنقدية والتراثية. وقد بعث لي ببعض كتبه: الحب.. ما منع الكلام (..حولية المجمع – مجلة مجمع اللغة العربية – طرابلس): وفي (إيقاع الشعر العربي) وكتاب إسلام لا هذيان قد أهداه: إلى الذين يدعون إلى تنوير عقول الناس ويؤمنون بأن أصولية الإسلام تكمن في سماحة جوهره الحقيقي الذي يحض على المجادلة بالتي هي أحسن وينبذ المحاورة العقيمة المبنية على

التعصب والأحكام المسبقة. وكتاب (فطاني – ثورة مجهولة تواجه المستحيل) .وفطاني هذه منطقة في تايلاند يسكنها المسلمون وكانت دولة مستقلة، ولكن أدركها الاستعمار ويريد اليوم أن يمحوها أرضًا وشعبًا ودينًا.. ثم (تراث الشعب) .

وربما كانت الصحافة الليبية تختلف عن الصحافة العربية.. أو عن الصحافة المصرية بصفة خاصة. لا أعرف. ولكن من المؤكد أن د. وريث، وإن كان عالمًا متخصصًا فإن له أسلوبًا صحفيًا سهلًا. ولذلك لا خوف منه ولا خوف عليه إن هو تناول أية قضية مهما كانت متخصصة عسرة الهضم، فإنه قادر على أن يجعلها سائغة سهلة مفهومة لأقل الناس تخصصًا. ولست أدري إن كان هذا هو أيضًا رأي بني وطنه وأبناء مهنته في بلاده.

وأنا لا أتفق تمامًا مع الشاعر الذي يقول:

أما الطعام فكل لنفسك ما اشتهت

واجعل لباسك ما اشتهاه الناس

بالعامية المصرية: كل اللي يعجبك والبس اللي يعجب الناس. لا.. أنا آكل ما يعجبني وألبس ما يعجبني أيضًا.. أقرأ ما يعجبني وأكتب ما يعجبني.. وما دمت حريصًا على أن أكون مفهومًا مفيدًا ممتعًا فسوف أعجب الناس – وكذلك يفعل د. وريث!

أدب الحنيــــن

هذا هو أدب الحنين إلى الوطن.. أو أدب أبناء المهجر الذين تركوا بلادهم، ولكن حملوها في قلوبهم وأحلامهم.. فهم لا يكفون يتحدثون عنها وبلغتها.. وإن لم تكن كتاباتهم موجهة إلى أهلهم.. وإنما هي نوع من الحديث إلى النفس.. فأمامي قصة حياة الأديب الإسرائيلي المصري الأصل موريس شماس (أبو فريد) ..قصة حياته اسمها (عزة – حفيدة نفرتيتي).. وعزة أو عزيزة هي زوجته المصرية، وكانت لأبو فريد مجموعة قصصية قرأها الرئيس السادات فكتب إليه يقول بتاريخ يوليو سنة 1979: طالعت كتابك (الشيخ شبتاي) بما فيه من روح مصرية ذات أصالة واضحة، وهذه القصص تؤكد أن الفن ينبع من القلب، والشعوب لها قلب واحد وعقول متعددة. ولذلك كان الفن أقدر على التقريب بين الناس بالحب والجمال والصدق.. أرجو أن يكون الفن دائمًا رسول المحبة والسلام بين الناس.

وأبو فريد (71 عامًا) قد غادر مصر سنة 1951 إلى وطنه إسرائيل.. ومن وطنه الثاني إلى وطنه الأول، وهو في كلا الوطنين قد تعذب.. في مصر رأى الأهوال وعايشها وتجاوزها في حارة اليهود.. ثم عندما ذهب إلى إسرائيل في السنوات الأولى لقيامها شرب المر والجوع والعطش وقسوة الحياة في الأرض الجرداء والمستنقعات..

وأهم ما جاء في كتاب أبو فريد هو قصة حبه لزوجته التي توفيت بعد 47 عامًا من الزواج السعيد.

الأديب أبو فريد لا أحد يقرأ له، أو عنه اللهم إلا المصريون في إسرائيل الذين عاشوا سعداء في مصر حتى ما لقوه من عذاب فقد نسوه، والذي يسمع الإذاعات العالمية التي تستعين بالمحللين السياسيين المصريين في إسرائيل مثل فكتور نحمياس، ومائير كوهين، وغيرهما يجدونهم يتكلمون باللهجة المصرية التي يحرصون عليها، حرصهم على دينهم.

وكما قال له الرئيس السادات: فإن الفن هو رسول السلام والوحدة بين الشعوب، فالشيء الجميل هو جميل لصفاته ولذاته.. ليس لأن الذي يصوره بالكلمة، أو بالخط، أو بالمساحة، أو بالصور مسلمٌ، أو مسيحيٌّ، أو يهوديٌّ، وإنما للجمال كيان وقدرة على أن يفرض نفسه بالذوق وليس بالحديد والنار.

وكتاب أبو فريد.. آهة وصرخة ودمعة باللغة العربية، واللهجة المصرية السهلة.. إنه أدب.. إنه فن جميل!

١٤
تعديـــــلًا!

مبادرة جنيف مرفوضة رسميًا وشعبيًا في إسرائيل، وشعبيًا في فلسطين..فاليهود يرون أن فيها تنازلات كثيرة.. والفلسطينيون يرون أن فيها إهانة وهوانًا لا يستحقهما الشعب المكافح.. وإسرائيل ترى أن من لا يملك يفاوض من لا يستحق.. وأن المفاوضين من إسرائيل لم يفوضهم أحد، ولا يملكون تنفيذ كل هذه الأحلام. وإنها مظاهرة دولية وبس. ويرى باراك رئيس وزراء إسرائيل السابق أنها مكافأة سخية للإرهاب..

والأمريكان يرون ما تراه إسرائيل من أن (خريطة الطريق) هي الاقتراح المعروض للمناقشة.. وهي المعتمدة دوليًا.. ولكن خريطة الطريق اعترض عليها شارون ورأى إدخال 14 تعديلًا عليها لتكون مقبولة ـ أي لتكون مقبولة كموضوع للمناقشة، وليست مقبولة كاتفاقية يتم التوقيع عليها!

يعني إيه؟ يعني أن الطريق الطويل الذي بدأ بمؤتمر مدريد وأوسلو وواشنطن وأريحا وشرم الشيخ وانتهى بجنيف، لا يزال طريقًا مفتوحًا متعدد الفروع والتقاطعات والمطبات وحقول الألغام.. وأن هذا الطريق دعوة صريحة لكل من يريد أن يعترضه. وأنه لا حماية ولا أمان ولا ضمان لكل من تحدثه نفسه بالسير فيه!

يعني إيه؟ قالوا في إسرائيل نحن في حاجة إلى رئيس وزراء فلسطيني مسئول نكلمه وجاء أبو عباس! وكما جاء ذهب وترك وراءه خلافات وصراعات، وجاء أبو علاء يشق طريقًا شاقًا من خلافات وصراعات، واستقبلته إسرائيل لا بحجر واحد.. ولكن بحائط به مئات الألوف من الأحجار.. هو يقول لا مفاوضات إلا بعد وقف بناء الحائط.. وإسرائيل ترى أنه لا مفاوضات إلا بعد إنهاء الحائط.

فلا يبقى إلا أن يذهب أبو علاء وتقرر إسرائيل وكذلك الشعب الفلسطيني بكل فصائله لوم الرئيس عرفات.. والحل أن يذهب. فإذا حدث شاعت الفوضى في فلسطين. وهنا تقول إسرائيل إن الوضع في فلسطين خطر على أمنها وحياتها. وأنه لا مفر من احتلال فلسطين. وتتدخل أمريكا، ومن باب الشفقة بفلسطين والشعوب العربية تطالب أمريكا بفرض الوصاية على فلسطين. وتعود إلى عصر الانتداب البريطاني- فإذا حدث فهي أفدح غلطة تقع فيها أمريكا بعد العراق وأفغانستان والسبب: إسرائيل!

سعداء والسلام..

سكان نيجيريا هم أسعد أهل الأرض.. إنها نتيجة إحصائية ودراسة علمية أجريت في 65 دولة، وآخر هذه القائمة أهل رومانيا الذين هم أتعس الناس. وقبل أهل رومانيا جاء أهل روسيا، وأرمينيا. وأمريكا تجيء في المرتبة العشرين، وكذلك معظم دول أمريكا اللاتينية، أي الشعوب التي ترقص وتغني وتشرب ليلًا ونهارًا، ومع ذلك لم تجئ في أول قائمة السعداء!

نشرت هذه الدراسة مجلة إستاتسمان الأمريكية، ولكن ما هو مفهوم السعادة عند الباحثين؟ رأي يقول: السعادة هي النجاح الشخصي، وهذا ما يؤمن به الأمريكان.. أو السعادة هي النجاح العائلي، وهذا رأي اليابانيين.

والسعادة هي في الحب، وهو رأي الفرنسيين.. والسعادة في الحب والشرب، وهو رأي الإيطاليين.. والسعادة هي في الحب والشرب والفلوس، وهذا رأي الإسبان.. والسعادة هي أن تكون مرفوع الرأس وأنت ذاهب إلى عملك وفي عودتك إلى البيت، وأن تنظر إلى الدنيا كلها من فوق لأنك فوق.. شخصيًا وحضاريًا، وهذا هو رأي الألمان.

أما أهل نيجيريا فهم أسعد خلق الله، لماذا؟ لأنهم راضون عن نصيبهم في الدنيا.. فالقليل يسعدهم والكثير لا يفسدهم.. والبهجة

هي شعارهم اليومي، فماذا يفعلون؟ ليس من الضروري أن يفعلوا أي شيء. يكفي أنهم أحياء يروحون ويجيئون، سواء كان هناك هدف أو لم يكن، وإذا عادوا إلى بيوتهم فهم سعداء إن وجدوا أحدًا أو لم يجدوا، فالحياة يجب أن تكون سهلة، وأن تكون مشكلاتها ترابًا تحت قدميك، أو تحت قدميك العاريتين، وفلوس الدنيا كلها لا تشتري السعادة لأحد.. وانعدام الفلوس لا يسبب التعاسة لأحد. يكفي أن يكون الإنسان حيًّا وعنده رغبة في الطعام، وفي النوم، وأن تطلع عليه شمس يوم جديد.. حتى إذا لم تطلع فيكفيه جدًّا أنه عاش قبل طلوعها!

أما إذا كان هذا رأي نيجيريا – كما يقول الاستفتاء – فهم فعلًا أسعد الناس، وهم على عكسنا تمامًا!

تاريـــخ
الجبرتـــي

أرجـوك مخلصًا أن تقتني كتاب المؤرخ المصري عبد الرحمن الجبرتي في ذكرى مرور 250 سنة على مولده. في المكتبات طبعتان أحسنهما طبعة (مدبولي)، الكتاب في أربعة مجلدات. اسمه (عجائب الآثار في التراجم والأخبار) إعداد وتحقيق عبد العزيز جمال الدين، الذي بذل جهدًا هائلًا في توضيح وشرح وهوامش ومقدمات لهذا السجل التاريخي الفريد. وأهم ما في كتاب الجبرتي هو الجزء الرابع عن الغزوة الفرنسية في 1100 صفحة. فالأستاذ عبد العزيز جمال الدين لم يترك شيئًا غريبًا لم يشرحه، ولا ترك كلمة أجنبية إلا أعادها إلى أصولها القديمة.. ثم إنه أضاف إلى الكتاب رسومات وصورًا نقلًا عن كتاب (وصف مصر) وهو الموسوعة التي كتبها علماء الحملة الفرنسية عن مصر أرضًا وزرعًا وحيوانًا وإنسانًا وتاريخًا وفنًّا وعلمًا وترجمها زهير الشايب وزوجته..

أما الجزء الأول فعن الغزو العثماني لمصر. والجزء الثاني عن قيام وسقوط علي بك الكبير. والجزء الثالث عن نهاية المماليك.

وأهمية كتاب الجبرتي أنه يحدثك عن مصر قبل الحملة الفرنسية التي فتحت عيون الدنيا الحديثة على مصر، وفتحت عيون المصريين على حالهم عندما اصطدموا بالحضارة الغربية.. والجبرتي أحسن

نموذج لذلك. فقد انبهر بالثقافة الفرنسية وانبهر بروح الحرية الفرنسية وقد رأى منهم وعندهم ما ليس فينا ولا عندنا. وبقدر إعجابه بالفرنسيين، بقدر كراهيته للظلم والعنف.

إن الحملة الفرنسية على مصر لم تحقق لفرنسا شيئًا كثيرًا ولكن الذي تركته في مصر وحققته وفتحت الطريق له شيء كثير. فقد غيروا الدنيا أمام المصريين وأمام المثقفين..

وقد كان الشيخ عبد الرحمن الجبرتي، وهو الشاهد الوحيد على الغزو الفرنسي لمصر، رجلًا ذكيًّا منصفًا. وكان مؤرخًا من الدرجة الأولى لم يكتب إلا الذي رآه. وكان شديد الحذر في كل ما يتناقله الناس، وكان يقول: رأيت وسمعت وأظن، وعندما ذهب الشيخ الجبرتي وآخرون لرؤية المكتبة التي حملها الفرنسيون إلى مصر تناولها بالعقل، فقد وجد كتابًا عن السيرة النبوية وصورة للنبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء. ولما رأى الصورة لم يكفر الفرنسيين.. وإنما قال: إن هذه الصورة هي حسب ما تخيلوه. وكان المتوقع ألا يلمس الكتب وأن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم والكفر المبين.

ولهذه الروح الموضوعية اعتبره توينبي، عميد المؤرخين الإنجليز، أعظم مؤرخ في كل العصور!

معضلة العراق..

ليس سرًا دور أمريكا في كل الحركات الإرهابية في الشرق العربي. كم عدد الزعماء الذين ساعدتهم بفلوس وجوازات السفر!! وكم عدد الجماعات التي تسللت إليهم.. ومن الذي يتبع المخابرات المركزية، ومن الذي يتبع الأمن الفيدرالي؟ ومن في المخابرات البريطانية؟

وهذا طبيعي، فأجهزة الأمن في أي دولة لها اختراقات في كل التجمعات من كل لون، هذا ضروري، ولكن إذا كان هذا حال الأمريكان الذين يريدون أن يعلمونا: دال كسرة دال: ديمقراطية.. وألف كسرة ألف: إرهاب..

صحيح أن الذين فرحوا بالقضاء على صدام، لم يسعدوا بأن يحتل الأمريكان العراق حماية للعراق، وللخليج، وتهديدًا لإيران، وعبرة لبقية الدول الشرق أوسطية.

وإذا كان الأمريكان يريدون أن يعلمونا الديمقراطية فنحن نتطلع إلى ما سوف يفعلون بالعراق المملوء بالمذاهب المتضاربة في الدين والعرق والسياسة، والذي نراه هو تفتيت العراق إلى ولايات أو لواءات.. تمامًا كما حدث في الاتحاد السوفيتي، وفي يوجوسلافيا، والتشكيك المستمر في الجامعة العربية التي تجاوزت عمرها

الافتراضي، ثم تهميش النزاع الفلسطيني – الإسرائيلي، هم يقولون النزاع الفلسطيني – الإسرائيلي، ونحن نقول النزاع العربي – الإسرائيلي، فإسرائيل لها مشكلات مع سوريا، ولبنان، والعراق، وهي تحرك مواجعنا ومواقفنا في حوض النيل، وسوف نرى العجب العجاب من ليبيا، والسودان، ودول الخليج. فقد استطاعت أمريكا أن تحتضن الجميع، وأن تقول عند كل قرار: إياك فاسمعي يا جارة.. والجارة هي مصر والسعودية!

فما الذي ارتكبته مصر ضد أمريكا، أو لم تفعله من أجل إسرائيل، أو من أجل السلام، أو من أجل الانفتاح على الغرب. من المؤكد أنه ليس لدينا أي أطماع لا شرقًا، ولا غربًا، ولا جنوبًا. وهذه بديهيات، ومن المؤكد أيضًا أنه ليس في مصلحة مصر أن تنفرد أمريكا بحوارات ومفاوضات من وراء ظهرنا، ونحن أصحاب المصلحة والريادة في السلام والتعايش الآمن في المنطقة.

فهل هذا هو المعنى الجديد والصياغة الحديثة للديمقراطية التي تمنع الإرهاب، أو هو الإرهاب الذي يبشر بالديمقراطية، أو تفتيت وتمزيق وتشرذم وإنهاك وإهدار الدول العربية المسلمة؟!

التجربـــة
اليابانيــــة

التجربة اليابانية في النهضة: أول وآخر ثورة بيضاء في التاريخ. التجربة بدأت من 150 عامًا.

فقد وقفت بارجة أمريكية سنة 1853 في ميناء طوكيو. إنهم يريدون الماء والدواء. ولكن أحدًا لم يكلمهم. وعاد الأمريكان مرة أخرى بهدايا كثيرة من العطور والساعات والويسكي. ودار حوار بينهم. وكانت المرة الأولى التي رأى فيها اليابانيون سفينة حربية عليها مدافع وعليها جنود بملابس بيضاء. ووافقوا على تبادل الماء العذب.

وأهم من كل ذلك أن اليابانيين قرروا أن يتعلموا. وتساءلوا بينهم هل يوفدون بعثات إلى الخارج أو هل يستوردون خبراء يعلمونهم. وجاء الخبراء: من بريطانيا ليعلموهم بناء السكك الحديدية والسفن والتلغراف. وجاءوا من فرنسا يضعون لهم الدستور والقانون وتدريب القوات المسلحة. ومن إيطاليا يعلمونهم الرسم والموسيقى. ومن ألمانيا ليبنوا لهم المستشفيات والصناعات الدوائية. ومن أمريكا لبناء المدارس ووضع البرامج التعليمية.

وساد الصمت سنوات. فلا أحد يعرف ماذا يجري وراء الأبواب وبعيدًا عن عيون الصين وروسيا والغرب. ثم فوجئ العالم بأن

اليابان أعلنت الحرب على الصين أستاذها ومعلمها. وانتصرت على الصين وأنقذت كوريا من مخالبها. وفي يوم 27 مايو سنة 1905 أعلنت اليابان أن هذا اليوم سوف يكون نقطة تحول في تاريخ اليابان. ولأول مرة في التاريخ تستخدم اليابان اللاسلكي في الحرب.. فقد ضربت الأسطول الروسي في مياه جنوب إفريقيا! هنا فقط أدرك العالم أن دولة شابة قد نهضت من نوم عميق. وقد بلغ الغرور باليابان أنها كانت تصف الدول الغربية بالشعوب البيضاء البربرية المتخلفة!!

فما الذي حدث؟

إن اليابان كانت نائمة وصحت ونهضت عملاقًا. كيف؟ إنه وضوح الرؤية والتواضع والصبر.. أو باختصار: عبقرية النظام والانضباط..

عروســـة

المولـــــد...

أسهل جدًا أن نقول إن (عروسة المولد) شجع عليها الفاطميون في مصر. هل هي مصرية؟ هل هي فرعونية.. فارسية.. صينية؟ هل كل ذلك؟ اقرأ ما كتبه الأستاذ عبد المنعم النبوي الشال في كتابه (عروسة المولد) في 200 صفحة من مطبوعات المجلس الأعلى للثقافة. وقد تناول المؤلف كل تمثال وكل قطعة حلوى لها شكل الفتاة في كل الثقافات التي حولنا.

هل عروسة المولد هي الصورة المعدلة لعروسة النيل الفرعونية - إن كانت عروس النيل أسطورة، فعروسة المولد حقيقة. المهم أن المصريين انفردوا ابتداء من العصر الفاطمي بمثل هذه الحلوى أو اللعبة.. سواء كانت من الجلد أو من الخشب أو من القماش أو من الورق.. ثم العروس الورقية التي يستخدمها المصريون للوقاية من الحسد.. فهم يثقبونها بالدبوس أو بالإبرة: من عين فلان ومن عين علان ومن عين اللي شاف وما صلاش على النبي..

ثم العروسة التي نصفها العلوي فتاة ونصفها السفلي سمكة..

والمؤلف قد تناول هذه الفنون الشعبية والمعمارية وراقبها ودرسها وأحصاها لعله يعرف من أين جاءت عروسة المولد وما أصلها وما فصلها. هل هي نابعة من مصر أو هل الفاطميون الشيعة قد أتوا بها من إيران، أي من الفلكلور الفارسي أو من الصين؟!..لقد أفاض المؤلف في دراسة هذه الظاهرة الشعبية من كل نواحيها.

وعلى الرغم من أنها دراسة جادة متأنية، فإن القارئ لا يمل وهو يمشي وراء المؤلف يشجعه على ذلك فهو مؤرخ جاد، والقارئ يريد أن يعرف من أين جاءت العروس بفستانها الشفتشي الفضفاض والشال والبرنيطة والمروحة..

وقد لاحظ المؤلف أن هناك تمثالًا آخر سمع عنه في مولد الحسين. وهذا التمثال يقف أمامه الرجال يتلاعبون بالسيوف ويتظاهرون بأن دمًا قد أريق. ثم ينتهي الصراع بهم بقطع رقبة التمثال – كما يفعلون اليوم حزنًا على استشهاد الإمام الحسين..

ومــــا
الإرهـــاب؟

تلقينا دعوة من رئيس مجلس الشيوخ الإيطالي لكي نتناقش. ذهبنا إلى السفارة الإيطالية. وكنا خمسة وكانوا خمسة أيضًا. وكان رئيس مجلس الشيوخ قد التقى بالرئيس مبارك ورئيسي مجلسي الشعب والشورى. ولا نعرف بالضبط ماذا قالوا. ولكن أعرف ماذا قال لنا وماذا قلنا له. سألنا: ما هي الديموقراطية وما الإرهاب؟

وكما ترى فالسؤال سهل جدًّا مثل: كم عدد الرمال في الصحراء وكم عدد النجوم في السماء وكم عدد قطرات المحيط؟ والجواب صعب. لأن الإنسانية تحاول من ألوف السنين أن تجيب عن هذا السؤال.

ولكن السينيور مارشيللو بيرا يريدنا أن نرد عليه فورًا. ولابد أنه يتوقع أننا غير راضين عن مفهومنا للديمقراطية. وأننا نريد مزيدًا من الحرية في كل شيء. وهذا صحيح. لسنا نحن في مصر ولكن في العالم، وكل العالم العربي أيضًا. والجمع بين الديمقراطية والإرهاب في سؤال واحد كالجمع بين الكبريت والبنزين. أو النار والدخان. ولابد أن يتوقع منا أن نقول: إن هناك إرهابًا بسبب نقص الحرية. فإذا أعطينا الحرية لكل الناس انتفى الإرهاب. أو إذا خففنا الجرعة الدينية، انتفى التعصب الديني الذي يؤدي إلى كراهية الأديان

الأخـرى والتعصب ضدهـا! ومعنى ذلـك: أننا احتكرنا التعصب والإرهـاب والعنف في هذه الدنيا.

ولابد أن الذين يسألوننا قد نسوا أنهم أصحاب محـاكم التفتيش التي تشنق وتقتل المسلمين واليهود والمخالفين للديانة الكاثوليكية من المسيحيين أيضًا!

وقلنا الكثير. وقـال رئيس مجلس الشيوخ قليلًا. ومن الطبيعي أن نتحدث عن صميم وجع القلب في الشرق الأوسط: القضية الفلسطينية. فـإذا انحلت فليس لدينا مانع من التطبيع الشامل مع إسرائيل وإدخالها الجامعة العربية إذا كانت هنـاك أية ضرورة لهذه الجامعة في الشرق الأوسط الأكبر..

شيء غريب إننا عاجزون عن حل مشاكل الشرق الأوسط الصغير فنسعى إلى عمل شرق أوسط كبير، ليكون الحل أسهل.. إن أستاذنا سقراط حكى له نكتة مشابهة: أن رجلًا ملأ جيبه بحبات السمسم فـأراد أن يعرف عددهـا، فصعبت عليه...فملأ الجيب الثاني ليعد الاثنين معًا!

وعرفنا أن سفيرًا أوروبيًّا آخر جمع عددًا من المثقفين ووجه نفس السؤال: ما الرأي في الديمقراطية والإرهـاب. أي ديمقراطيتنا وإرهـابكم؟!

وكما طفحت أمريكا الدم في فيتنام سوف تلقى المصير نفسه في الشرق الأوسط الأكبر، وسوف تكون المسئولة عن خلق تعصب ديني يؤدي إلى التمزق بين المسلمين وبين العرب والفرس، وبين السنة والشيعة وسوف تساعد أمريكا على إعـادة الأفكار الشيوعية التي

تغذيها الصين والأحزاب الشيوعية في روسيا وفي أوروبا. وسوف تنشط كل الجماعات الدينية لمحاربة الطاغوت الأمريكي الذي لا يعرف ما الذي أحدثه في الشرق الأوسط.. إن الأمريكان لا يعرفون حتى الآن ماذا اقترفوا في حق بلادهم. ولكنهم سوف يعرفون أنهم وقعوا في غلطة شنيعة.. ليست فقط أنهم أرادوا الحرب بضغط من إسرائيل وبريطانيا، دون أن يكون لديهم أسباب وجيهة لذلك. هذا مؤكد.

ولا أعتقد أن الرئيس الأمريكي الجديد (كيري) أحسن حالًا من الرئيس بوش الأول والرئيس بوش الثاني. ربما كان أكثر تجربة. ولكن الذي يقوله للشعب الأمريكي لا يجعلنا في الشرق الأوسط نطمئن إليه. فقد اتخذ موقفًا معاديًا للعرب من أول لحظة ـ أو موقفًا منحازًا لإسرائيل سوف يزداد عندما يتواجه مع الرئيس بوش الذي على يمينه صهاينة وعلى يساره ووراءه.

بالــــون
اختبـــــار

من 25 عامًا طلب مني الرئيس السادات أن أنشر خبرًا مزعجًا. وقال لي: إنه بالون اختبار. وأنه يريد أن يعرف رد الفعل. فليس من حقنا وحدنا. ولكن انشر وهات لي رد الفعل!

ونشرت خبرًا في الصفحة الأولى من مجلة (أكتوبر) .الخبر يقول: يتمنى الرئيس السادات أن يتوضأ الفلسطينيون من ماء النيل وأن يصلوا في المسجد الأقصى!

وانقلبت الدنيا كما توقع الرئيس السادات. وهذا ما كان يريد أن يعرفه. ولكن لماذا؟ لقد كان الرئيس السادات على يقين من أن هذا سوف يحدث يومًا ما. فكما أننا نبيع البترول والغاز لجيراننا، فلماذا لا يجيء دور الماء وهو أكثر حيوية. وخصوصًا أن منسوب المياه المالحة عندهم قد ارتفع. والمياه العذبة قد انحسرت وأن نصيب هذه الدول من الماء قليل جدًّا: لبنان وإسرائيل والأردن وفلسطين. وإسرائيل تأتي بالماء من تركيا. وعندما أقام الأتراك مشاريع لتوليد الطاقة على نهري الدجلة والفرات، صرخت سوريا والعراق..

وحرب المياه مؤجلة. ولكنها آتية لا ريب فيها.

وأذكر أننا كنا في تل أبيب. عندما دعينا إلى عشاء: موسى صبري وعلي حمدي الجمال ومرسي الشافعي وأنا - وبعد العشاء اقترح

الدبلوماسي الإسرائيلي أن نلعب (لعبة الأمم).. وذلك بأن نجلس حول مائدة. ونطرح موضوعًا ويقوم كل واحد بدور دولة يختارها ويعرب عن رأيها في هذه القضية. واقترح الدبلوماسي الإسرائيلي قضية (الماء) في الشرق الأوسط.. وكان الموضوع مفاجأة لنا. ولكنه كان مستعدًا تمامًا بكل المعلومات والأرقام وتواريخ المعاهدات. واستعداد دول الأعالي أن تبيع المياه وأن ترغم مصر على أن تساعدها على ذلك وإلا - وقيل كلام كثير..

ثم تداولنا هذا الموضوع واختار كل منا دولة جديدة لتمثيلها. وثبت من المناقشة أن خبراء إسرائيل على دراية تامة بكل تفاصيل الحرب المرة من أجل المياه الحلوة. وأن لديهم دراسات واقتراحات ومعاهدات وحلولًا وفلوسًا. وأنه ليس أسهل من تحريك دول حوض النيل ضد مصر والسودان، وأنه لن يمضي وقت طويل حتى يؤلبوا علينا الدنيا - وقد بدأوا أخيرًا - وككل شيء يحدث لنا وحولنا فهو مفاجأة!

معجب
ولكن!

السيدة مرجريت تاتشر شتمت المستشار الألماني السابق هلموت كول في جملة فرد عليها بكتاب. قالت: إنه سياسي محلي!

أصدر المستشار كول كتابًا بعنوان (ذكريات) .قال إن السيدة تاتشر كانت ضد توحيد ألمانيا. وإنها لم تفهم الزعيم الأكبر تشرشل. وإنها تعيش في دنيا ما قبل تشرشل، وأن المستشار يعيش في دنيا ما بعد تشرشل.. وأن تفكيرها قديم. وإنها بريطانية مائة في المائة ولا تفكر إلا في المصالح البريطانية. ولا تهمها القارة الأوروبية ولا العالم الواسع كله..

وقال إنه معجب بها. ولكن يختلف معها تمامًا. وقال إنه إذا كان زعيمًا محليًّا أي لا يهتم إلا بألمانيا ومشاكلها ولو احترقت أوروبا، فإنها مهتمة بمشاكل بريطانيا فقط حتى لو احترقت الدنيا!

ولكن شخصية مرجريت تاتشر جذابة وقوية. وكان الرئيس الأمريكي ريجان يرى أنها أعظم سياسي في أوربا. ولذلك ساندها في كل قضاياها. ولولاه ما انتصرت بريطانيا في استعادة جزر فوكلاند التي طالبت بها الأرجنتين.

وفي حربها مع الأرجنتين غرقت قطع من الأسطول البريطاني بسبب صواريخ أكزوسيه الفرنسية التي استخدمتها طائرات الأرجنتين.

وبرغم الخلاف بين فرنسا وبريطانيا فقد التقت تاتشر بالرئيس الفرنسي ميتران وطلبت منه أن يساعدها على الصواريخ الفرنسية. وساعدها. وانتصرت. ورغم هجوم مرجريت تاتشر على احتفالات فرنسا بثورتها التاريخية سنة 1789 ووصفتها بأنها دموية - وتساءلت كيف يحتفلون بها؟!

أما الذي قاله الرئيس ميتران فهو إن مرجريت تاتشر لها شفتا مارلين مونرو وعينا السفاح كاليجولا..

وعندما ذهبت رئيسة وزراء فرنسا أديث كريسون إلى لندن. عادت تقول: إن الإنجليز عندهم شذوذ جنسي. فقد لاحظت أنها عندما تلتفت وراءها، فإن أحدًا منهم لا ينظر إليها.

وبسرعة كان رد مرجريت تاتشر: معك حق. ولكن في المرة القادمة عندما يرتفع فستانك شبرًا آخر فوق الركبة سوف ينظرون!

إنها نماذج من (الردح) السياسي رفيع المستوى!

تفـــــرح
يــا عريســـــا..

كان في استطاعة الكاتب الكبير د. حسين مجيب المصري أن يجعل كتابه أكبر وأشمل، ولكن يبدو أن هذا هو رأيـه في القارئ المعاصر – لا طاقة له، ولا صبر، ولا حاجة إلى كتب ضخمة في موضوع جاد، نصفه يبعث على الحزن، فقد جعل كتابه في 166 صفحة عن (الوالد وولده – في الشعر العربي والفارسي والتركي والأردي) من مطبوعات (الدار الثقافية للنشر) .

وشكرًا له أن تفادى أن يعرض علينا ويوجعنا بما ينشر عن عقوق الأبناء لوالديهم نقلًا عن كتاب (العققة والبررة) مفردهما (عاق) لوالديه و(بار) بهما – وقد اختار د. مجيب المصري عددًا من الشعراء هو واحد منهم ونشر نوادرهم وقصائدهم في أبنائهم وبناتهم، من بينهم د. عبدالمنعم خفاجي الذي أصدر 17 ديوانًا من الشعر، وأشاركه الإعجاب به.

ولابد أن يتوقف القارئ عند أمير الشعراء شوقي وخفة دمه وفرحته بابنه المولود.. وفرحته المضاعفة عندما صار الابن عريسًا ثم أبًا.. فأنت هنا أمام إنسان رقيق لطيف ظريف. وليس ذلك الشاعر الأمير المتوج بالذهب، والذي يمشي في أبهة ودلال سعيدًا بتعظيمنا له.

ومن الغريب أن ما نظمه شوقي في زفاف ابنه العريس لم يصبح أغنية شعبية بعد ذلك، فلا أرق ولا ألطف ولا أجمل. يقول أمير الشعراء:

دار البشايـــــر مجلسنـــــا		دليـــل زفافـــك مؤنسنـــا
إن شاء الله تفرح يا عريسنـــا		وإن شاء الله دايمًا نفرح بك
والشمـس طالعــة فـي التلـي		وردة وعليهـا ثــوب فلـــي
ملحة في عين اللي ما يصلي		ولا يقـولشـــي تتهنـــي
دنيـا جميلـــة قـــم خدهـــا		ستـك وبالمعـروف سيدهـا
قـوم يـا عريس بـوس إيدهـا		وصلـــي واطلـــب واتمنــى

ولما رزق (علي) بأول طفل له وسماه أحمد، على اسم جده، قال شوقي:

روحـــي ولـــــذة عينــــي		عــوذتـــــك بالحسيـــــن
سلالتــــي مـــن علـــــي		ولـــدتــــه مــرتيــــــن
أحببتــــــه كـــأبيــــــه		وزودتـــــــه حبتيـــــن!

فما أرق الأمير أبًا وجدًا!

بـن لادن:
أمريكـــــي!

أمريكا شرعت في فتح مدرسة لمحو الأمية السياسية في الشرق الأوسط الذي اختارت له اسمًا جديدًا هو (الشرق الأوسط الأكبر) الذي يضم الدول العربية مضافًا إليها الدول الإسلامية: إيران وأفغانستان وباكستان والدولة العبرية: إسرائيل.

الدرس الأول: ما هي الديمقراطية؟ والدرس الثاني: ما هو الإرهاب؟ الدرس الثالث: ما ضرورة الجامعة العربية؟ الدرس الرابع: ما هي الحقوق التاريخية المزعومة لمصر في مياه النيل؟

أي أننا لا نعرف الديموقراطية. أو أن القدر الذي نعرفه منها ليس كافيًا لأن نكون شعوبًا حرة. ونقص الحرية في بلادنا كان سببًا في ظهور الإرهاب الإسلامي أو الإرهاب باسم الإسلام.

ومن حقنا أن نسأل إن كانت الديمقراطية الأمريكية هي المثل الأعلى.. فأمريكا هي التي اخترعت (بن لادن) ليكون سلاحًا ضد السوفييت الملحدين. ولما انسحب السوفييت وانهارت الدولة السوفيتية، انتهى دور بن لادن.. واتجهت إلى القضاء عليه وعلى كل من كانت له صلة به. كل ذلك باسم الديمقراطية الأخلاقية محور الخير في هذه الدنيا.. ثم لا تسمي موقفها من الدول الإسلامية حربًا صليبية مع أن الرئيس بوش هو أول من استخدم هذا التعبير.. وأمام

الغضب الإسلامي في كل الدنيا، والتخوف المسيحي قال إنها غلطة وقع فيها.. فليست حربًا صليبية.. وإنما هي حرب هلالية.. أي بين الهلال والهلال أو بين المسلمين والمسلمين أو هي حرب هلالية نجمية.. أي بين الهلال ونجمة داود. ولكن أي إنسان يعرف مبادئ التحليل النفسي لفرويد يدرك أن الغلطة التي وقع فيها الرئيس بوش هي أصدق ما قال فلم يفلح في إخفائها.. فانكشفت وانكشف!

والديمقراطية التي عند الأمريكان تختلف عن ديمقراطية الإنجليز التي جعلت من توني بلير رئيس الوزراء رئيسًا جمهوريًا للمملكة المتحدة. وأنه حاكم فرد، وأنه شمولي – هذا رأي زملائه في حزب العمال ورأي خصومه من المحافظين.. تبقى بعد ذلك الديمقراطية الدموية في إسرائيل.

ولابد أن نرفع أيدينا من أول لحظة في الحصة الأولى ونسأل البروفيسور بوش: أي هذه الديمقراطيات تختار لنا يا سيادة الرئيس؟!

كامل
دياب

ونحن أطفال في (أبو حمص) كنا نردد أسماء عظيمة الاحترام ـ وإن لم نكن نعرف عنهم شيئًا كثيرًا: عبد الفتاح باشا يحيى وعزيز بحري وساسون وبوغوص وتوفيق دياب وإسماعيل صدقي باشا، وكنا نقف حتى تمر سياراتهم الخاصة، والتي تثير وراءها غبارًا يوجع عين من يحاول اللحاق بها...

في ذلك الوقت سمعت عن حدائق توفيق دياب.. ورأيت الصحفي الكبير توفيق دياب في مكتب كامل الشناوي في (الأهرام) سنة 1950 وقدمني له، ثم التقيت به في (أخبار اليوم)، وكان يلقى احترامًا فائقًا من مصطفى أمين وعلي أمين.

ثم صادقت ابنه د. كامل دياب في رحلتي (حول العالم) ،وبسببه استطعت أن أقرأ وثائق حياة عرابي باشا ورفاقه عشرين عامًا في جزيرة سيلان.. فقد ذهب كامل دياب يشتري بالملايين شايًا من أكبر دكان ومزرعة للشاي في العالم...

ولما أصدر المؤرخ الكبير د. يونان لبيب رزق كتابه بعنوان (المتمرد النبيل ـ توفيق دياب) في 390 صفحة (دار الشروق) فقد قدم لنا دراسة موثقة جادة دقيقة جدًا عن أحد رواد التحديث في الفكر والصحافة.. واختيار د. يونان لكلمة (متمرد) لا تنطبق تمامًا على

توفيق دياب، فهو أكثر من ذلك: تلميذ مشاغب وكاتب مشاكس ومفكر ثوري، وغير تقليدي، وقد دفع ثمنًا لذلك في الصحف التي عمل بها، والتي أغلقت، وبرغم قسوة الأيـام عليه، فإنه لم يخفض رأسه ولا انحنى لغير الله.

وعرفت في كتاب د. يونان ما لم أعرف عن فصاحته اللغوية، فقد انتقل من الكتابة إلى الخطابة، وتنقل بين الصحف والجامعات... فلا عرف الاستقرار، ولا عرف أحد الاستقرار معه، وكان صاحب القرارات غير المتوقعة، ولم ير توفيق دياب نفسه غريبًا، وإنما الذين حوله رأوه كذلك، فلم يغير ما بنفسه من أجل أحد...

ويوم قدمه طه حسين إلى المجمع اللغوي قال: إن الذين سيؤرخون للآداب لن يستطيعوا أن ينسوا توفيق دياب... إن اسمك من الأسماء التي سجلت في التاريخ الأدبي لنفسها ذكرًا حسنًا رائعًا شائقًا، فلك أسلوبك الحاد العنيف المتدفق الذي ينفذ إلى القلوب ويخلب الآذان.. علمت الشباب بأدبك كيف يحبون الأدب وعلمتهم بجدالك وخصامك كيف يصلب في الحق ويجادل عنه ويخاصم فيه..

ويمكن تلخيص حياة توفيق دياب المضطربة الثائرة الغاضبة في بيت شعر لأمير الشعراء شوقي، واتخذ منه اسمًا لجريدته: الجهاد، قال شوقي:

قـف دون رأيـك في الحيـاة مجاهـدًا
إن الحيــــاة عقيــــدة وجهــــاد!

وهذا ما فعله توفيق دياب!

من فيرونا (إيطاليا) ..

وفي إيطاليا أماكن شاعرية الأسماء. هذه الأسماء هي التي تبهر الناس وتشدهم بالملايين. دون أن يتحقق أحد من هذا الاسم. ففي مدينة البندقية القريبة من هنا يوجد كوبري اسمه (كوبري التنهدات) ..كم تنهدنا تحته ذهابًا وإيابًا كأننا نطلب العدوى من العشاق الذين سبقونا في العذاب والهوان. مع أن السبب الحقيقي لهذه التسمية هو أن المحكوم عليهم بالإعدام، وهم في طريقهم إلى السجن يمشون فوق هذا الكوبري ويتنفسون ويتنهدون لآخر مرة. ولكن الاسم الرومانسي قد تغلب على الحقيقة المؤلمة!

وفي مدينة رابالو يوجد بيت اسمه (بيت الأحلام) .والبيت لم يكتمل بناؤه. فهو كالأحلام التي لا تزال خيالًا، ولم يصبح واقعًا. والحقيقة غير ذلك. والحقيقة أضعف من الخيال. والواقع لا يهم وإنما الذي يهم هو الذي يريده الشباب ويحلمون به، ويرون أن هذه الأحلام هي الواقع بل أقوى من الواقع!

تمامًا كما أن في مدينة تبنجنن الألمانية توجد حديقة اسمها (حديقة التأوهات) وفيها يتزاحم الشبان ويقولون: آه.. ومن شدة الآه تتساقط أوراق الشجر كأنها تشاركهم دموعهم. أو كأنها تقول لهم: ابحثوا لكم عن مكان آخر.. أو ادخروا هذه الآهات لعذابات أخرى سوف تجيء في هذه الحياة. والحقيقة أن هذه الحديقة لا عرفت

المحبين ولا العشاق. وإنما أحد الشعراء قد سخر من طلبة الجامعة الذين يتركون قاعات البحث ويهربون إلى هذا المكان. وليسوا هم الذين يقولون: آه.. وإنما آباؤهم وأمهاتهم على ضياع مستقبلهم. فما كان من الشبان إلا أن صنعوا تمثالًا للشاعر الذي سخر منهم. وجعلوا في التمثال كل العيوب التي يجب ألا تظهر في أي عمل فني – كأنما أرادوا أن يقولوا إنه بهذا الشكل لا يصح أن يكون عملًا فنيًّا!

فالشاعر قد سخر منهم، وهم ردوا إليه السخرية بأسوأ منها. وبرغم هذه السخرية المتبادلة، فالشبان يذهبون إلى هناك، ويتبادلون الآهات والقبلات. وكذلك السائحون الذين لا يفكرون في أن يذهبوا إلى بيت الشاعر الألماني الجميل هيلدرلين الذي عاش ثمانين عامًا – نصفها في مستشفى الأمراض العقلية ولا بيت الفيلسوف فخته، ولا بيت الفيلسوف هيجل، ولا بيت الفيلسوف الوجودي هيدجر.. فالحب أروع وأكذب وأجذب وأوقع وأوجع!

جهنـــم

هنـــا؟

من روفرينو (إيطاليا) .

أعترف لك أنني مثلك وملايين الإيطاليين لا يعرفون اسم هذه المدينة. والذين سمعوا بها لا يعرفون مكانها على الخريطة. فقد كانت دهشتي أعظم من دهشة الناس الذين هزوا رءوسهم يمينًا وشمالًا ورفعوا عيونهم إلى السقف يقصدون أن الله أعلم..

ومن فيرونا بالسيارة ستون كيلو مترًا إلى مدينة إيطالية جميلة جدًّا. أما مفردات الجمال فيمكنك أن تصنعها من عندك وأن تبالغ في ذلك. ولكن مهما بالغت فالواقع أجمل. المدينة صغيرة حلوة محندقة ثلاثون ألف نسمة. ولا داعي أن أعيد وأزيد في نظافتها وأناقتها واتساع شوارعها. وانشغالك بها عن البرد الشديد الذي يهب عليها من الجبال حولها.

وقالوا لنا: في هذا المكان الذي أمامك جاء الشاعر دانتي يستوحي معاني جهنم في ملحمته الشعرية الشهيرة (الكوميدية المقدسة) بأجزائها الثلاثة:الجحيم والمطهر والفردوس. وانظر إلى المكان الذي استلهم منه الشاعر كل صفات جهنم. لا شيء يدل على أنه جهنم. ولكن بالمعايير الجمالية عند الإيطاليين الذين زرعوا الأرض والجبال، فاللون الأخضر والورد وحقول العنب، لابد أن تكون هذه جهنم... مع

أنني لا أراها كذلك. فهي خضراء تنحدر من الجبال إلى النهر.. نهر ليما ونهر أديجه ـ فكما أن جهنم مختلفة عندنا فكذلك الجنة...

وإلى هذه المدينة الصغيرة جاء الفيلسوف الفرنسي مونتني. ووقف نابليون. وجاء الشاعر الألماني جيته.. وجاء الموسيقار النمساوي موتسارت وعزف على البيانو ليالي ساحرة. والأيدي تشير إلى هنا.. كانت الحرب.. وهنا جاء النمساويون وحكموا وتحكموا وعذبوا وهدموا وأقاموا القلاع مئات السنين حتى أخرجوا منها بعد الحرب العالمية الأولى.

والإيطاليون يكنون للنمسا عظيم الكراهية. وإن كان شمال إيطاليا وعلى حدود النمسا يتكلمون الألمانية ويفرضونها لغة أساسية على الحكومة الإيطالية، ويجاهرون بأنهم ألمان ولو كره الإيطاليون...

وأمام الفندق تمثال لفيلسوف لم أسمع به ولا أعرف أحدًا قد عرفه.. ولكن وجدت في المكتبات مؤلفات له.. وعرفت أنه خرج على الكنيسة، وأنه هرب مع البابا إلى خارج إيطاليا.. ثم عاد إليها معززًا مكرمًا.. صاحب التمثال هو الفيلسوف الكاثوليكي روزمينو (1797 – 1855). وقرأت له وعنه. أما وطنيته فقد أعجبتني، أما أفكاره الفلسفية فلا!

البـــول
علاجًـــا!

لكي أقول لك إن (بول) الإبل ليس سامًا، وإنه من الممكن أن يكون شفاء لبعض الأمراض، فقد قلبت في أكثر من مائة صفحة منقولة من الموسوعات العالمية على شبكات الإنترنت.

أما المناسبة فهي صدور كتاب عنوانه (التداوي بألبان وأبوال الإبل ـ سنة نبوية ومعجزة طبية) جمعها ورتبها شهاب البدري يس في 120 صفحة من منشورات (مكتبة منهاج النبوة) .أما أن البول يستخدمونه في البادية العربية، فهذه حقيقة. وفي الريف المصري أيضًا.

وأذكر أنني قرأت في رحلة السفينة (رع) المصنوعة من ورق البردي للرحالة النرويجي تورها يردال أن ركاب السفينة قد أصابهم التهاب شديد في جلودهم بسبب حرارة الشمس وملوحة الماء.

فما كان من الطبيب الروسي المرافق لهم إلا أن طلب منهم أن يتبولوا بعضهم على بعض. فكان الشفاء!

وقد اعتمد المؤلف على حديث عن أنس بن مالك أن جماعة جاءوا إلى المدينة.. فلم يستريحوا إلى جوها. فذهبوا إلى الرسول عليه الصلاة والسلام فطلب إليهم أن يشربوا ألبان وأبوال الإبل فصحت أبدانهم.. وروى المؤلف من تجارب أهل المدينة الشيء الكثير.

أما في المائة ورقة التي أمامي فقد استخدمت (أبوال) الإبل كنوع من الطب البديل في علاج أمراض كثيرة. وبعضها يصعب تصديقه. ولكن التقارير الطبية المعتمدة في الهند والصين وأمريكا تؤكد أن محتويات بول الإنسان أيضًا تشفي من عدد كثير من الأمراض. ولكن المشكلة هي أن الإنسان ينفر من الاقتراب من البول أو محاولة شربه. ولذلك لجأ بعض الأطباء إلى خلطه بمواد تغير لونه ورائحته. ويرى الأطباء أيضًا أن بول الإنسان يصلح لعلاجه هو. وليس لغيره..

وعندما قرأت التحاليل المعملية للبول وجدت أنه مركب من ثلاثين أو أربعين مادة. وأنها ليست سامة. ويمكن لمن أراد المزيد من المعلومات الحديثة عن هذه العادة أو (الروشتة القديمة) أن يفتح الإنترنت على (العلاج بالبول) .وسوف يجد العجب العجاب..

رعـــاع
الآداب..

الصحف البريطانية تتحدث عن أستاذ جامعي قرر أن يعمل سباكًا، لأن مرتب السباك أكبر من مرتبه، وهو رجل متزوج وعنده ولد، إنه د. كارل جينزبرج أستاذ الخلايا في جامعة برمنجهام والذي خفضوا مرتبه مرتين حتى استقر عند النصف..

توفيق الحكيم قال قبل أن يموت إننا في عصر القدم لا في عصر القلم ـ مع أنه لم يعلم أن المدرب يتقاضى شهريًا ما يساوي مرتب ألف صحفي وألف مدرس جامعي... أما المدرب الأجنبي فيتقاضى في الشهر مرتب خمسمائة أستاذ وعميد!

وفي يوم كنا نتعشى عند الفنان صلاح طاهر عندما استدعى توفيق الحكيم طفلًا وأعطاه ورقة وقال له: املأها ترابًا من الشارع، وعاد الطفل وفتحنا الورقة فكانت شهادة الدولة التقديرية، وكان الحكيم يتظاهر بالبخل ـ أي أن عنده مالًا ولكنه لا يريد أن ينفق والحقيقة أنه عاش ومات فقيرًا!

والأستاذ العقاد باع مكتبته مرتين، وبعدها أرسل خطابًا إلى المحامي محمد لطفي جمعة يقول له: أنا لا أملك ما أشتري به طعامي، فلا تخذلني كما فعل كثيرون غيرك!

وبرنارد شو حصل على جائزة نوبل، فوافق على المكافأة المادية وليس التقدير الأدبي الذي ليس في حاجة إليه!

وقد نشرت الصحف البريطانية هذا الأسبوع رسالة للعالمة مدام كوري التي حصلت على جائزة نوبل مرتين ـ مرة في الفيزياء ومرة في الكيمياء، وفي رسالتها لصديقتها تقول: عندي فستان واحد، أرجوك أرجوك أن تبعثي لي بأي فستان لونه أسود حتى لا يظهر فيه البقع إذا لبسته في المعمل أو في الشارع!

وأبو الفقراء التعساء بين الفلاسفة والأدباء في كل العصور هو أبو حيان التوحيدي الذي كتب للوزير في زمانه يقول له: أرجوك إذلالي بكرمك، وأن تمسح بي الأرض بعطفك... فأنا لا أملك إلا مثل هذه الكلمات التي لا أطعمت ولا روت ولا سترت عاريًا مثلي، أرجوك... أقبل الأرض بين قدميك!

وكان الفيلسوف كارل ماركس هو وبناته يعيشون عالة على صديقه فريدريش أنجلز ولم يكن مصادفة أن يؤلف كارل ماركس كتابًا اسمه (فقر الفلسفة وفلسفة الفقر)، وقد اتفقت إحدى بنات كارل ماركس مع زوجها أنه عندما تنفد فلوسهما أن ينتحرا، وقد حدث!

وعندما أنشأ يوسف السباعي (المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب) حشد فيه عددًا من الأدباء والشعراء الفقراء حتى أطلقنا على المجلس اسم (المجلس الأعلى لرعاع الآداب والفنون)!

أحمد شنن

لقد ولدنا لنموت. فكل الذي له بداية له نهاية ـ هذه هي الحقيقة المؤكدة في حياتنا. ولكننا ننسى ذلك. ونفاجأ بهذا المعنى الرهيب عندما يموت القريب والحبيب والصديق. والذي فعله عمر بن الخطاب عندما قيل له إن محمدًا عليه الصلاة والسلام قد مات، فهدد بقطع رقبة كل من يجروً على أن يقول كلامًا كهذا، حتى جاءه أبو بكر وذكره بالآية الكريمة: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ (آل عمران: 144) – فتساقط عمر بن الخطاب باكيًا.. وفي الأسبوع الماضي كنت أقرأ في تاريخ الجبرتي مستغرقًا في الذي جرى في مصر على أرضها وعلى أناسها. وفجأة وجدت شيئًا أفزعني. قرأت أن السيد أحمد شنن قد مات، فرفعت رأسي منزعجًا، وأحمد شنن نقيب المحامين صديقي.. ولكن الجبرتي كان يتحدث عن أحمد شنن آخر عاش ومات من 200 سنة. وفجأة قرأت أن أحمد شنن المعاصر قد مات هو أيضًا – أعوذ بالله – اللهم رحمتك. ولم أكن أعرف أنني كنت أقرأ الغيب.. وأن الذي أحسست به وكتبته كان نبوءة أليمة. يرحم الله أحمد شنن صديقي العزيز. فقد كان شخصًا ممتعًا وشخصية قوية. وكان غليظ الصوت رقيق الطبع. وكان إذا تحدث خطب وإذا خطب ترافع. فهو لا ينسى أنه محام في أي وقت..

وصدفة غريبة أيضًا أنني كنت في مكتبه نتحدث عن صديق لنا مات. هو يقول وأنا أيضًا. واندهشنا كيف أننا اندهشنا لموته المفاجئ، مع أن الموت ليس له (خريطة طريق) .فهو يجيء للنائم والماشي والطائر والقائم. وعلى الرغم من أن أكثر الناس يموتون على فراشهم، فإن أحدًا لا يخاف أن ينام في فراشه. فهناك وهم آخر وهو أن كل واحد يتصور أن الموت يمر إلى جواره ولا يمسه بسوء.. وأن الموت على رقاب العباد إلا نحن رغم أننا من العباد أيضًا.. فإذا مات أحد، مات وحده. ومهما يكن الناس حوله فهذا لا يقدم ولا يؤخر.. فالموت عام لكل الناس. ولكنه شخصي أيضًا. وكم ضحكنا على قاض ذهب يزور زوج أخته الطاعن في سنه. ذهب ولم يعد. فقد مات القاضي وسار زوج أخته في جنازته. ولذلك صدق المثل الشعبي الذي يتساءل: كيف حال المريض؟ والجواب: أن المريض عاش! والسليم هو الذي مات..

والشخص يموت والشخصية لا تموت.. ولذلك سوف تبقى صفات أحمد شنن الشجاع الوطني الوفي حديثًا بعده وبعدنا!

ينظمـــون
الخيـــوط

من هانوفر.

هذه مدينة صغيرة. ليست لها معالم تاريخية. لا كان فيها أديب ولا فيلسوف ولا مخترع ولا عالم. ولكنها صغيرة هادئة ومحندقة. ولذلك تعمل الحكومة الألمانية على تحويلها إلى خلية نحل.. عش دبابير.. فأتت لها بالبنك المركزي. وجعلتها ملتقى المعارض الدولية. وبذلك تنتعش وتقام عليها أبنية الخدمات. إنهم يخلقون مدينة جديدة فوق المدينة القديمة.. ومن أهم معالم المدينة هذه المناسبة السنوية للشعر والفن، أما هذا الشعر فليس دواوين لعدد من الشعراء. وإنما هو قصائد من الشعر لعدد من المؤسسات العالمية الفخمة. فهؤلاء الشعراء لا يستخدمون الكلمة والوزن والقافية. إنهم يستخدمون الخيوط. إنهم ينظمون الخيوط في لوحات يضعونها على الأرض. تحت قدميك. الدنيا تحت قدميك: سجاجيد.. صناعة إلكترونية متطورة.. ألوف الشركات، ألوف المصممين والمهندسين. ملايين العمال مليارات الدولارات. كل سنة. ولا يزال بشهادة العالم كله: أن أعظم العارضين في معبد فرعوني أسود الجدران ذهبي الأعمدة يتصدره تمثال جدنا الأكبر توت – عنخ – آمون/شاهدًا على براعة أحفاده من أبناء مصر..

وليس غريبًا أن يحصل الأحفاد على الجائزة الأولى في ألمانيا وفي أمريكا. فمن مفاخر مصر كلها أن يكون هناك (النساجون الشرقيون) يقدمون لوحات كلاسيكية وتجريدية وتعبيرية. بخيوط تتغير وتتبدل وتتجدد وتقبل المنافسة. وهذه المنافسة هي التي تجعل الإبداع: إما حياة وإما موتًا. ولأنهم اختاروا الحياة، فلا نهاية للإبداع كل سنة..

وأمثالي من الكتاب والرسامين يبهرهم كل ذلك: إذ كيف يستطيعون أن يجددوا أنفسهم كل سنة. ليست الأفكار وإنما الأسلوب أيضًا. كل سنة وبلا نهاية وبلا حدود. وما داموا قد اختاروا الحياة فوق، فلابد أن يكون الإبداع في السماء.. وكذلك يفعلون..

كتب
لكل سن

من هانوفر.

الله.. ما هذا الجمال! ما هذه الروعة! وقفت أمام حائط مغطى بالكتب في موضوع واحد: الفضاء. رحلات الفضاء. ليس في كل هذا أي شيء جديد. ولكن الجديد الذي أوقفني وأقعدني وحيرني وبهرني أن هناك كتبًا للأطفال وكتبًا للطلبة وكتبًا للمدرسين وكتبًا للعلماء. دعني أشرح لك. هناك كتب عن الرحلات إلى المريخ للأطفال: عبارة سهلة وصور ملونة. ونفس الموضوع للطلبة: العبارة أكثر امتلاء بالمعلومات والأرقام والرسوم البيانية. ونفس الموضوع للمدرسين مع كثير من المعادلات الرياضية. وأسماء عدد كبير من العلماء الألمان والروس والأمريكان مع كثير من الجداول والخرائط. ثم نفس الموضوع للعلماء. ولا أدعي أنني فهمت كتب العلماء كثيرًا. إنها صعبة. فالعبارة جافة خشنة. والأرقام قد زحفت على كل السطور.. وظهرت الصور والأرقام الكثيرة. والهوامش والمراجع في آخر الكتب..

أما كتب الأطفال فقد أقبلت عليها. إن الكلام سهل جميل. والمعلومات صحيحة.

فهناك مؤلفون قادرون على تبسيط المعلومات الصعبة. فإذا انتقلت إلى كتب الطلبة أي الذين أكبر سنًا وأكثر معلومات فهي نفس المعلومات مع شرح وتفسير لكل ذلك.

فما المعنى؟ المعنى أن كل المعلومات مهما تكن صعبة ومعقدة فإن هناك أناسًا قادرين على تبسيطها لأن الأطفال يجب أن يعرفوا.. أن يفهموا.. أن يتابعوا.. أن يفتحوا شهيتهم على السماء وعلى المغامرة. فمن يدري ربما ظهر من بينهم أحد علماء الفيزياء أو الكيمياء أو الفضاء أو الصواريخ. فكل العلماء جاءوا من بين هذه الصفحات ليكونوا موضوعًا لها فيما بعد..

لقد وجدت كتابًا عن عالم الصواريخ الألماني فون براون مخترع الصاروخ الذي هدم لندن والذي أسره الأمريكان ولولاه ما انطلق أول قمر أمريكي.. في هذا الكتاب يحكي عن طفولته فيقول إن والده هو الذي شرح له بسهولة وبساطة ما كتبه العلماء الروس عن الصواريخ، فرفع رأسه عن الأرض إلى السماء..

وكل هذه الكتب هي محاولة جادة مستمرة لأن يرفع الأطفال رؤوسهم إلى السماء!

مـــخ
ألمانيـــــا

من هـانوفر.

السماء رمادية والأرض رمادية والبيوت. كأن رسامًا قديرًا قرر أن يستخدم لونًا واحدًا ولكن بدرجات مختلفة. فالسماء لونها رمادي. والأرض لونها رمادي غامق والبيوت لونها رمادي فاتح. والسيارات سوداء. والتاكسيات بيضاء. وقد واجهوا برودة الجو بالملابس الثقيلة والنوافذ المغلقة والأفواه المطبقة. ولكن كل شيء يجري. ولا ينزلق أحد على الأرض. ولا انقطع التيار الكهربي بدعوى تسرب المياه إلى الأسلاك بعد أن أكلتها الفئران. فمنذ ستة أشهر والسماء لم يتوقف لها مطر. والناس لم يتوقف لهم نشاط.

الألوان كلها مثل ألوان مادة المخ. المادة السنجابية اللون: فكأن المدينة كلها مخ أو ألمانيا.. وكأن هذه السيارات خلايا مضيئة في مخ واحد. ومن هذا الجو السنجابي تدفقت العبقرية الألمانية في العلوم والفنون.. في الصناعة والتجارة والموسيقى. ولا يفسد هذا الجو الذي نراه مأساويًا ويرونه شتويًا إلا مثل هذه العبارات من سائق السيارة وصاحبها وأبناء الطبقة الوسطى: الأسعار غالية. والمرتبات لا تكفي والبطالة قد زادت. والحكومة وعدت ولم تف.. والمستشار شريدر يجب أن يمشي.. وسوف يمشي والحزب المعارض

سوف يكتسحه في الانتخابات القادمة. ومنذ تغيرت العملة من المارك إلى اليورو ونحن تعساء! كأنك في أي بلد آخر.. في مصر.. في سوريا.. في السودان.. في فرنسا.. أو أمريكا نفسها. إنها نفس الشكوى. فالعالم كله يئن والعالم كله يتوجع قبل أحداث سبتمبر وبعدها. والشكوى واحدة. والأمل واحد.. والناس لأنهم لا يسمعون إلا أنفسهم يتوهمون أنهم وحدهم المعذبون في الأرض. وأن السماء قد اختارتهم لتصب عليهم لعناتها.. مع أن الشعوب كلها تعاني الفقر والغلاء بالعدل. وأن هذا هو العدل العنيف. وأن الشكوى لغير الله مذلة. وقد ارتضينا المذلة فرحنا نشكو لطوب الأرض ونلعن أنفسنا! دخلت السوبر ماركت – إنها كالتي نجدها في القاهرة. مليانة. وكثير من الناس قادرون على شراء أي شيء.

إذن – سألت أنا – ما الشكوى؟

وبعد ساعة وجدت أن معظم الناس يشكون لأن الشكوى عادة.

أحسن الاختيار

من برلين:

تعالت الأصوات في الفندق، وأشاروا إلى قاعة كبرى. هرولوا واتخذ كل واحد مكانه وفي يده كوبه وفنجانه وسندوتشه. وساد الصمت. وأزال الصمت ما بيننا من فوارق اللون والجنس والطبقة والدين. وظهرت صورة بابا الفاتيكان وإلى جواره إمام مسجد روما، وحاخام اليهود. وكورس ضخم وفرقة فيلهارومنا بتسبرج.. وأعلن المذيع في التليفزيون الإيطالي أنه من أجل السلام والوفاق وحتى لا يسود الإرهاب عالمنا، جاءت هذه الحفلة الموسيقية في إحدى قاعات الفاتيكان. أما الموسيقى فهي السيمفونية الثانية (الحركة الأولى والخامسة) للموسيقار النمساوي جوستاف مالر.

سألت جاري: سمعت هذه السيمفونية؟ فلم يرد. ووجدته مستغرقًا. ووجدت أن السؤال قد ارتطم بحائط الصمت.. ثم وجدت أن استخدام كلمة (حائط) ليس هو الاستخدام الصحيح. فالحائط كلمة مرعبة بعد حوائط: المبكى، وحائط شارون، وحائط الصين، وحائط برلين، وحوائط بارليف وماجينو وسجفريد.. ووجدت جاري قد ابتسم وكأنه قد وجد ثغرة في هذا الذي بيننا، ويريد أن يرد على سؤالي. وقال: عشرات المرات طبعًا. فموسيقى مالر رفيعة قوية جميلة. والبابا قد

أحسن اختيار هذه السيمفونية، وهذا الكورس الضخم. ثم إن المطربتين هما أحسن سويرانو في أوروبا كلها، وكان لابد أن أقيم حائطًا بيني وبينه.. فقد طغى صوته على الموسيقى وشغلني عن أن أرى الوجوه الهادئة كأنها تصلي، وكأنها قد اتخذت من الموسيقى سلالم من النور إلى السماء متعالية على فوارق الدين واللغة والوطن والدم والسياسة والاقتصاد. فإن لم يكن هذا حبًا فهي صلاة. وإن لم تكن صلاة فهي دعوة لكل القلوب أن تكون قلبًا واحدًا في جسد واحد من أجل السلام العالمي!

وكأن الموسيقى لا تكفي، فقد ألقى البابا كلمته جالسًا مرهقًا ربما آخر كلماته. ولكنه أعاد معاني التسامح والوفاق والمصالحة بين العبرانيين والمسيحيين والمسلمين. وأن هذه هي الفرصة. وكما أن عملًا موسيقيًا واحدًا استطاع السيطرة علينا وأنْسَانا مَن نحنُ. وأنسانا من أين جئنا ولماذا؟ وما دمنا قد سعدنا بهذا السلام الموسيقي، أو موسيقى السلام والحب. فلماذا لا نجرب هذه (الروشتة) الفنية الجميلة التي كتبها أعلى طبيب في العالم المسيحي.. شكرًا لصاحب القداسة بابا البابوات..

يــــا

ميــــت..

من برلين.-

التاريخ: أكذوبة. نصنعها ونصدقها ونسكت عليها. والنتيجة: ضياع الحقيقة. ولا ينطبق هذا على التاريخ القديم فقط. وإنما الحديث أيضًا. وعلى عينك يا تاجر. وأنت لست في حاجة إلى أن تقرأ ما يكتبه غيرنا عنا أو عن أنفسهم. وإنما ما نكتبه نحن ونكرره. هل أذكرك بأن أجيالًا لم تعرف أن محمد نجيب هو أول رئيس لمصر. هل أذكرك بأن أجيالًا تصورت أن التاريخ قد بدأ بثورة يوليو. وأن الملك فاروق لم يكن إلا ساكنًا في قصر عابدين فلما تأخر في دفع الإيجار طردوه؟!

قرأت اليوم مقالًا عن مستعمرة (ياميت) التي هدمها اليهود بضغط من السادات سنة 1982. لقد طالب بعودة سيناء دون أن يكون عليها إسرائيلي واحد أو بيت أو مزرعة! فكان له ما أراد. وقد طلب مني الرئيس السادات أن أذهب وأتفرج عليها. وأحكي له بعد ذلك.

ذهبت وعدت وحكيت ومعي قمصان لأحفاد الرئيس مكتوب عليها: ياميت.. هذه المستعمرة وضعوا أساسها سنة 1974 لتكون مسكنًا لربع مليون مواطن من اليمن وروسيا.وفي سنة 1976 أعلن رئيس الوزراء إسحاق رابين أنها يجب أن تدخل في أرض إسرائيل! وأعلن وزير الاستيعاب دافيد ليفي أن ياميت يجب أن تبقى.

أما الرأي العام فرأى أنه من الضرورة الاستجابة لمطالب السادات فلا يقف شيء في طريق السلام مع السادات ومصر كبرى الدول العربية. وأعلن بيجين رئيس الوزراء أنه يجب هدم ياميت بالقوة. وجاء الجنود والجرارات وأجلوها من المواطنين الباكين والنساء الباكيات. وكان يومًا أسود في تاريخ الاستيطان الإسرائيلي.

ومن الغريب أن الذي شجع بيجين على اتخاذ هذا القرار الحاسم هو وزير الدفاع إرييل شارون. وأكثر من ذلك أن شارون ألقى خطبة بليغة في المواطنين. قال يومها:

لابد من هدمها. حتى لا يجيء يوم يلومنا فيه أحفادنا بأننا أضعنا فرصة للسلام. وأننا عطلنا مسيرة الأمان حول إسرائيل وداخلها. وقال أيضًا: بأيدينا أقمناها وبأيدينا هدمناها دون أن نريق قطرة دم. وقال: إن أحدًا من مصر لم يجرؤ على رؤية هذه التضحية العظيمة من أجل السلام.. ولا واحد!

ولا يعرف شارون أنني ذهبت مرة وجرؤت مرة ثانية وأسعدني ذلك مرة ثالثة. وسوف يسعدني والملايين أن يأمر شارون أو يجد نفسه مضطرًا إلى هدم ما أقام على أرض لا يملكها!

كلهم ساعدوني..

لا تواضع ولا تظاهر بذلك. ولا أنني قادر ولكن أنتظر. أنتظر ماذا؟ الفرصة. فعندما قلت إنني أريد أن أؤلف كتابًا عن الرسول ﷺ، إنما أردت أن أحرج نفسي أمام القراء والمؤلفين.. كأنني أبحث عن دافع قوي حين أتورط أو أتعهد أو أعد أو أتوعد.. لا شيء من كل ذلك.. والذي أدهشني حقًّا هو أن عددًا كبيرًا من القراء والأصدقاء تطوعوا لهدايتي إلى الطريق الصحيح أو المدخل السليم. فتلقيت خطابات تدعو الله أن يقويني وأن يباركني ويبارك قلمي. وهذا شيء غريب مع أن المكتبة العربية والأجنبية قد امتلأت بكتب لا أول لها ولا آخر عن الرسول ﷺ.

وجربت في إحدى المحاولات أن أفسر بعض الأحاديث النبوية تفسيرًا فلسفيًّا وجوديًّا فوجدتني قد ذهبت إلى بعيد. فرددت نفسي وصددتها وسددت الطريق في وجهي. وكففت وتوقفت!

ولما ذهبت إلى المدينة المنورة كتبت أعمق وأصدق. وقيل لي: هذه هي البداية. ولكني لم أتجاوز أربع مقالات: انطباعية شاعرية صوفية فلسفية. وراجعت نفسي ورجعت وأرجأت!

وفوجئت بعدد من الناشرين العرب في معرض الكتاب قد قدموا لي كتبًا تساعدني في طموحي وأملي. وأهدوني كتبًا قديمة. وقدم لي

المهندس عادل المعلم كتابًا بالإنجليزية عن (محمد) من تأليف مارتن لنجز (أبوبكر سراج الدين) في 340 صفحة من منشورات (أ.س.نور الدين) وقال: سوف تجد فيه ألف مفتاح للقلعة التي تقف أمامها.

ثم قدم لي (تيسير صحيح البخاري) في ثلاثة أجزاء للدكتور موسى شاهين لاشين في ألفي صفحة ثم قال: الباقي عليك؟!

أي أنه وأنهم قد قاموا بالواجب فلا عذر لي. ولابد أن أعتصر فكري وأنسحب وأطلب المعجزة..

وتلقيت من دكتورة سينا روصنم بحثًا لوالدها نشره في مجلة المستشرقين باللغة الإيطالية بعنوان: تصحيح أفكار مغلوطة عن حياة الرسول ﷺ استنادًا إلى أوثق المصادر الصحيحة. وأرسل لي الصديق د. عزيز الجندي من ألمانيا مشروعًا كان قد أعده أستاذنا المستشرق الألماني باول كراوس، فقد كان في نيته أن يفسر أربعين حديثًا جوهريًا لأي دراسة عن الإسلام..

يعني يتصورون جميعًا - شكرًا لهم - أنه لم يعد عندي سبب يمنعني من أن أحتشد وأن أتوكل على الله..

روميـــو
وجولييــت

من فيرونا (إيطاليا)..

ككل المدن الإيطالية: جميلة تتزاحم فيها الكنائس والقلاع والمتاحف والمكتبات ومعاصر النبيذ والأوبـرا. ولابد أن أضيف عبارة تدل على أنني مصري: وأن شوارعها نظيفة. وأن شوارعها لها أرصفة فشوارعنا ليست نظيفة وليست لها أرصفة. وهذه الشوارع من مفاخر المحافظين. وتآكل الأرصفة بسبب أنها ضيقة وأنها عاجزة عن احتواء السيارات، وليس مهمًا أبدًا ألا يجد المشاة مكانًا يمشون فيه؟!

ولابد أن أهالي فيرونا يسعدهم ويتعسهم أيضًا أن يتساءل السياح بالملايين عن مكان واحد، كأن المدينة خلت من كل معالم الجمال والأناقة والتاريخ والحروب بين الإيطاليين والنمساويين الذين احتلوا هذه البلاد مئات السنين.

أما المكان الواحد فهو: بيت جولييت بطلة المأساة الغرامية المعروفة في الدنيا كلها: روميو وجولييت. فليس هناك أحد إلا وقد قرأ (روميو وجولييت) أو قرأ عنها. فهي رمز للحب والوفاء والتضحية. وصراع الأهل مع نزوات الشباب. أو دليل على وقوف الآباء بعقولهم الحجرية أمام القلوب الرقيقة لاثنين من العشاق.

ورغم أن قصة (روميو وجولييت) لم تحدث في التاريخ فإنها من الممكن أن تحدث في أي وقت أو أنها حدثت. ولكن هذه القصة بالذات من الموروث الشعبي.

فهي لم تقع، تمامًا مثل قصة (مجنون ليلى) ..فليلى والمجنون من التراث الشعبي. ويقال إن هناك ألف ليلى وألف قيس في شبه الجزيرة العربية. وكما أن الشاعر الإنجليزي العظيم شكسبير هو المسئول الأوحد عن انتشار هذه القصة في كل لغة، فكذلك أمير شعرائنا شوقي هو الينبوع الجميل لهذه القصة في اللغة العربية. وسواء حدثت أو لم تحدث فهي تحفة أدبية في أية لغة. والفضل يرجع للشاعر العبقري شكسبير.

ولا أحد يجد حرجًا في أن يزاحم الشبان العشاق في طريقهم إلى البيت الذي كانت تسكنه المحبوبة جولييت. ولا أحد على يقين من هذا البيت الذي كانت تسكنه جولييت.. أما البلكونة الشهيرة التي كانت تطل منها جولييت ويقف تحتها روميو يناجيها وتناجيه فقد بنيت سنة 1937. فإذا كانت عندك مسرحية شكسبير بأية لغة فسوف تجد أن أروع البكائيات في المسرح الشعري هي التي بين روميو وجولييت ومن هذه البلكونة – فلا أجمل ولا أرق ولا أعمق ولا أعظم من شكسبير..

مأســـاة
العاشقيـــن

من فيرونا (إيطاليا)..

وحكاية روميو وجولييت. حكاية حب بين اثنين من الشباب. جنون الحب أو جنون الشباب في مواجهة نزاع عنيف بين أسرتين شهيرتين. وقد حدث أن أقامت أسرة جولييت حفلة راقصة تنكرية. فذهب إليها روميو. جرأة طبعًا. وفي هذه الحفلة رأى جميلة الجميلات جولييت. أحبها من أول لحظة. وهـي أيضًـا. وتلاقيا رغم كل الصعوبات. واتفقا على الزواج وتزوجا. وساعدهما أحد القساوسة. وفي خناقة قتل روميو واحدًا من أسرة جولييت. وهرب وساعده القسيس على ذلك. وكما هي العادة في قصص الصراع أن قررت أسرتها تزويجها من رجل آخر. وتدخل القسيس فأعطاها مسحوقًا مخدرًا يجعلها تنام وتبدو كأنها ماتت. وشربت المنوم. وجاء الطبيب وقال: بل ماتت.ونقلوها إلى القبر. وكانت قد أعطت خادمها رسالة إلى روميو. ولكن الرسالة لم تصله. وإنما علم روميو أن محبوبته ماتت فتسلل ليلًا إلى قبرها. وراح يقبل المحبوبة ويبكي. وقتل نفسه.

.. وصحت المحبوبة على قبلاته فوجدته قد مات. فقتلت نفسها هي الأخرى. وذهب القسيس ليرى فوجد العاشقين قد ماتا. وهاجم البوليس المكان واتهم القسيس بأنه ذهب يسرق مجوهرات جولييت.

وجاءت الأسرة تبكي بنتها الجميلة وتتستر على فضيحة علاقتها بروميو الذي مات شهيدًا أيضًا.

أما الذي حدث بعد ذلك فإن أحدًا لا يذكره. وإنما يقف التاريخ عند الحيلة التي دبرها القسيس وهي أن يغمي على جولييت ـ لا أن تموت. فتمتلئ ملايين العيون بالدموع على مأساة الحب التي صنعها الآباء للأولاد ـ وهم على استعداد دائم لأن يكرروها!

ولا يذكر ولا يتذكر أحد من الذين قرأوا مسرحية (روميو وجولييت) أن هذه المأساة قد جمعت بين العائلتين المتشاجرتين. وانتهت بعناق ودموع وقبلات كل الأعداء. ويتحقق السلام بين الجميع. والفضل في ذلك لهذين الشهيدين.. لقد كان السلام فادح الثمن.فكما أنه لا حرب بلا دماء، فلا سلام أيضًا!

والقصة الدرامية من اختراع الشاعر العظيم شيكسبير..

قبـــة
علـى الأرض

فيرونا (إيطاليا) ..

أما بيت جولييت فمن طراز القرن الثالث عشر ومن ثلاثة طوابق. يتصدر المدخل تمثال نصفي للشاعر شيكسبير. والبيت خال تمامًا إلا من مقعد خشبي هنا.. ودكة هناك. وموظفة تدخن وتعطس. وكان في استطاعة البلدية أن تملأ البيت بمقاعد وأدوات للطعام من التي كانت معروفة أيام روميو وجولييت. ولكن الأمانة العلمية حتمت أن يضعوا فقط ما تبقى من هذه الأسرة النبيلة..

وأمام البيت تمثال من النحاس لجولييت. طبعًا ليس شبيهًا بها. وعلى واجهة البيت وضع الشباب أوراقًا بها تحيات لجولييت وورودًا وقلوبًا من ورق.. تمامًا كما فعلوا على الكوبري الذي قتلت تحته الأميرة ديانا في باريس. ففوق الكوبري توجد شعلة وحولها ترك الشبان تحياتهم للفقيدة ولعنات على الذين قصفوا عمرها.

وفي مدخل البيت تباع كتب عن روميو وجولييت، وكتب أخرى عن الشعر العاطفي. وعن الحوار الجميل جدًّا بين جولييت في البلكونة وروميو على الأرض من إبداع شيكسبير.

..هل سحب روميو وجولييت الدفء من الدنيا كلها، فالشارع بارد والبيت أكثر برودة ولكن بعض الفتيات قد كشفن عن صدورهن كأنهن يرين بالقلب لا بالعين!

وفي الطريق إلى هذا البيت توجد محلات أزياء أنيقة وماركات عالمية ومحلات تبيع تماثيل للعاشقين وولاعات عليها اسم العروسين - وهي أكثر الأشياء دلالة على ما كان من نار وشرار.. ثم خمود وصمت وبرودة بعد ذلك. ويوجد عدد من الشبان يحتضنون صديقاتهم أي يجسدون مشهدًا مما كان يفعله العاشقان.. ومن الغريب أنهم يضعون إلى جوارهم طبقًا لكي نلقي فيه بما تيسر؛ يعني أن واحدًا يعانق واحدة ويقبلها ويرى أنه يستحق أجرًا إضافيًا على ذلك!

ووقفت. والشابان غارقان في الحب. ثم افترقا لحظة رأسين وجسدين.. وسألني الشاب: ما رأيك؟ قلت: في ماذا؟ قال: في هذه اللحظة التاريخية. قلت: لكن الذي تمارسه ليس تاريخيًا.. وإنما التاريخي هو الذي لم يتمكن أن يفعله العاشقان. فكان هذا العذاب التاريخي. قال: لا. لا.. ما رأيك في قبلة؟

ثم أشار إلى الوقوع على الأرض. فتضايقت وقلت له: والطابور الطويل الذي ورائي أيضًا؟!

طبيعي أن يقول كذلك، فوجهه الشاحب ووجهها أكبر دليل على أثر المخدرات الكثيفة - أو احتياجهما إلى ذلك، فهما - إذن - ليسا في حالة غرام، وإنما هما يتساندان حتى لا يسقطا على الأرض. وقد أعجبني جدًا أن يلتف حولهما الناس وقد أداروا ظهورهم إنكارًا واستنكارًا، فالموقف حزين ولا يحتمل هذه المسخرة. صح!

تفــاوض
دائمـــــا!

يا أبا عمار...

بدلًا من عذاب القبر الذي تعانيه في مدينة رام الله، لا بد أن ترضخ إلى ما نصحك به الرئيس السادات، واليوم يجدد لك النصيحة الرئيس مبارك

... اسمع كلام الذين هم أكثر تجربة وأحكم رأيًا وأوضح رؤية.

النصيحة هي أن تجلس أو من ينوب عنك وقدم مطالبك وأشهد العالم كله على ذلك. وأنت تعرف والعالم كله أن السادات وبيجين قد اتخذا مبدأ بسيطًا جدًا هو أحد الأعراف الدولية المحترمة؛ أن كل شيء قابل للتفاوض

..فلكي ترفض؛ تفاوض ولكي توافق، تفاوض، ولكي ترجئ تفاوض. ولا أحد يطلب منك، ولا طلب منا، أن تأخذ شارون بالأحضان والقبلات، لأنه ليس مطلوبًا ولا مقبولًا ولا ضروريًا..

ويا أبا عمار أنت الآن تعرف أكثر من أي إنسان آخر كم أضعت على الشعب الفلسطيني من الفرص. ليس هذا شأني في الدرجة الأولى، ولكنه شأنك وشأن شعبك الذي سوف يحاسبك قريبًا أو بعيدًا على ذلك.. والذي لا يرى من الغربال فهو أعمى ـ كما يقول المثل الشعبي. والغربال هو الشرق الأوسط وما حدث في العراق وقبل ذلك

في الكويت وبعد ذلك في السودان وفي ليبيا. وليس بين العرب جميعًا من لا يشكو من الصداع. ولا يعرف العرب بالضبط ما هي الأقراص التي تشفي الصداع الفلسطيني الإسرائيلي. إن قلوبنا تتمزق على ضحايانا في فلسطين. فالشعب الفلسطيني من حقه أن يكون شعبًا سيدًا على أرضه كريمًا على نفسه وعلينا، شامخًا بين الأمم. لا خلاف بيننا على ذلك. ولكن الخلاف عليك يا أبا عمار.

وكم قلت لك إن المفاوض الإسرائيلي متعب وقادر على خلق المشاكل والأزمات، وإن لديهم في إسرائيل ألاعيب سياسية وحزبية ودينية وعرقية.وأنت أكثر علمًا بها منا. وما دمت تعلم ذلك؛ فاللوم عليك وحدك يا أبا عمار.

فإن كنت تدري فتلك مصيبة، وإن كنت لا تدري فالمصيبة أعظم! وأنت تدري نزيف المستقبل في الحاضر، وهذه هي الإبادة الشاملة لكل مدخرات الشعب، فاجلس وتفاوض وأنت صاحب حق اليوم وغدًا.. وأنت لا تزال ـ رغم ضعفك ـ الأقوى.

فقيـــــد البحريـــن..

أنت أسعد مني حالًا، لأنك لم تعرف يوسف الشيراوي، وإلا كنت حزنت حزني عليه. إنـه فقيد مملكة البحرين. لقد عرفت يوسف الشيراوي في عشاء في بيت صديقي المرحوم إسلام شلبي وكان مديرًا لمكتب طيران الخليج في القاهرة. وأدركت إلمامه العميق بالأدب العربي حديثه وقديمه وكذلك الأدب الأوروبي. إنه إذن أديب بحريني. ثم تحدث في السياسة والاقتصاد. إنـه إذن من رجال السياسة.

ولما تحدث في الفلك وعلوم الفضاء كانت الكرة في ملعبه. فتحدث وأضاف وأقنعني وأسعدني. ولم أعرف بالضبط ما الذي يشغله في بلاده. فهمست في أذن إسلام شلبي أسأله: من يكون؟ وعرفت أنه وزير صناعة البحرين وأحد رواد التنوير والنهضة في بلاده، وأنه أهم معالم الندوات الثقافية والعلمية في دول الخليج. وأنه صديق ودود لكل رموز الأدب والشعر العربي. وأنه عاشق للشاعر المتنبي ويحفظ له ألف بيت، ثم إنه تزوج ابنة الشاعر البحريني الكبير العريض.

وتوثقت تمامًا صلتي به حتى صار صديقي الذي أطلبه في لندن ويطلبني في ألمانيا.وإذا توقف في القاهرة فأنا أول من يعرف. وإذا

غادرها فأنا آخر من يعلم ـ فهو لا يريد إزعاجي وغيري من الأصدقاء..

ولما زرت البحرين رأيت مرصدها الفلكي، ورأيت الصغار يجلسون أمام الإنترنت يستحضرون الكواكب والمجرات والمذنبات. ولما رأى انبهاري بذلك.. وسؤالي له عن العدسات التي تلتقط الأشعة القادمة من الفضاء الخارجي وأنواعها وأحجامها، وأن لدي تلسكوبات قاصرة عن إشباع رغبتي في النظر إلى السماء وما وراء منظومتنا الشمسية. قال لي: عندي لك مفاجأة. تجدها في القاهرة في انتظارك!

ولما وصلت إلى القاهرة وجدت تلسكوبات متطورة جدًّا. ومعها خرائط. ولم يكتف بذلك وإنما قال إن عالمًا فلكيًّا بريطانيًّا سوف يتوقف في القاهرة لمساعدتي في إنشاء مرصدي الصغير. ولكن المرصد لن يرى شيئًا وسط الضباب والتراب والهباب والسحاب وأضواء المدينة.

كأن المرصد كان في انتظار المرحوم يوسف الشيراوي لكي ينشط. وسوف يبقى – مع الأسف – إلى الأبد!

يرحمه الله.. لقد كانت تحبه الحياة؛ لأنه كان يحبها..

جنـــون نابليـــون..

لو صدر كتابان عن شخص عظيم، فالذي يستهوي الناس هو الأكثر تعرضًا لخصوصيات الرجل العظيم، وإذا صدر كتابان عن خصوصيات أي عظيم، فالذي يفضحه هو الذي يقبل عليه الناس، فالناس بقدر حبهم للعظماء، يحرصون على النظر إليهم من ثقب الباب... ثم يصدقون كل الأكاذيب والشائعات.

وفي بريطانيا صدر كتاب عن العبقري الفرنسي نابليون، الكتاب عنوانه: نابليون.. زوجاته وعشيقاته بقلم كريستوفر هبرت من منشورات هاربر كولنز.

فنابليون لا يكن للمرأة أي احترام، أمه فقط التي كان يتهمها بأنها بخيلة شحيحة، وربما أحب واحترم زوجته جوزفين الأرملة التي تكبره بست سنوات، وكان اسمها على لسانه عند موته في منفاه في جزيرة سانت هيلانة، برغم أنه طلقها بعد أن ضبطها مع عشيقها في فراشه..

وكان نابليون ريفيًا خشنًا...وكان (يقرص) النساء في الخد والأنف والأذن حتى تنزف دمًا... وكان يلقي أحذيتهن في الماء، ويضع الأسماك الصغيرة في جيوب الضيوف، وكان يغش في اللعب مع الأطفال، وكان يسأل أية امرأة يقابلها: عندك كم سنة؟ أو يقول: لقد قالوا لي إنك جميلة، أنت دميمة جدًا!

وكانت الممثلات إذا جئن إليه أمر خادمه بأن يغلق عليهن الباب ساعة... ويجيء الخادم يقول: مضت ساعة... ويرد الإمبراطور نابليون: قل لها تخلع ملابسها، وبعد ساعة يعود الخادم فيأمره الإمبراطور بأن يتركها تعود إلى بيتها!

وكانت أمه وأخواته يكرهن زوجته جوزفين ويصفنها بالغانية... أما أخته بولين فقد كان لها خمسة من العشاق يقيمون في بيتها، وقد حملها خادمها الزنجي عارية تمامًا ليلقي بها في حوض امتلأ باللبن....ويقال كانت لها علاقة بأخيها الإمبراطور!

وكان إذا لعب الكوتشينة مع أمه فإنه يغش، ويقول لها: أنت غنية جدًّا وأنا فقير ولا بد أن أكسب!

وعندما طلق جوزفين انفرد بها في إحدى الغرف وسمع الناس بكاءهما.. وقد حرص نابليون على أن يظل عشيقها بعد ذلك.

أما القاعدة التي لا تخطئ فهي: وراء كل رجل عظيم امرأة مندهشة من تصرفاته الغريبة!

أكاذيب كاريوكا..

كنت قد تحدثت عن السيدة تحية كاريوكا، وعن طيبة قلبها واندفاعها وسذاجتها عندما أقنعها الشيوعيون بأنها زعيمة، فراحت تحب ما يحبون وتكره ما يكرهون.. وتستعير عباراتهم في كثير مما تقول.. فكانت – مثلًا – تتحدث كثيرًا عن رواية (الأم) لماكسيم جوركي – وكانت تنطق الجيم معطشة، وهاجمتها، ولكن حرف (الجيم) مثل أسماء وعبارات أخرى غريبة قد انطبعت على لسانها.

وذكرت أن من مظاهر علمها المحدود أن ادعت أنها بصقت على وجه ممثلة أمريكية في مهرجان كان لأنها يهودية.. وادعت أيضًا أن يحيى حقي متزوج من يهودية، أي أنه ليس صحيحًا أنها بصقت على سوزان هيوارد ولا صحيحًا أنها مثل زوجة يحيى حقي يهودية.

وقد غضبت كريمة الأستاذ يحيى حقي من القول بأنه تزوج يهودية، ومعها حق، فالربط ليس واضحًا بين ادعاء كاريوكا بأن الممثلة يهودية وبين يحيى حقي، وسوف أراجع هذه العلاقة، وإن كنت أرجح الآن – مؤقتًا – أن يحيى حقي قد صرح أو همس لأحد في ذلك الوقت بأن الذي ادعته كاريوكا ليس صحيحًا، فتهجمت عليه..

وإذا كان ما قيل قد أثار غبارًا حول قرار كاتبنا الكبير يحيى حقي في أن يتزوج واحدة من أي دين، فمن المؤكد أن يحيى حقي يستحق

عظيم الاحترام، وأنا من أشد المعجبين به، وكان أستاذًا وصديقًا كريمًا ونبيلًا، وفي كتبي كثير من الإطراء له والإعجاب به، أما دين الممثلة أو الزوجة فليس يهمني على الإطلاق، ولا هي قضية، ولا شأن لي بذلك، ولا يدخل في أي حساب، فهو حر، كما أنني حر.. ولا أعيب عليه ولا ألوم ولا أقترب من أخص خصوصياته بنقد أو لوم أو تلميح... وإذا كانت كريمته نهى يحيى حقي تفخر بوالدها فأنا أيضًا، ويحيى حقي رجل رقيق لطيف وفنان موهوب، وموهبته الأخرى هي أنه أب لكل فنان شاب.. والذين يدينون له بهذه الأبوة الواعية المضيئة كثيرون من الشباب الذين أحبوا أدبه وفنه واتسعت لهم أحضانه الدافئة وأبوته الغامرة.

وإن لم يكن واضحًا أو معروفًا تمامًا مدى إعجابي به، فإنني أؤكده الآن مع عظيم الاعتزاز بفنه وشخصه حيًّا وميتًا.

أبـــــا
إيبـــــان..

مات عن 87 عامًا أحد علماء الدبلوماسية في العالم، وزير خارجية إسرائيل الأسبق لمدة ثماني سنوات: أبا إيبان. وهو الذي ترجم رواية توفيق الحكيم (يوميات نائب في الأرياف).. وجعل عنوانها (متاهة العدالة) .ووقف متحيرًا أمام الأغاني الشعبية التي جاءت في الرواية. ولم يعرف كيف يترجمها إلى أية لغة. مثلًا: واحدة شبارة شفتشي والتانية بلطية.. والتالتة من بدعها عملت مراكبية.. ورمش عين الحبيبة يفرش على فدان.. وعندما ترجم الرواية وجد كلمتي (كوز ذرة) فترجمهما ثمرة الذرة.

وسمعته عندما جاء إلى مصر يرثي أستاذه المستشرق الإنجليزي نيكلسون وكان ذلك في نادي الاتحاد المصري الإنجليزي بالزمالك وهو (نادي الضباط) الآن. وكان يرتدي الملابس الصفراء فقد كان بكباشي من جنوب إفريقيا مجندًا في الجيش البريطاني..

ولما أراد الرئيس السادات أن يكون له دور في الانتخابات في إسرائيل طلب مني أن أدعو أبا إيبان إلى لقاء في مجلة (أكتوبر) فجاء هو وشمعون بيريز وحاييم بارليف وموسى بيلين والدكاترة مصطفى خليل وإبراهيم حلمي عبد الرحمن وبطرس غالي. وكان حوارًا صريحًا وكاشفًا فريدًا في السياسة الإسرائيلية.

وكل ما قالوه من أربعة وعشرين عامًا هو الذي حدث بعد ذلك.

وكان من رأي أبا إيبان أن الحل ممكن. وإن كان الشرط بسيطًا جدًّا، صعبًا جدًّا: ضبط النفس!

وللدكتور أبا إيبان عدة كتب هي تحف في فن الكتابة والحكاية والترجمة الذاتية والفهم العميق لتاريخ شعبه وبلاده بين دول العالم.. وله مسلسل تليفزيوني، أتمنى أن يكون لنا مثله عن مصر في شاعريته بالصورة والعبارة والعشق لأهله وناسه.. قال لي مرة: ليس صحيحًا أننا في حاجة إلى معجزة لكي نعيش معًا. ما نحتاج إليه هو أن نعطي لأنفسنا فرصة... والحل ممكن!

اقتـــل
المدنييـــن

من مسقط..

جاء الدور على الزعيم البريطاني تشرشل أن يكون مجرم حرب.. فالذي فعله في ألمانيا أبشع من الذي فعله الألمان في بريطانيا ودول أخرى. فتشرشل هو صاحب نظرية: استخدم الطيران واقتل المدنيين يستسلم العسكريون. وكانت هذه النظرية قد سبقت ظهور هتلر بعشرين عامًا. ولم يلتفت إليها أحد، فلما نشبت الحرب العالمية الثانية اندفع سلاح الطيران البريطاني يضرب المدن الألمانية. فقتل وحده أكثر من نصف مليون مدني.. بل إنه أباد مدينة درسدن، وقتل في يوم واحد 35 ألف نسمة من أطفال ونساء وشيوخ. ولم يقف تشرشل أمام محكمة نورمبرج التي حوكم فيها القادة الألمان وأدينوا،وأدين الشعب الألماني كله!

وعندما أعلنت أمريكا الحرب على المحور: ألمانيا وإيطاليا واليابان بعد غرق أسطولها في هاواي في ديسمبر سنة 1941، ضاعفت بريطانيا ضرباتها على المراكز الصناعية الألمانية.. فمصانع كروب التي ساهمت في تسليح ألمانيا دمرها الإنجليز، ثم راحوا يفككونها وينقلونها إلى بلادهم.. وقد اعترفت دول أوروبية كثيرة بوحشية الإنجليز في ضربهم المدنيين تطبيقًا لنظرية تشرشل الشريرة التي لم

يلتفت إليها أحد من المؤرخين.. فقط المؤرخ الألماني يورج فريدريش في كتابه:

(النار: ألمانيا تحت الغارات 1940 – 1945).. وقد نشر هذا الكتاب مسلسلًا في أكثر الصحف الأوروبية انتشارًا جريدة (بيلد).. ثم أعيد نشره في كتاب، فكان أعنف هجوم على بريطانيا وزعيمها. صحيح أن المؤرخ لم يبرر فظائع هتلر. ولكنه أراد أن يقول إن تشرشل كان أسوأ من هتلر.. وإن لم يشنقه أحد. ولكن جاء هذا الكتاب حيثيات للحكم عليه شنقًا وحرقًا وغرقًا كما فعلوا بالألمان!

الإرهاب، لا في أمريكا وحدها ولكن في العالم، يدل على أن أمريكا جادة، أو يدل على أن أمريكا قد شكلت وزارة للمستعمرات، أو استعمار العالم بسبب الخوف عليها من غيرها من القوى الأخرى؟ أليست هذه هي الحرب الباردة مرة أخرى وبصورة مروعة؟

ففي القرن الماضي كانت أمريكا تحارب السوفييت والأفكار الشيوعية وعدم الانحياز لها، وفي هذا القرن ذهب (البعبع السوفيتي)، وظهر البعبع العربي أو الإسلامي، فهل صحيح أن أمريكا حريصة على السلام بتجميد الصناعات الحربية؟ هل صحيح أن أمريكا ضد المخدرات التي تبيعها وتهربها في مكان، وتحاربها في مكان آخر؟

وهات كل الصحف بكل اللغات، وكل القنوات، واستمع إن كان عندك وقت، وفكر إن كان قد بقي لك عقل، وقل لي: أين أنت، وأين نحن؟

المصيبة الكبرى أن بعض الذين يتصدون لقضايا الدين، هم أيضًا قد تجاوزوا كل الحدود، وذهبوا إلى ما بعد الخرافة في عصر النور والعقل والعولمة والتخطيط والكمبيوتر، ألم يحدث أن سمعتهم فأغلقت التليفزيون، أو الراديو وتساءلت: ماذا يقولون، وإلى من يتكلمون؟ لا أحد يعرف.. ولا أحد يريد أن يقول لأحد: لا أو نعم.

فإذا قلت عن نفسك إنك ضال فعلًا، فلست وحدك، بل مئات الملايين، ومن حقك أن تحزن على نفسك وعلينا!

ما هـذا الهـــدوء؟

باريس..

تقف في الطابور.. والطابور يمتد وراءك ولكنه لا يتحرك بسرعة. ولا أحد يشكو أو يتململ أو يقول للبائعة: من فضلك شدي حيلك لأنني مستعجل. ولن تستمع إليه. ولا ترد عليه. ولا أحد يجرؤ على أن يقول لها شيئًا. فهم يرون أنها تعمل. وأنها تحل مشاكل الزبائن. وأن ما تفعله هو أقصى ما تستطيع. وتندهش كيف أن أحدًا لا يتضايق أو أن أحدًا لا يخرج عن الصف ليحدثها لعلها تخف يدها. لا أحد يفعل ذلك مهما طال الطابور. فقد اعتاد الناس على ذلك الأسلوب في العمل وفي الانتظار.

قد تقول إن أعصابهم باردة أو أنهم بلا أعصاب في فرنسا. والحقيقة أنهم حساسون جدًّا، عصبيون. ولكن في مثل هذا الموقف هم واقعيون.. فلا أحد يستطيع أن يلوم أحدًا؛ لأنهم أمام عاملة أو موظف يفعل ما هو ممكن.

قابلت مع مستشارنا الطبي د. هاني هندي عددًا من كبار أطباء فرنسا. ولولا أن أسماءهم لا دلالة لها عند القراء لذكرتها. كل واحد أستاذ الأساتذة في علمه وفنه. ومرضاهم من القارات الخمس. والمرضى كثيرون.

وحين نلتقي بالطبيب الأستاذ، فما هذا الهدوء في الصوت، والصفاء في الوجه، والحركة الناعمة، كأنهم بلا عمل أو بلا زبائن. وليس مستعجلًا في قراءة أو فهم أي شيء يدور بيننا. وسوف أذكر اسم طبيب فرنسي مشهور عندنا - نحن المصريين - هو الأستاذ روشمور: صوته هامس ووجهه مضيء وبشرته حرير وحفاوته بك نادرة. والناس جالسون على بابه كثيرون. ولكنه في حديثه إلينا كأننا ضيوفه الوحيدون في ذلك اليوم أو في هذا العام. شيء عجيب!

ونتساءل: لماذا نحن عصبيون؟ لماذا نحن لا نصبر على طابور أو في قائمة انتظار.. لماذا نتصور أن كل الناس أقل أهمية، وأن حالنا أكثر خطورة وأننا نستحق اهتمامًا خاصًّا.. ولماذا يقابلنا الأطباء في فرنسا بهذا البرود الشديد؟!

السبب أن أسلوبهم في الحياة: في البيت وخارج البيت. في العيادة والمصنع والمستشفى منضبط. وكل شيء يمشي. وكل شيء له حل. وكل حل يرضي الجميع، فالغضب والقلق والملل لا معنى لها. ولا بد أن تدخل في الخط وأن تنتظر وأن تتعلم الصبر. فلا أحد أحسن من أحد ولا أحد أحق بالرعاية!

ولمــاذا قصــر عابديــن؟

بـاريس–

طوابير في الشوارع لا لأنه يوم الأحـد. ولكن لأنـه فـي مثل هـذا اليوم من أوقـات معلومة يفتحون قصور الرياسة للجمهور يتفرج مجانًا. وفي أمريكا يتفرجون على البيت الأبيض، وفي بريطانيا يتفرجون على قصر بكنجهام. كلها معلومات مفيدة. وكلها من حق الشعب ليقترب ويعرف ويفهم. فهذا تاريخه القديم والحديث.. وهي تسلية رخيصة – أقصد أنها لا تكلف أحدًا مالًا ولا جهدًا. ولكنها فرصة ليعرف الناس والأطفال خصوصًا ماذا كان، وماذا يجري، ومن هؤلاء الذين حكموا وذهبوا؟ وكم دفع الناس وكم أبدع المهندس والفنان. وماذا بقي من القديم، وما الذي أضافه الجديد. إنها عملية حسابية رابحة.

سألت الواقف أمامي: أول مرة؟

فضحك: نعم أول مرة بعد الألف.. ولكنها المرة الأولى لحفيدي.

وأشار إلى كتب مصورة بديعة للقصر الذي سوف نراه ومعه أيضًا شريط فيديو.. وتماثيل للملوك والملكات.. يعني أن هناك تجارة للصور والأفلام والتماثيل. وهذه التجارة رائجة. فالقصر الواحد قد سجلوه في الكتب وعلى شرائط بالصوت والصورة. وكله مكسب.

ونحن لا نزال نعيش سياحيًا على الذي صنعه الفراعنة من ألوف السنين. ولم نصنع نحن في الأربعين قرنًا الماضية شيئًا يتفرج عليه السائح. ولكنه التاريخ العريق لا يزال جديدًا متجددًا.. يكفي أن ترى كل عام كل شهر ما الذي تخرجه المطابع الفرنسية من روائع في الأدب والفن لمصر الفرعونية! ويكفي أيضًا أن ترى مطابعنا سنة وراء سنة ولم تخرج كتابًا واحدًا لا مؤلفًا ولا مترجمًا عن مصر الفرعونية. إن أكثر الناس حبًا لمصر هم الذين لا يعيشون فيها..

في باريس ـ مثلًا ـ شوارع ومطاعم بأسماء الفراعنة. إن ثلاثين مدينة فرنسية بها شوارع تحمل اسم القاهرة وأبوقير وخوفو ونفرتيتي.. لم نطلب من فرنسا ذلك. وإنما هو الشعب الفرنسي المفتون أبدًا بمصر الفرعونية.

ولو فتحنا قصر عابدين – الذي هو نسخة من قصر فرساي لتحول إليه الملايين. فلماذا لا نفعل؟!

آدميـــة

الجنـــــدي..

عندك فكرة مَنْ أهم أعظم قادة عسكريين في التاريخ... مجلة (فوكس) العالمية اختارت عشرة قـادة بسبب براعتهم العسكرية وانتصاراتهم الباهرة، ثم وضعت شرطًا إنسانيًّا هو مدى حرصهم على حياة رجالهم في المعارك فلم يكن بينهم يوليوس قيصر ولا هـانيبال ولا مونتجمري أما رقم واحد فهو قـائد لا يخطر على بال، إنـه قائد (القوات الإنجليزية المنسية)، والـذي وقف أمـام الزحف الياباني على بورما وكان اليابانيون أكثر عددًا وعدة، هذه القوات كانت أكثر الجيوش تمزقًا في التاريخ.. ولكن هذا الجيش بقيادة الجنرال سليم استطاع أن يقف وأن ينجح، أما لماذا استحق الجنرال سليم أن يكون على رأس هذه القائمة فلأنه كان محبوبًا من جنوده وكانوا يسمونه العم بيل.

والثاني ولينجتون الذي وقـف بجيش صغير من دول مختلفة أمـام نابليون، وأبـرع الضبـاط في أوروبـا ثم إنه لم يخسر موقعة واحدة.

والثالث: روميل ثعلب الصحراء وقـائد (الفيلق الإفريقي) وقـائد القوات الألمانية في نورماندي لمقاومة الغزو الأمريكي، لقد كسب خمس معارك وخسر خمسًا، والخسارة سببها الأوامر الجنونية لهتلر الذي كان روميل يمقته.

والرابع: نلسون أعظم قادة البحار في التاريخ، والذي قتل لحظة انتصاره في موقعة «الطرف الأغر» وكان أشد الناس حرصًا على سلامة جنوده.

والخامس: نابليون إمبراطور فرنسا، والذي كان يملك موارد لا حدود لها ولكنه كان لاعبًا بجنوده وسلامتهم وحياتهم.

والسادس: زوكوف.. وهو الرجل الثاني بعد ستالين، ولكنه رغم براعته لم يعبأ كثيرًا بجنوده وحياتهم فقضى على الملايين، وكان خشنًا مع ضباطه وقاسيًا على جنوده.

والسابع: بول فون ليتوف فوربك، أحد قادة الجيوش الألمانية في الحرب العالمية الأولى، وقد دفع بعشرة آلاف جندي ألماني في شرقي إفريقيا لمواجهة 160 ألف بريطاني فأرغمهم على حرب العصابات.

والثامن: دوق مارلبورو قائد القوات البريطانية الهولندية في حرب التتابع الإسبانية.

والتاسع: الإسكندر الأكبر حاكم أقدم الإمبراطوريات في التاريخ وقد مات في العشرينيات من عمره واشترك في أربع معارك وكسبها جميعًا.

والعاشر والأخير هو: جرانت الذي قاد جيش الاتحاد في الحرب الأهلية الأمريكية.. فالعظمة ليست في تنظيم القوات والانتصار بها فقط، ولكن في احترام آدمية الجندي والحرص على كرامته وحياته، وأوضح مثال لذلك؛ روميل الذي كان يتقدم جنوده ويطلب إليهم أن يحتموا به.. ونابليون الذي يدفع جنوده أمامه موجة بعد موجة ولا يهتز له جفن لهلاكهم بعشرات الألوف!

إدمـــان
الخــــوف

محكوم علينا بالخوف. لا حيلة لنا في ذلك. ولكن نحن الذين اخترنا الموت خوفًا. فكل يوم يطلع علينا العلماء باكتشاف جديد. هذا الاكتشاف سوف يؤدي عاجلًا أو آجلًا إلى سحق الكرة الأرضية ومن عليها.. في يوم قالوا: إنه أحد المذنبات كان ضالًّا في الفضاء منذ ملايين السنين واهتدى إلى مدار حول الأرض ومنذ ألوف السنين.. وسوف يقترب من الأرض. ويا عالم إلى أية درجة يكون قريبًا! وقالوا في مارس الماضي. وقبل الاقتراب أعلنوا أنه لن يصطدم بالأرض فقد جاء على مسافة مائة ألف ميل – وهي مسافة تافهة جدًّا في مساحات الكون الذي لا نعرف له بداية أو نهاية.

اكتشاف آخر أن جسمًا في حجم جزيرة الزمالك سوف يصطدم بكوكب الأرض بعد خمس سنوات.. وجسم آخر سوف يصطدم بعد عشرين. أما المؤكد فهو أنه – إن شاء الله – في سنة 3114 سوف يصطدم جسم في حجم جزيرة الذهب بالكرة الأرضية بسرعة هائلة فترتفع درجة الحرارة وتجف المياه وتحرق النباتات وتنفق الحيوانات وعلى الأرض السلام.. الذي هو الموت..

آخر الاكتشافات أنه يوجد تحت إحدى الولايات الأمريكية أكبر بركان. وهذا البركان نائم منذ ألوف السنين. وقد اقترب موعد

يقظته. فإذا فتح فاه اندفعت الحمم والغازات السامة والأبخرة واحترقت أمريكا. أما الدخان فسوف يخنق أوروبا وآسيا في ظلام وفي برودة وجليد. فالذي لم تدركه النار سوف يغرقه الماء وتخنقه الغازات!

فهل عند أي أحد حل؟ لا حل. لا يستطيع أحد أن يطرد النيازك ويطفئ البراكين.. إذن ماذا؟ أن نعيش في خوف وأن تنشط شركات الأدوية في بيع المهدئات والمسكنات والمنومات والمخدرات.. ويؤدي بنا الخوف إلى العنف والعنف إلى القتل فتنشط مصانع الذخيرة في كل مكان. والنتيجة: من خوف إلى خوف إلى موت أو ما يشبه ذلك من تعذيب النفس وإذلالها والاسم: حياة!

جاءت الحياة
من فوق

خرجت سفينتان للفضاء عن نطاق المجموعة الشمسية بعد رحلة استغرقت 25 سنة، واحدة تنطلق بسرعة 62 ألف كيلو متر في الساعة، والثانية بسرعة 35 ألف كيلو متر، وإذا فرضنا أن في السفينتين روادًا للفضاء وحاول أحدهم أن يتحدث إلى زوجته ويقول لها: أهلاً... فيجب أن ينتظر 50 ساعة ليسمع كلمة: أهلاً... 25 ساعة ذهابًا ومثلها إيابًا، فالمسافة التي بينه وبينها سبعة آلاف مليون كيلو متر!

وهذه هي المرة الأولى التي تخرج فيها أجهزة بشرية إلى نهاية مجال المنظومة الشمسية بكواكبها التسعة وأقمارها الخمسين، وما لا نهاية له من النيازك ومخلفات الصواريخ وسفن الفضاء في الأعوام الستين الماضية.

أما عدد الصور التي بعثت بها السفينتان فملايين، وكلها تصور الكواكب وتسجل مجالاتها المغناطيسية والعواصف والأتربة والجليد والبراكين الحية، أما السماء فسوداء مخيفة، وأما صور النجوم والسدم فهي مثل جهنم تأكل بعضها، وتلفظ أحشاءها بين النار والكهرباء والمغناطيسية.

ومن جهنم هذه خرجت الحياة.... الميكروبات والفيروسات والخلايا الحية النباتية والحيوانية... فقد كنا هناك، خرجنا من النار

إلى الجليد إلى الماء إلى الحياة التي تتطور ببطء في عالم الحيوان وبسرعة في دنيا الإنسان! إلى أين؟ ولماذا؟ ومن أين؟ ولماذا؟

كل هذه وألوف غيرها من الأسئلة عاجلة، ولكن إجاباتها آجلة... أي بعد ألف أو بعد مليون، أو ألف مليون سنة، وهي فترات قصيرة إذا قورنت بعمر الكون الذي لا يفنى، وإنما يتوالد ويتجدد... والكون كله يتحرك ويدور ويتجه بعيدًا، وليس لهذا الكون أول ولا آخر!.

لأنـــه أمريكـــي!

كان رجلاً طيبًا الزعيم مصطفى كامل عندما قال: لو لم أكن مصريًا لوددت أن أكون مصريًا. فهو لم يعرف كم يساوي أن تكون أمريكيًا.. إنه يساوي خمسة آلاف مليون جنيه مصري.. فهذا ثمن د. سعد الدين إبراهيم الذي عاقبت أمريكا من أجله مصر ومنعت عنها معونة بألوف ملايين الدولارات!

فأمريكا لا تحترم القانون.. لا في مصر ولا في غيرها.. فقد أرادت أن يقوم القضاء بخرق الدستور المصري والقانون وإلقاء الاثنين في الزبالة من أجل سواد عيون د. سعد الدين إبراهيم.. لا لشيء إلا أنه رجل أمريكي وزوجته كذلك. أما الذي أساء إلى مصر حكومة وشعبًا فلا يستحق أن نؤاخذه على ذلك. أليس أمريكيًا فوق أي قانون في أي مكان، في أي زمان!وإذا كانت هذه هي سلطات المواطن الأمريكي العادي الغلطان، فما هي حدود سلطة السيد بوش ملك أمريكا وسيد الكرة الأرضية. إنه معصوم من الخطأ، ولا حدود لقدرته ولا راد لكلمته ـ بفلوسه!

وأنا لا أتحدث عن تجاوزات د. سعد الدين إبراهيم. فقد أخطأ وحوكم على ذلك، ولا تعليق على حكم القضاء، ولكن أتحدث عن القضاء الذي هو (أمريكي) أبيض أسود أحمر.. حاكم محكوم. ظالم

مظلوم.. إننا لا ننسى ما فعله الرئيس بوش بالسفيرة أبريل جلاسبي في بغداد والتي قيل لها: اذهبي لصدام وقولي له لا تضرب السعودية.. أي اضرب الكويت فلا مانع عندنا!

وصدام حسين هو الذي أتى بأمريكا إلى الخليج وأقامها فيه إلى أجل غير مسمى.. وقد نسيت أمريكا هذا الفضل العظيم، وما دام قد حقق غرضها فلابد من القضاء عليه.. كما فعلت بأسامة بن لادن الذي اخترعته لضرب الروس، فلما انتهى دوره كان لابد من القضاء عليه. وأمريكا ترى بن لادن في فلسطين وسوريا ولبنان وليبيا ومصر والسودان ـ فكلهم وكلنا بن لادن!!

متحف
جنسي!

المتحف البريطاني سوف يفرج عن 400 تمثال جنسي من العصور الوسطى وعهد النهضة، كان من المستحيل عرضها قبل ذلك. ولم يكن مسموحًا إلا للعلماء والباحثين بأن يروها وقد تجمعت في دولاب واحد. أما الآن فقد تقرر أن يراها الناس في معرض خاص وبتذاكر غالية الثمن.. ويرى الخبراء أن هذا المعرض سوف يعود إلى المتحف البريطاني بعشرين مليون جنيه تساعده على التطوير واستعادة بعض الموظفين الذين استغنى عن خدماتهم..

والمعروضات رومانية إغريقية. وتضم تماثيل ولوحات وعلب سجائر وفناجين. وكلها قد تغطت بأوضاع جنسية. كما يضم عددًا كبيرًا من (أحزمة العفة) وهي التي كان يضعها الرجال لزوجاتهم ولها قفل ومفتاح في جيب الزوج حتى يعود وبذلك يضمن عفة زوجته؟!

وفي مصر ألوف التماثيل قد استقرت تحت المتحف المصري. وليس من السهل عرضها للناس. ولذلك بقيت عشرات السنين في الظلام والرطوبة وأكفان من نسيج العنكبوت. وإن كنت قد رأيت عشرة منها في أحد أركان المتحف. ولما سألت: ولماذا في أحد الأركان؟ كان الرد: لو عرف الناس لتركوا المتحف وتوقفوا عندها.

وقد سألت الفنان فاروق حسني وزير الثقافة: هل لو طلب منك المتحف البريطاني أن يستعير بضع مئات أو بضعة آلاف هل توافق مقابل مبلغ كبير من المال؟ فكان رد الوزير أنه يوافق.

وهذه المعروضات التي سوف يقدمها المتحف البريطاني تضم تماثيل فرعونية سرقت من مصر!!

فبدلًا من أن تمتد إليها يد اللصوص وما أنشطها! فلماذا لا نسعى لأن يعرضها الإنجليز في بلادهم..

وهذه فرصة نادرة لأن نسافر بالطائرة ذهابًا وإيابًا ونقيم في أحد فنادق لندن مرورًا بمحلات ماركس وأند اسبتسر ونشتري ونعود إلى مصر لنجد بقية التماثيل نائمة إلى أن توقظها الأيدي الناعمة التي ملأت متاحف الدنيا بأروع ما أبدع الفراعنة!

كلهــا
جنـــازات..

سمعت كلامًا صغيرًا للمطرب محمد الحلو في الإذاعة البريطانية، قال: إن الاحتفال السنوي بعبدالحليم حافظ يجعل الناس تشعر كأن عبدالحليم لا قبله ولا بعده، وإن مصر قد خلت من المطربين وذكر أسماء المطربين المصريين الصغار – صغار العمر، صغار التجربة، محدودي الموهبة..

ومعه حق في نقطة وليس معه حق في بقية النقاط.. إننا نزودها في الاحتفال بكل الذين ماتوا من فنانين وغيرهم، ومثل هذه الحفاوة الزائدة تجعل الناس تمل وتقرف من سيرتهم، إن بعضهم يستحق هذه النتيجة وعن جدارة، وعادة مصرية سخيفة: هي المبالغة في الذي راح والذي ضاع حتى يتحول الاحتفال إلى جنازة ونندب فيها من جديد، وإلى أننا سجناء مع موتانا، مع أننا كنا في غاية الشح في الحفاوة بهم وهم أحياء، فكأننا اخترنا أن نقول لمن يسمع ونلقي بالورد على من لا يستطيع أن يشم.. كأننا تعمدنا ألا نقول شيئًا عنه لا حيًا ولا ميتًا.

أما أن يقال: إن عبدالحليم حافظ لا قبله ولا بعده، فهذا صحيح، فليس عندنا حتى الآن صوت يرقى إلى صوت عبدالحليم الذي لا يسمعني الآن ولا يدري بما أقول، فلا أرق ولا أجمل من صوته الشجي.

وعبدالحليم حافظ هو حصيلة الشاعر والموسيقار، ثم إنه أضاف إلى ذلك جمال الصوت ورقة الأداء، صحيح عندنا أصوات جميلة، ولكن ليس من الضروري أن تكون مثل عبدالحليم، فهو لم يكن مثل عبدالوهاب، وعبدالوهاب لم يكن مثل سيد درويش.. وغادة رجب ليست أم كلثوم، ولا هاني شاكر وعمرو دياب وإيهاب توفيق وحكيم والحلو مثل عبدالحليم.. ولكن لا يزال عبدالحليم هو الأكثر ذكاء والأوسع انتشارًا والمحبوب لكل سن وفي كل بلد!

حكايـــة قطـــــة

حكاية قطة في الصحف البريطانية.. واحدة وجدت قطة جميلة على باب بيتها. دخلت البيت. وحملتها بين ذراعيها. وقدمت لها الجمبري. وأكلت وشبعت ونامت. ولم تغادر البيت. وأدركت هذه السيدة أن القطة ضالة. ولابد أن يكون لها صاحب. فوزعت منشورًا وعلقته في الكنيسة وفي أماكن أخرى تتحدث عن أوصاف القطة التي لا تعرف لها اسمًا. وإذا لم يتقدم أحد، فالقطة سوف تكون لها!

وفوجئت السيدة بأن القطة تأكل في بيتين وليس في بيت واحد. وظهرت صاحبتها وطالبت بها. وذهبت إلى القضاء وأثبتت أن هذه القطة ملك لها، وأن لها أختًا في البيت.. وأن اسمها قد تغير تحت إغراء الطعام والحنان وأن تغيير الاسم سوف يصيب القطة بارتباك نفسي واضطراب عصبي. وأن القطة قد وقعت تحت الإغراء حتى استسلمت تمامًا.

وتأكد البوليس من أقوال صاحبة القطة. وألقى القبض على السيدة التي استولت على القطة وأودعوها السجن. ولما ثبت للقاضي أن القطة لم تصب بأي أضرار لا جسمية ولا نفسية ولا تغيير اسمها قد أدى إلى تغير سلوكها.. و بعد الكشف على القطة وتحليل دمها، لم ير القاضي مانعًا قانونيًا من إطلاق سراح القطة والسيدة، وكان لابد

لهذه السيدة من أن تعتذر لصاحبتها وللقطة! فقد جاء في أقوالها أن القطة كانت مليئة بالبراغيث، وأنها هي التي طهرتها ونظفتها وذهبت بها إلى الحلاق أكثر من مرة ليجعلها أجمل رأسًا وذيلًا

وتقدمت صاحبة القطة بفواتير إلى القاضي تؤكد سلامة ونظافة القطة. وأنها لم تكن مهملة ولا قاسية عليها وطلبت إلى القاضي أن تعتذر السيدة التي كانت قد استضافت القطة. واعتذرت.

إنها ليست حكاية قطة: إنها حكاية قانون واحترام للحيوان والإنسان.

هـــذه هـــي الحقيقـــــة

في الندوة التي أقامها لي (قصر الإبداع) الجميل الأنيق بالإسكندرية جاءني سؤال يقول: أنت تسرف في استخدام عبارات في كل ما تكتب في الصحف وفي الكتب. تقول: أنا لا أعرف.. ربما.. يجوز والذي أعرفه في أي شيء قليل. والذي لا أعرفه في أي شيء كثير جدًّا. فما المعنى. تواضع؟

لا والله. وإنما أنا أقول الحقيقة. فأنا لا أدعي العلم بأشياء كثيرة. فالكثير هو الذي أجهله تمامًا. فلا أنا قرأت كل الكتب ولا كل النظريات والمذاهب في أي مجال من مجالات العلم والأدب والفن والسياسة والتاريخ.

وقد يرضى بعض الناس بما لديهم من علم قليل. ولكن ليس الذي يفكر أو يحاول. فأنا كالذي يشرب من ماء البحر. كلما شرب ازداد عطشًا.. ثم كيف أشرب.. إني أتناوله قطرات.. ويعجبني مثل عند الصوفية. يقولون إن حكيمًا أراد أن يلفت نظر أحد تلامذته إلى ضرورة التواضع أمام العلم اللانهائي والحكمة الخالدة. فشرح له وأطال. وفجأة ظهر عصفور واقترب من ماء النهر وشرب ثم طار. وضحك الرجل الحكيم وضحك تلميذه. فالعصفور مثل بالضبط لما أراد أن يؤكده الرجل الحكيم: إننا كهذا العصفور الذي ارتوى بقليل جدًّا من الماء وبقي النهر يتدفق!

وأكبر العلماء أكثرهم تواضعًا. فيقال عن العالم العظيم نيوتن إنه يقلب في ذرات الرمل على شاطئ محيط الحقيقة.. ويقال عن العالم الكبير أينشتين إن الذي يعرفه لا يزيد على سمك طابع البريد إذا وضع فوق مسلة فرعونية!

وفي الحديث الشريف:

«**منهومان لا يشبعان: طالب علم وطالب مال**». وأكثر الذين يطلبون العلم لا يجدون المال وأكثر الذين يطلبون المال لا يجدون العلم. والكل يجري والعمر ينقضي. والحصاد قليل!

هنا هتلر..

في النمسا قضية سخيفة، وهي ماذا نفعل بالبيت الذي ولد فيه هتلر (1889 - 1945) وعاش فيه حتى الثالثة من عمره، ثم انتقل مع أمه كلارا وأبيه إلويس إلى بيت آخر عاش فيه حتى الخامسة عشرة من عمره؟

أما البيت الذي ولد فيه في قرية براوناو (11 ألف نسمة) فقد رأيته مع صديقي د. حاتم أبوراس عميد الجالية المصرية في فيينا. وقد تحول إلى عيادة للأمراض العصبية والمعنى واضح وهو أن يقال إن هتلر كان رجلًا مجنونًا، والبيت أمامه ثلاثة أحجار سوداء عليها كلمات: الحرية والتسامح والرحمة، وهي أحجار سوداء تشير إلى المحارق التي قضى فيها على اليهود وعلى خصومه السياسيين.

أما البيت الآخر في قرية لويند جن (24 ألف نسمة) فهل يتركونه خاويًا؟ هل يضعون عليه لافتة ويستخدمونه في أي شيء آخر؟ هل يمسحون به الأرض؟ هل يمكن استغلاله لأسباب سياحية؟ أما إن هتلر ولد وعاش وحكم الدنيا فلا شك في ذلك، وإن هدم البيت الذي ولد فيه فلا يقدم ولا يؤخر من حقيقته التاريخية كواحد قد تربع على قمة الدنيا فكان رائعًا مروعًا هدم ألمانيا وكل ما وطئت قدماه وجوده من أقصى الشمال حتى العلمين.

والفنانة التي صورت لهتلر كل نشاطه الحزبي والأوليمبي، قد بلغت المائة من عمرها هذا الأسبوع، إنها ليني رفينشتال ويصفونها بأنها عبقرية فذة، وقد صورت كل نشاط هتلر وصورت أفلامًا أخرى كثيرة في مقدمتها فيلم عن بلاد النوبة، وتقول إنه أروع أيام حياتها، وصدر لها كتاب عن حياتها، وهي كفنانة عاصرت أحداثًا خطيرة في التاريخ الألماني والعالمي، ولا يقدم ولا يؤخر من عملها الفني في ألمانيا والسودان والنوبة وتحت الماء من براعتها الفنية، بسبب أنها عاشت مع هتلر ومعاصرة له وليس لها نشاط سياسي وإنما نشاط حول السياسة ووراء الأحداث ومن الذي لم يفعل ذلك، فإحراق أفلامها أو إحراقها هي لا يغير من التاريخ، ولكن يؤكد الفزع العيالي لشعب ألماني عظيم.

إنهـــم
لا يقـــرأون

ماذا يقرأ الشباب؟ سؤال مهم والإجابة أكثر أهمية. جلست معهم وسألت وضحكوا ولم أضحك. أحدهم قال إنه يقرأ (ميكي) ،وقال آخر: ولا أي شيء!وأدهشني ذلك، وأردت أن أعرف ما معنى أن يجلس الشبان معًا من منتصف الليل حتى طلوع الشمس، يجلسون فوق السيارات أو على البلاج، يذهبون للصلاة، وبعد ذلك يعاودون الجلوس والكلام في أي شيء.. يعني إيه!يعني أنهم لا يقولون.. لا يقرأون.. لا يفكرون.

وانتقدوا أنفسهم.. ولكنهم لا يعرفون ماذا يفعلون، هذه حياتهم في الإجازة، ولم يفكروا في أي شيء آخر، بعضهم قال إن من بينهم متطرفين، وأن التطرف هذا على غير أساس، أو اعتمادًا على معلومات قليلة، ويواجههم آخرون أقل تطرفًا، وعلى الرغم من هذه الخلافات فإنهم يجلسون كالتماثيل لا كلام، وإذا كان كلام فهو أقرب إلى الهلوسة، وبس، وكل يوم! هل هذا معقول؟ نعم معقول، ولكنه في حاجة إلى دراسة وتحليل وتوعية، فمن الذي يفعل ذلك، أما أنا فلا أستطيع أن أحكم على الشباب من جلوسي مع عشرين شابًا، فهم لا يمثلون العشرين مليون الآخرين، فتلك مهمة أجهزة أكبر، أجهزة التربية والتعليم، والثقافة، والمجالس المتخصصة، لأنه

من الضروري جدًّا أن تعرف ماذا يقرأون، وماذا يجب أن يقرأوا؟ فلم يعد هناك مشكلة كتب، ولا مشكلة المادة السهلة التي يمكن قراءتها.

قالوا: عندنا الإنترنت. صحيح، ولكن الإنترنت ليس كله جادًّا، فهناك لعب ولهو ومسخرة، وهي أسهل وأمتع، وتبقى القضية الحيوية: ماذا يقرأ الشباب، وما الذي يجب أن يقرأوه؟ ومن يقول لهم ذلك؟!

هناك كلمة يستخدمها الشوام هي: استمزج.. أي معرفة مزاج الناس أو الذوق العام أو الرأي العام. وهذا ما يفعله كثير من الهيئات العامة والسياسية والأدبية. إنها تريد أن تعرف ماذا يريد الناس.. أو ما رأي الناس فيما كان أو فيما هو كائن. آخرها استفتاء هيئة الإذاعة البريطانية عن أحسن مائة شخصية إنجليزية وأسوأ مائة أيضًا.

فكان في قمة المائة المختارة لاعب الكرة دافيد بكهام ـ برغم أنه لم يفز في كأس العالم. ولكن ماضيه يكفي لأن يجعله في القمة.. والسيدة مارجريت تاتشر رئيسة الوزراء والمطربة بوي جورج والعالم الفيزيائي المشلول ستيفين هوكنج. ومن الأسرة المالكة الملكة والأميرة ديانا. ومن الفنانين ريتشارد برتون والمطرب جلدوف. أما العلماء فكثيرون: دارون وفاراداي وفلمنج ونيوتن ووات.

ومن السياسيين اختاروا تشرشل وتوني بلير. ومن العسكريين: مونتجمري ونلسون وولنجتون والجندي المجهول.واختاروا من العلماء: جراهام بل على الرغم أن إحدى المحاكم الأمريكية قد حكمت من شهرين بأنه ليس مخترع التليفون وإنما سرق الاختراع وسجله باسمه!!

أما أسوأ مائة فهي تضم الأدباء: د. هـ لورانس وهو عبقري ممل. وفرجينيا وولف التي لا تستحق شهرتها. ودكنز الذي أفسد القيم

الإنسانية بمبالغاته العاطفية.. والمفكر كارليل الذي يؤمن بسذاجة بالبطولة وسيادة جنس على بقية الأجناس! ومارك تاتشر ابن رئيسة الوزراء مارجريت تاتشر فهو عبقرية هزلية وجبان ولا أخلاق له. وإدوارد الثامن الذي ترك العرش من أجل سيدة مطلقة لا جمال ولا قيمة لها!

ولو أجري هذا الاستفتاء بعد خمس سنوات لتغيرت الموازين والمكاييل بتغير الأشخاص وطبقاتهم الاجتماعية.. ولكن لا توجد وسيلة أفضل لمعرفة في أي شيء يفكر الناس. وما الذي ومن الذي يعجبهم ولماذا.

يا ترى لو سألنا القراء أو الطلبة أو الأساتذة عن أحسن وأسوأ مائة في كل تاريخنا فهل يخطر على بال أحد منهم أن يختار الجنود المجهولين في أي مجال؟!

إنــــه
لا يعــرف!

سألت شابًا: ماذا تريد؟

أي بعد أن يتخرج ماذا في نيته أن يعمل.. طبيبًا كوالده، مهندسًا كوالدته، مزارعًا مثل جده.. أو ماذا؟

وكان رده أنه لا يعرف.. أي أنه تعلم وتخرج لكي ينجح دون أن يفكر في قيمة جدوى هذا الذي تعلمه سنوات طويلة بأموال كثيرة وعذاب والديه.. أي أنه كان طاقة بلا هدف.. صاروخًا بلا عقل يوجهه – كان عندنا في مصر صاروخان، هما القاهر والظافر.. وكانا ينطلقان وبس.. حتى إذا نفدت الطاقة سقطا على الأرض.. وسقط المشروع.. لأن الصاروخ – وهذا الشاب – قوة غاشمة.. وليس قوة رشيدة.. تعرف إلى أين ولماذا؟

أعدت سؤالي فكان جوابه: يمكن أهاجر إلى كندا أو إلى أمريكا..

دعني أعيد ترتيب الكلام: هو تعلم بفلوس والديه والدولة من أجل أن يقف على الباب بملابسه كاملة، ولكن لا يعرف له وجهة.. فإذا كانت الوجهة هي أمريكا.. فلابد أن يتعلم من جديد.. ليكون تعلمه مناسبًا للمهنة التي يريدها.. فهم في بلاد الغربة لا يريدون أي كلام.. وإنما لابد من التخصص والخبرة.. ومعنى ذلك أنه أضاع من عمره سنوات ومن مال أبيه والمال العام.. ليقف على باب المدرسة.. والهدف لم يحدده هو، وإنما احتياجات المجتمع الجديد.

الغلط فين؟.. فينا وفيه.. فلابد أن نزرع العمل والأمل، وأن يقوم الطموح بالباقي.. يجب أن يعرف كل شاب، أو نعلمه أن يعرف ماذا يريد.. وإلى أين؟. وفي سن مبكرة حتى لا يبدد طاقته حتى لا يكون القاهر لوالديه وبلده، وحتى يكون الظافر هنا وهناك..

ولكن الذي أراه: ضياع.. شباب ضاع يضيع فهو عربي.. كثيرون من الشباب: لا عمل ولا أمل!

حــــذف
كلمــة إلــه!

من واشنطن

أعظم مهرجان لأجدادنا الفراعنة يقام الآن في المتحف الوطني (142) قطعة نــادرة لم نرها في مصر، معروضة الآن مع عظيم الاحترام، وفي إطار من الجمال والجلال. الفراعنة يستحقون ذلك، والقضية التي جاءوا يعرضونها: الخلود... لماذا يحرص الفراعنة على حياة بعد الحياة، لماذا يرون أن الدنيا قنطرة نعبرها ولا نعمرها، أو نعمرها رغم أننا نعبرها إلى حياة أخرى، ولذلك أعدوا طعامهم وشرابهم ومراكبهم إلى العالم الأجمل.. ولابد من حساب وعقاب... أي لابد من تطهير الجسم من وساوس النفس... شيء غريب: الفراعنة جاءوا يوحدون بــالله.... بينما الصحف في أمريكا ترى حذف كلمة (الله) من قسم الولاء لأمريكا.

فهم يقولون: نقسم بالله على أن نكون مخلصين لأمتنا الموحدة، هذا القسم اعترض عليه أحد الملحدين الأمريكان وذهب إلى القضاء يطلب حذف كلمة الجلالة لأن الكنيسة قد ابتعدت عن السياسة... فلا داعي لاسم الله، ثم أي إله هذا الذي يعنيه القسم أهو إله المسلمين أو المسيحيين أو اليهود أو البوذيين؟ وقد انزعج هذا الرجل الملحد عندما سمع ابنته الصغيرة تشكر الله وتحمد فضله كل يوم، وحكمت

له المحكمة بضرورة حذف اسم الجلالة، ولكن لابد من استئناف الحكم الهزلي لسخافته.

غير أن الفراعنة جاءوا، واستقروا وذهب إليهم الألوف، وسوف ينتقل الفراعنة إلى 12 مدينة أمريكية في رحلة مقدسة؛ رحلة الإنسان بحثًا عن الخلود مستعينًا بكل القيم النبيلة، فالحياة لها قيمة، والموت طريق إلى حياة أخرى لها حكمة، والطريق مفروش بالذهب... وحضور الناس بالألوف صلوات لا تنتهي للأبهة الفرعونية التي ركع أمامها التاريخ، فهل كل نبي في وطنه مهان؟ نعم....إذا نظرنا إلى المتحف المصري ـ مخازن مصر الكبرى ـ وإلى هذا الذي نراه في واشنطن يتأكد لدينا هذا المعنى، ونتمنى ألا يركب د. زاهي حواس رأسه ويجمع التحف المسروقة، والتي هربت إلى أمريكا لأنها تلقى هناك تعظيمًا لا تلقاه في مصر: من تراب مصر وخماسينها ولورياتها ولا مبالاة 68 مليونًا!

ولـم يحصـل
علـى قبلـة

التاريخ في المزادات للبيع.. آخر المبيعات تماثيل فرعونية.. وعملة ذهبية (20 دولارًا) على وجهها نسر. كانت في حوزة الملك فاروق. جاءت إليه قبل أن تنزل إلى الأسواق ولم تكن قطعة واحدة ذهبية وإنما كانت عشرًا. واستطاعت المخابرات الأمريكية أن تعثر على تسع منها فبقيت واحدة. تركها الأمريكان للملك فاروق لأنه كان من أشهر جامعي التحف. ومات الملك واختفت العملة النادرة. وقررت أمريكا أن تأتي بها من تحت الأرض. وعثرت عليها. وعرضت في المزاد. وهذه العملة تعتبرها أمريكا من (المال العام) لأنها لم تعرضها في الأسواق وإنما سرقت قبل تداولها. فقد اقتسمت ثمنها مع صاحبها (3 ملايين دولار) في المزاد ووجهت الثمن إلى مكافحة الإرهاب!

وفي مزاد آخر في لندن بطاقة تحكي قصة رومانسية ناعمة. إنها فتاة عمرها 16 سنة أبوها صاحب بار وعدت أحد عمال الباخرة (تيتانيك) التي غرقت سنة 1912، بأنه إذا أرسل لها صورة هذه الباخرة فله قبلة منها. وغرقت الباخرة وأمكن إنقاذ مائتي كيس بها خطابات وبطاقات مرسلة من أوروبا إلى الأصدقاء والأقارب في أمريكا.

من بين هذه الأكياس التي نجت من الغرق بطاقة بريدية بعث بها أحد البحارة إلى الفتاة ومات قبل أن يحصل على القبلة الموعودة.. ولكن أحفاد هذه الفتاة وجدوا البطاقة في أوراقها وعرضوها للبيع وتقدم لشرائها عشاق العشق وحب المحبين.. شيء غريب! كان أكثرهم من كبار السن أو العشاق القدامى.. أو الذين يعرفون معنى الحب العفيف والعنيف أيضًا!

ولم يحدث في مزاد قبل ذلك أن نزلت الدموع من العيون عندما أعلن عن بيع هذه البطاقة: من يشتري بعشرة بعشرين.. بمائة ألف.. وتقدمت عجوز ساندوها حتى احتضنت البطاقة.. وماتت!

يستطيع
تجويع العراق!

باريس -

الرئيس مبارك يستحق الشكر، لا من صدام حسين، وإنما من الشعب العراقي. فنحن نقول علنًا ما يعجز أن يقوله الشعب سرًا.. ونحن نطلب من صدام حسين الرحمة واللطف بالشعب العراقي.. وإنه سبب المصائب التي كانت في الخليج وفي الشرق الأوسط وسبب المصائب التي سوف تقع فوق دماغ الأبرياء في العراق وفي الدول العربية الأخرى وفي العالم أيضًا.

وصدام لا يستطيع أن يستولي على الكويت أو دول الخليج – انتهى هذا الموضوع وأغلق الملف. ولا يستطيع أن يحتل إسرائيل طريقًا لحل القضية الفلسطينية. ولا يستطيع أن يحتل إيران طريقًا إلى المساهمة في القضاء على بقايا ابن لادن!

إذن ما الذي يستطيعه؟ يستطيع أن يضاعف جوع أغنى الشعوب العربية: شعب العراق وشعب النهرين وملايين براميل البترول يوميًا والمائة مليون نخلة في البصرة وملايين الأفدنة الصالحة للزراعة..

ولا أظن أن الرئيس صدام يشكر الرئيس مبارك على دفاعه عن شعب العراق الذي حطمه وشرده صدام حسين ومستعد أن يجعله يتسول طعامه اليومي على كل باب.

.. فـإذا كانت بلاده خالية من الأسلحة النووية فليفتحها أمام لجان التفتيش وفي ذلك هزيمة لأكاذيب أمريكا وبريطانيا.. وإذا كانت أمريكا تريد إسقاطه إرضاء للرئيس بوش فنحن ندافع عن صدام رئيسًا للعراق وليس دفاعًا عن شخصه ومنظومته الفكرية.. نحن معه ضد التدخل.. فالذي فعله بوش الأب مع الرئيس نوريجا الذي خطفه ووضعه في السجن، لا نقبل أن يفعله بوش الابن مع صدام حسين وياسر عرفات.

وغدًا تتطاول أمريكا وبريطانيا وإسرائيل على نظم أخرى عربية.. والسبب: أن الرئيس بوش وحليفه توني بلير وعصاه الغليظة شارون لا يعجبهم هذا الرئيس وهذا الملك وهذا الأمير. لماذا ؟ إنه مزاجه الخاص.. ونحن خدامو السيادة الأمريكية البريطانية الإسرائيلية. فلا قانون ولا قيم ولا أخلاق ولا دين.. إنها غابة.. أو أحد أفلام رعاة البقر!

ومشايخ الطرق التليفزيونية ودروايشها يتحركون في قوالب ثابتة. نعرفها من أول لحظة تظهر فيها صور الزعماء. فإذا ظهرت صورة جمال عبد الناصر، عرفنا أن أحداث المسلسل هو تمجيد عظيم لعبد الناصر لا بأس فهو زعيم مصري. والصورة رمز للأبهة والعظمة والانتصارات الساحقة رغم الأعداء في مصر وخارجها – ولم يكن في مصر أعداء لعبد الناصر فقد اكتسحهم بقوته والاحتياج إليه. وإذا كان عبد الناصر قد انهزم مرة ومرتين، فدول أكبر وزعماء أعظم قد انهزموا أيضًا: نابليون وهتلر وموسوليني وأمريكا أقوى الدول وأغناها هزمها الحفاة العراة في فيتنام.. وأغرقها اليابانيون في بيرل هابور.. وألمانيا التي اكتسحت أوروبا شرقًا وغربًا، قد انهدمت فوقها كل عظمتها المعمارية والصناعية وقصر المستشارية انهدم فوق هتلر. فالهزائم في الحروب كالهزائم في كرة القدم من شروط اللعبة.

والتاريخ لم يعرف قائدًا انتصر من البداية للنهاية. وظهور زعيم هو التحدي المتعاظم له في شعبه والشعوب الأخرى!

ولكن – عندنا في التليفزيون – عبد الناصر هو الذي لا يقهر ولم يقهره أحد. وفي عصره وزمانه وبفضله شربنا الشمبانيا وأكلنا

الكفيار، وصارت الأيدي بيضاء من غير سوء وكذلك الضمائر.. وامتلأت الأسواق بالطعام والأيدي بالفلوس واختفى من بلادنا اللصوص الذين سرقوا أقوات الشعب ولم يبق إلا الأمناء والأشراف وهؤلاء المزيفون لتاريخ مصر – مشايخ «الطرق السوقية» لصناعة التاريخ!

والرئيس عبد الناصر مات في سن نابليون – 52 عامًا –. لقد كان رحيله مفاجئًا. هل مات كمدًا للنكسة أو الوكسة العسكرية أو للانفصال عن سوريا.. أو للبهدلة في اليمن.. فكان غيابه وكانت غيبوبته عن الساحة وعن الحكم في مصر فظهر «العيال» في حاشية الزعيم يحكمون مصر.

وليس هذا تاريخًا ولا محاولة، ولكن من المؤكد أنه تزييف واستخفاف واحتقار لكل المشاهدين مصريين وعربًا... وبفلوس المصريين!

مافيــــــا..

يسألني د. عبد الواحد أمين إن كانت كلمة توشكى بالألف أو الياء؛ لأن وسائل الإعلام تنطقها مرة بالألف ومرة بالياء.

والصحيح أن أهل هذه البلاد ينطقونها بالألف. وتسألني د. انتصار عز الدين إن كانت كلمة (مافيا) بالفاء أو بالفاء عليها ثلاث نقط والصحيح أنها بالفاء بنقطة واحدة. والمافيا هي شبكة إجرامية بدأت من عشرة قرون في جزيرة صقلية.. وهي جزيرة نائية وبعيدة عن الحكومة المركزية في روما. وهي قوة حاكمة متحكمة في أمريكا. وفي بعض الأحيان أقوى من الحكومة. وتستعين بها أجهزة الأمن في المدن الأمريكية الكبرى. وهي تسيطر على الدعارة والمخدرات والنقابات. وفي إيطاليا حرَّمها موسوليني.. ولكن الأمريكان استعانوا بها في حماية قواتهم في الحرب العالمية الثانية.. واستعانوا بها ضد موسوليني..

ويقال إن كلمة (مافيا) عربية الأصل وإنها مأخوذة من كلمة (الخافية) أو (المخفي) بضم الميم.. ويقال أيضًا إن كلمة (مافيا) هي الحروف الأولى من عبارة إيطالية تقول: مورتي ال فرنشا – إيتاليا ابله.. أي الموت لفرنسا هذه صيحة إيطالية!

ويقال إنها عربية: فعندما كان البوليس يطارد هؤلاء اللصوص ويسألون العرب عنهم فيكون جوابهم: .. ما في أي ما في أحد منهم في البيت..

ويسألني السيد صلاح لهيطة أيهما الصحيح في النطق: متحف بضم الميم، أو متحف بفتح الميم. والنطق في الحالتين صحيح، ولكن المعنى هو الذي يختلف. فوسائل الإعلام عندنا تقول: المتحف بضم الميم، أي المكان الذي به المتحف، وهذا غلط، وإنما يجب أن تكون الكلمة بفتح الميم؛ لأن المتحف والمدخل بضم الميم معناهما: عملية وضع المتحف وعملية الدخول. والقرآن الكريم يقول ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ بضم الميم، أما المتحف والمدخل بفتح الميم فهو مكان وضع التحف أو باب الدخول..

وسألني عدد من الطلبة عن النطق الصحيح لكلمة (برافو) بالفاء عليها نقطة أو عليها ثلاث.. وبرج (إيفل) أيضًا. وبرافو بالفاء عليها ثلاث نقط وإيفل بفاء عليها نقطة واحدة. وعلى الرغم من تكراري للنطق الصحيح في هذا المكان أو على الشاشة، فهناك إصرار على النطق الخطأ ولا يعادله إلا الإصرار على سوء الفهم أيضًا.

أما كلمات: الشراكة والأربحية والعولمة فهي كلمات نقلناها عن الصحف العربية الأخرى ونرددها بلا تفكير ودون تساؤل إن كانت صحيحة لُغويًا، أو كانت لدينا كلمات أخرى بديلة – وهذا يدل على أن المثقف المصري، إن لم يكن أصله بغبغانًا، فمن المؤكد أن أصله قردا!

زي
الفـــل..

لا شيء يمكن أن يشغل مريضًا عن الألـم في دماغه أو بطنه أو رجله.. لابد أن يقول: آه.. فالأطباء يحاولون إبعاده عن شبح الموت.. والمريض يحاول أن ينسى ذلك..

ومن عجيب أمر الأطباء في مصر إسرافهم في توزيع (الفل) على المرضى. فنسأل عن فلان الذي سوف يموت بعد ساعات فيسارع الطبيب ويقول لك: زي الفل.. وحتى المريض الذي لا يعرفون بالضبط ما الذي عنده فيقال لك: ما له!. لسه فيه النفس وزي الفل! أذكر أنني ذهبت مع الفنان الكبير صلاح طاهر لزيارة توفيق الحكيم في ساعاته الأخيرة. والتف الأطباء حول فراشه. ولم يكن يراهم بوضوح فسألني: يا أنيس أمال إيه الدوشة دي؟ قلت له: الدكاترة! فقال بسرعة وسخرية جاهزة: آه.. الجماعة بتوع الفل! ولا شيء جعلني أكره الفل إلا المستشفيات وأكره المستشفيات إلا الفل.

وقد كرهت اللون الأبيض: لون فساتين الممرضات وبلاطي الأطباء والقطن والشاش، وأسقف وجدران غرف العمليات كلها زي الفل! فالفل رمز الألـم والوحدة والحقن والغرف وعربة الإسعاف والكفن والنعش!

وأدهشني وسط زحام الروائح الغريبة وانعدام الألوان أنني وجدت طبيبًا عنده قدرة عجيبة على أن يجعلك تنسى كل ذلك وتضحك من

قلبك. إنـه د. أشرف المليجي مدير مستشفى الصفا. فهو تركيبة سلوكية ونفسية عجيبة.. فعنده من الحكايات والروايات والنوادر عن الأطباء والممرضات والمستشفيات ما يجعلك تضحك حتى تنسى.. فبين الأطباء من يحسد المريض الذي يعالجه فيموت المريض.. ويحسد زميله الطبيب فيمرض الطبيب.. ويحسد غرفة العمليات فلا يدخلها مريض..

أما كيف استطاع د. أشرف المليجي أن يعزل نفسه عن كل هذه الأوجاع! فهذه شطارته.. وكيف يواجه كل هذه الآهات يوميًا فلا يقول: آه.. آه.. وإنما يقول: هاها ثم تنتقل عدواه إلى كل مريض يجلس إليه.. ولو كان الأمر بيدي، لوزعت حكاياته أشرطة على المرضى.. فسوف يضحكون كثيرًا، وسوف يضيفون المرح إلى رصيده الكبير في مساعدته العاجلة لكل مريض..

وقد قابلت د. أشرف المليجي في فندق (نوفوتل) الجميل في شرم الشيخ فكاد يقضي على ما تبقى من صحتي ضحكًا على الطب والتمريض والداء والدواء.. وعلى ذقون الناس!

زيـــــارة
السيـــدة العجــوز

باريس – قام كوفي أنان بدور طبيب البنج قبل إجراء العملية الجراحية للمريض صدام حسين.. ويحدث للمريض أن ينتشي فيضحك كما ضحك طارق عزيز والصَّحَّاف.. ومن حقهما أن يفعلا ذلك بعد أن نجح صدام حسين في زلزلة الكرة الأرضية إشفاقًا على شعب العراق وفضيحة للدولة العظمى.. وفي الوقت الذي يجلس فيه ضابط أمريكا أمام خرائط الميدان يجلس مهندسو البترول أمام خرائط الآبار ويجلس سماسرة البنوك لإعداد عقود القروض، ويجلس تجار السلاح استعدادًا للحروب الأهلية والقومية التي سوف تشتعل في الشرق الأوسط..

وعلى عكس ما توقعنا.. فقد قفز المريض من السرير ليفيق على شيء أفظع. فقد وجد أمريكا قد استعدت بكل أسلحتها المتطورة والجديدة وأنها سوف تضرب العراق أيًا كان الاتفاق مع كوفي أنان..

وهذا الموقف يذكرنا بموقف في مسرحية (زيارة السيدة العجوز) للأديب السويسري ديرنمات.. فقد جاءت بطلة المسرحية تنتقم من عاشق قديم يعيش فقيرًا في قرية أفقر.. جاءت ومعها الطعام والشراب والفلوس.. وأمام إغراء المال والطعام التف الناس حولها ضد العاشق الخائن القديم. فطلبت إليهم أن يشتركوا جميعًا في حفر قبر له..

وكان الرجل المسكين يمر على القبر فيجد أصدقاءه وأقاربه يعملون بمنتهى النشاط والهمة.. وكذلك فعلت أمريكا بصدام حسين. والناس المحبون للحياة والسلام يصرخون: اعقل!، يقولونها لصدام حتى لا تقع حرب ويقولونها لكلينتون حتى لا تقع حرب ولا تقع العراق.

وكوفي عنان مثل طبيب البنج لا يعالج ولا يجري جراحة.. إنه فقط (يحضر) المريض للعملية.. وقد وجد الرئيس صدام في كوفي عنان شخصًا مناسبًا للاتفاق معه. فهو سكرتير عام الأمم المتحدة، وليس سكرتير الولايات المتحدة. وقد جاء إلى العراق مخالفًا بذلك رغبة أمريكا التي لا تريد اتفاقًا ولا حلاً!

وبقدر سعادة شعوب الشرق الأوسط والدول الكبرى التي لا تريد حربًا، بقدر غيظ أمريكا. فهناك نقد شديد لكلينتون ومستشاريه؛ لأنهم قد تأخروا كثيرًا في ضرب العراق.. وهكذا تتضاءل أزمة أسلحة الدمار الشامل الموجودة في العراق وفي إسرائيل، وتتعاظم مأساة (بنطلون) الرئيس كلينتون والفتاة مونيكا ليفي.. بل لم يعد البنطلون هو المشكلة الآن.. بل صاحب البنطلون والذين حوله!

صدام حسين

باريس – من الذي انتصر؟.. ومن الذي انكسر؟

هل انتصر صدام سياسيًا وانكسر كلينتون عسكريًا؟ هل الذي انتصر هم دعاة الحياة والسلام؟ هل يستحق صدام وكلينتون الشكر.. صدام لأنه قرر بالعقل والحكمة أن يجنب بلاده الدمار والخراب المؤكد ولسنوات طويلة؟ هل كلينتون يستحق الشكر فلولا هذه الحشود الهائلة من كل لون ونوع والتعبئة النفسية الإعلامية التي أخافت صدام حسين، ما كان قد وافق على تطبيق قرارات مجلس الأمن بتفتيش أي مكان لأي وقت..

هل هم الشباب في الشوارع وقد تظاهروا ضد الدمار والموت.. هؤلاء الشبان هم الذين توجه إليهم كوفي أنان وطلب إليهم أن ينظروا إلى كل الجوانب وكل الأطراف قبل اتخاذ أي قرار.. ثم قال لهم: لتكن نظرتكم أوسع وأعمق.. ولا تكن ضيقة وطنية أو قومية.. وإنما عالمية إنسانية.. قالها بمنتهى الرفق والاحترام لغضب الشباب في كل شوارع الدنيا.. فهل انتصر الشباب؟:

سوف يقال كلام كثير عن الذين انتصروا والذين انهزموا..

ولكن هل انتهى المشهد الأول من الفصل الأول من مسرحية (رعد الصحراء) بطولة صدام وكلينتون وبلير ومونيكا؟ هل تسكت

شركات البترول والبنوك ومصانع الذخيرة؟ هل هي نهاية كلينتون؟ هل فشلت أمريكا في القضاء على صدام حسين الذي هو أقوى من المرة السابقة؟..

ففي المرة السابقة استدرجه الأمريكان لضرب الكويت فضربوه.. وحاولوا استفزازه هذه المرة حين أثاروا قضية ثمن البترول الذي يوزعه على حاشيته والباقي باسمه في البنوك السويسرية، وكذلك الأطعمة والدواء الذي يبيعه الحرس الجمهوري في السوق السوداء.. ولكن صدام لم يغضب ويطرد كوفي عنان في موقف شمشوني جبار لينهدم العراق على دماغه وأدمغة الآخرين!

هل شمشون هذا الزمان هو الرئيس كلينتون الذي سوف يجد أي سبب لرفض اتفاق صدام – عنان ويضرب العراق.. بعد شهر أو شهرين؟

ولكن المناخ العالمي أصبح ضد كلينتون وأمريكا، وإن لم يكن لصالح صدام الذي بدد ألوف الملايين من الدولارات على غزو إسرائيل عن طريق الكويت.

سوف يبقون في الخليج

باريس – واضح جدًّا أن العالم كله واقف على رأسه.. بعد أن تعب من الوقوف على قدميه ليرى نتيجة الحرب الأمريكية واللاحرب العراقية. وأيهما تغلب على الآخر: كلينتون أو صدام.

وواضح جدًّا أن أمريكا استطاعت أن تجمع العالم كله ضدها.. وإن لم يكن العالم يوافق صدام على عناده وعلى تبديد أموال شعبه من أجل أن يكون أعظم قائد لأعظم دولة عربية – هكذا يحلم! وفي السنوات التسع الماضية قد أنفق الرئيس صدام حسين حوالي مائة ألف مليون دولار.. ولكن الشعب لا يجد الطعام والدواء.

ولأن هناك نوعين من الحروب، فالانتصار في الحروب نوعان: أمريكا انتصرت في الحرب الساخنة وصدام انتصر في الحرب الباردة.. ولذلك فليس من الضروري أن ينهزم القائد عسكريًّا، وإنما يكفي أنه عاش وأنه لا يزال قائدًا..

مثل القذافي وردوفان كارداتش قائد الصرب في البوسنة وياسر عرفات وصدام حسين.

ولذلك سوف تبقى القوات الأمريكية والبريطانية في الخليج. ولكن بقاءها محدود. فالبقاء فادح الثمن ماديًّا وسياسيًّا. ولذلك تحاول أمريكا وبريطانيا أن تبررا البقاء هناك وأن تستمرًا في تعظيم القوات

وتغليظ العقوبة لمن كان السبب: صدام حسين. والشعوب لا تقوى على الشحن النفسي المستمر لها.. ولا تحترم نفسها اذا كانت ضحية (لحرب الاستنزاف النفسي) التي فرضها صدام على أمريكا وبريطانيا. ولا يريح هذه الشعوب إلا عمل انتحاري – أي الحرب التي اشتعلت قبل ذلك.. ولم يسقط صدام حسين. ولم تؤد القوات البريطانية، مثلا، في البوسنة وفي أيرلندا إلى أي انتصار عسكري.. ولم تستطع العسكرية الأمريكية أن تحل أية مشكلة سياسية منذ هزيمتها في فيتنام.

وسوف يشتد الخلاف بين أمريكا وروسيا بسبب أن أمريكا تريد ضم شرق أوروبا لحلف الأطلنطي ضد روسيا، وبسبب احتكارها لاستخراج بترول الدول التي انفصلت عن روسيا.. وبسبب المصالح الدولية المتضاربة في العراق والخليج.. وليست هذه إلا البداية!

أجمل الكتب عن مصر

باريس - هذه محاولة في (فك الاشتباك) بين الذين يرون المشاركة في الاحتفال بمرور قرنين من العلاقات الثقافية والعلمية بين مصر وفرنسا والذين لا يرون ذلك. الذين يقولون إن نابليون طاغية: كلامهم صحيح. والذين يقولون إن نابليون انهزم عسكريًا وسياسيًا وقمع الغضب المصري بالحديد والنار، كلامهم صحيح أيضًا. ولكن الذي أحدثه الوجود الفرنسي في مصر أنه أيقظها من مرض النوم الذي أصابها به الحكم العثماني.. حكم الجهل والغطرسة والهوان للشعب المصري فلاحين ورجال دين.

ولكن أحد العلماء الفرنسيين هو الذي أبدع لنا علم (المصريات)؛ أي علم قراءة التاريخ الفرعوني على الجدران والتوابيت والمسلات. ذلك هو شامبليون. وجاء من بعده علماء آخرون حفظوا لنا التراث الفرعوني في المتاحف.. وأصدروا ألوف الكتب عن مصر التي عشقوها ولا يزالون.. وتسربت وتهربت الآثار الفرعونية إلى كل المتاحف، وقد لقيت عظيم الاحترام، يكفي أن تدخل متحف اللوفر لتخلع نعليك وقبعتك تحية للعظمة الفرعونية.. فإذا خرجت فسوف يكون عنقك أطول لأنهم أقاموا لك حفلة تكريم لا تجدها في المتحف المصري بالقاهرة.. ولم يكتف الفرنسيون بذلك.. بل أصدروا ألوف

الدراسات والروايات والمسرحيات والأوبرات.. يتقدم كل هذه الكتب كتاب (وصف مصر) الذي هو تحفة التحف، ومن تأليف شبان كلهم في العشرينيات جاءوا إلى مصر لأول مرة. وتأليف الكتاب وطبعه كان بأمر نابليون.

ورغم ما تنقله وكالات الأنباء عن سخط المثقفين ونقص التغذية العلمية عند بعضهم، فإن المطبعة لا تزال تخرج الكتب الجميلة العميقة عن مصر الفرعونية وأثرها اللانهائي على الفكر والبحث والفن في فرنسا قبل حملة نابليون وبعدها.

أندريـــه
شديـــــــد

باريس – جاءت وذهبت دون أن يدري بها أحد. مع أنها الأديبة العربية العالمية الوحيدة في تاريخنا. إنها السيدة أندريه شديد (78 سنة). فهي مصرية سورية لبنانية.. ولم أتمكن من رؤيتها وإنما قرأت خطابها الذي بعثت به.. ويؤسفني ذلك.. ويؤسفني أكثر أنها كانت في القاهرة على مدى أيام من المعرض الدولي للكتاب. وهي أهم من كل الضيوف الأجانب.. وكانت فرصة للأديبة المصرية أن تسأل ونعرف منها ونتعلم. وعلى الرغم من أن (أندريه شديد) تعيش في باريس من نصف قرن وتكتب بالفرنسية قصصًا وروايات ومسرحيات وشعرًا فإنها لم تبعد عن مصر ولا عن العالم العربي.

فقد كتبت رواية (اليوم السادس) عن الكوليرا في مصر وأخرجها يوسف شاهين بطولة داليدا. وكتبت عن (نفرتيتي وحلم إخناتون) وكتبت عن (برنيس) وكتبت عن (مهرجانات العنف) في الشرق الأوسط.

وأصدرت ثلاثين إبداعا أدبيًا يستحق أن يترجمها المجلس الأعلى للثقافة؛ لأن أندريه شديد هي أعظم أديبة عربية على الإطلاق: فهمًا وعمقًا وحرفية.. لقد كانت (مي زيادة) فلسطينية سورية لبنانية أقامت في مصر وهزت المجتمع الراكد في ذلك الوقت وأشعلت النار

في قلوب مفكرينا الكبار – وغلبتها الظروف وألقت بها في سجن الجنون حتى ماتت..

وحصلت أندريه شديد على الجوائز الأدبية الرفيعة في باريس؛ الجوائز المسموح بها لمن ليست فرنسية!

والذي يقرأ لأندريه شديد يبهره حسها المصري الصميم. وإدراكها التام لأشكال الحياة في المدينة والريف.. ورغم أن حضورها إلى مصر لايتجاوز الأسبوع، فإن عينيها وأذنيها وقلبها على مصر.. فهي تتوجع وحدها.. وخسرنا بذلك قلبًا يدق وعقلاً يبدع فلم نترجم إلا كتابين لها: اليوم السادس وإخناتون.. وبعض القصائد التي ظهرت في بعض المجلات بعض الوقت. وكأننا لم نفعل..

فإن أرادت الأديبة المصرية أن يكون لها امتداد عالمي، فالتوجه إلى أندريه شديد الشاعرة البليغة التي تعيش في قلب أوروبا، وفي قلبها تعيش مصر..

عذرًا أندريه شديد فأنتِ التي اخترت أن يكون مجيئك مثل سفرك سرًّا لا يعرفه أحد إلا عند ركوبك الطائرة.. فأملنا أن نلقاك في معرض الكتاب نحتفل بك وبكتبك التي سوف نترجمها طوال هذا العام!

انتقلت البلطجة إلى المدارس، إلى الأطفال الصغار. هذا أخطر ما وقع في مصر. الأطفال اتفقوا.. تدربوا على إشعال النار في المدرسة أو إلقاء النار عليها.. على زملائهم.. على قتل زملائهم.

إنه احتقار المدرسة والمدرسين والعلم والقيم الأخلاقية والدينية! وليس أفدح من هذا السلوك الشديد الخطير..

فهو يدل على أن روحًا إجرامية تطل من وراء الأيدي الناعمة والقلوب الصغيرة.. إنها عدوى انتقلت إلى الصغار من الكبار في غفلة الأبوين أو في غياب سلطان المدرسة والقانون.. كأنهم أصيبوا بوباء. وفي حالة الأوبئة لابد من عزل المرضى فورًا عن بقية الأصحاء. حتى لا يكون المرض شاملًا.. والعزل يكون بإبعادهم عن المدرسة بالبقاء في البيت أو في السجن. فالموقف لا يعرف الرحمة بالميكروب أو الفيروس.. وكما أن أحدًا لا يبكي، عند علاج أي إنسان، وكما أن المضادات الحيوية قد قتلت ألوف الملايين من الميكروبات، فكذلك عند عقاب الذين يشرعون في الإجرام أو يتدربون.. عليه.

وكان لابد أن يصدر قرار من د. حسين كامل بهاء الدين وزير التربية والتعليم ويكون حاسمًا صارمًا. لكي يحمي الأغلبية الساحقة من الأقلية المنحرفة. وحتى تكون هذه الأقلية مسحوقة فلابد من العقاب. لأن الأغلبية تريد أن ترى ما الذي سوف تفعله الدولة

وتساندها كل وسائل الإعلام. ومما يؤسف له حقًا أن هؤلاء الصغار (المجرمين تحت التمرين) قد ظهروا على الشاشة في غاية الأناقة والرشاقة والسعادة يهاجمون الصحف ويزعمون أنهم لم يفعلوا شيئًا! فهل من المعقول أن يكون هذا هو رأي التلفزيون؟ لا أعتقد ذلك ولكنها غفلة السيدة المذيعة وغلطتها التي سمحت للصغار أن يقولوا كلامًا كبيرًا ضد كل السلطات ودون أن يردهم أو يردعهم أحد على الهواء..

إن ما يحدث في أوروبا – وفي بريطانيا بصفة خاصة – نموذج لكل سلوك تربوي عائلي وطني: الأخذ بالشدة دون رحمة حماية للمجتمع من هؤلاء الذين انحرفوا حتى لا يكونوا مجرمين كبارًا!

وصف مصر

باريس – جمعني الصديق د. علي ماهر سفيرنا في باريس مع ثلاثة من الكتاب من أصل مصري، الكاتبة الكبيرة أندريه شديد وجيلبير سنويه مؤلف كتاب (محمد علي – آخر الفراعنة) وروبير سولي الموجود في الإسكندرية الآن، ومؤلف كتاب (مصر – غرام فرنسي).

واستأنفنا الحكم في قضية العلاقات المصرية الفرنسية، والاحتفالات التي يُنتظَرُ أن يشارك فيها الرئيس حسني مبارك في مايو القادم. أما أثر فرنسا في تاريخ مصر فلا يمكن إنكاره ولا أعرف لماذا يفكر أحد في طمس دور الفرنسيين في النهضة العلمية والفنية بمصر، ولا أثر مصر في حياة فرنسا التاريخية والعلمية أيضًا.

فالحملة الفرنسية قد أتت بمائة وسبعين عالمًا أصغرهم عمره 15 سنة، وهو الذي كان يعزف ويغني، وهو أيضًا الذي سجل الأغانى المصرية بالنوتة الموسيقية.. وأكبرهم كان في الثلاثين من عمره– نابليون كان عمره 27 عامًا..

ويكفي الحملة الفرنسية شرفًا، ويكفينا كتابها (وصف مصر) بأجزائه العشرين ولوحاته الألف.. هذه اللوحات تباع في مختلف الأشكال والألوان والأحجام هنا في المكتبات.. وسوف يبقى الزميل

المرحوم زهير الشايب كلما ذكرنا هذا الكتاب الرائع، فزهير الشايب قد أقبل على ترجمة مختارات من كتاب (وصف مصر) حتى جاءت في عشرة مجلدات – اقرأ لتعرف كيف عانى هذا الشاب في ترجمة هذا الكتاب – دون أن يشكو أو يبكي أو يثير شفقة أحد.. وأنا أذكر أنه يوم إعادة فتح قناة السويس قدمته للسفير الفرنسي، وطلبت إليه أن يدعوه إلى باريس. ولكن الموقف قد استغرق السفير.. القناة التي استردها عبد الناصر، ثم أغلقها في وجه الملاحة الدولية، وأعاد السادات فتحها.. هذا الموقف وتلك الذكريات كانت أكبر من أن يلتفت السفير إلى مترجم (وصف مصر).. وربما لم يصدق أن أحَدا يستطيع ذلك. ومعه حق.. فزهير الشايب يرحمه الله لم يترجم الكتاب كله، وإنما اختار منه فصولاً بديعة عميقة.

وأمامنا مئات الكتب والمسرحيات والقصائد التي كتبها عشاق مصر الفرعونية.. آه لو نقلناها إلى العربية – إذن – لأقمنا حفل تكريم عظيمًا لمصرنا الغالية علينا وعليهم..

شريـــف
الشوباشـــي

باريس – أراد الصديق شريف الشوباشي في مسرحيته الجيدة (لن تسقط أورشليم) بالفرنسية والعربية أن يؤكد معنى معروفًا لدينا: وهو أن العرب مشغولون بكل ما هو شخصي، بشرط أن يكون تافهًا، عن القضية الكبرى، وهي تحرير القدس. فقد اتخذت المسرحية نهاية أيام الحرب الصليبية الأولى. والمسلمون في محنة كبرى. فذهب قاضي القضاة ومعه نفر من المؤمنين بعدالة قضية المسلمين واتجهوا للقاء الخليفة في بغداد، لعله يفعل شيئًا من أجل استرداد القدس.. ووجدوا أن دخول قصر الخليفة أطول كثيرًا من الطريق إلى القدس.. وقد حاول قاضي القضاة.. ولكن لا أمل.

وفوجئ الجميع بأن قاضي القضاة قد أفطر في رمضان. ثم إنه لا يشرح لهم لماذا ارتكب هذه الخطيئة . حاولوا ولكنه لا يرد. إذن لابد من إقامة الحد على قاضي القضاة الذي جاء يتوسل إلى الخليفة أن ينقذ المسجد الأقصى. وانشغلوا عن القضية الكبرى. أما قاضي القضاة فقد أراد أن يلفت نظر الخليفة. ونجح. ثم قابل الخليفة الذي قرر إرسال لجنة لتقصي الحقائق على أن تعود بعد ثلاثة أشهر.

ولم يكن الخليفة في حاجة إلى لجنة، فالموقف واضح وهو أن الصليبيين قد استولوا على القدس وقتلوا مئات المسلمين. ولكن

الخليفة مشغول جدًا بأمور شخصية وليس متعجلاً حل القضية. ثم ما شأن قاضي القضاة؟! إن له مجالاً آخر.. فلماذا لا يترك الحرب لرجالها، والسياسة لأساطينها..

وفي حوار مع الخليفة هدد قاضي القضاة بأن يذهب إلى السلطان. فقال له الخليفة إن السلطان مشغول بما هو أهم من تحرير القدس.. إنه يعد جيشًا لمحاربة أخيه!

وفي يأس تام أدرك قاضي القضاة أنه لا أمل في خليفة أو سلطان ما دام الجميع مشغولين بأي شيء آخر.

وهكذا يبقى اسم مسرحية شريف الشوباشي رمزًا لتفاؤل لا وجود له، ولن يكون.. ما دامت هذه هي أخلاقيات العرب.. أمس واليوم وغدًا! وينزل الستار وقاضي القضاة يقول: يا أمة ضحكت من جهلها الأمم!

اغتيـــال
صـــــدام..

باريس – من المؤكد أن أمريكا لن تبلغ هذه الهزيمة التي هندس لها كوفي أنان بتفويض من مجلس الأمن. ولذلك أبقت قواتها في الخليج، لأنها ترى أن الاتفاق مع صدام ليس نهائيًا.. فهي تشك في كل ما يقوله الرئيس العراقي.. وأنها لذلك سوف تعد له الغلط، ولن تبلع له الزلط كما فعلت روسيا وفرنسا والصين والدول العربية.

وقد تقرر فتح جبهات عديدة على العراق: الأكراد والأتراك في الشمال وربما إيران في الشرق.

وأسواق البترول ومساءلة صدام عن فلوس النفط أين ذهبت، وفي أي بنوك تحولت لحسابات خاصة.. وسوف تتجدد محاولات اغتياله.. وقد كانت هناك محاولات.. أما إسرائيل فقد تدرب رجال الموساد على اغتيال صدام في أحد مواكبه خارج بغداد. وبدءوا بتنفيذ الخطة على حدود الأردن.. ولكن العبوات الناسفة انفجرت في أربعة من رجال المؤامرة. ومنذ أيام أنكر إسحاق شامير رئيس وزراء إسرائيل السابق أنه حاول اغتيال صدام.. وكانت مجلة ديرشبيجل (المرآة) الألمانية قد تحدثت عن هذه المحاولة. وقد كذب شامير. كما حاولت بريطانيا التي هي أكثر دراية بالعراق وفشلت.

والمحاولة الأمريكية كانت من الشمال، وعرف صدام أخبارها فأعدم عشرين من العراقيين ومن الأكراد، وعراقيًا من إسرائيل..

وفي صحف إسرائيل الآن دعوة للحكومة أن تعجل بالقضاء على صدام. عندما تنفتح عليه الجبهات في الداخل والخارج.. فهذه هي الفرصة! وإلا فلا أمل في الحرب ولا في الزحف على البصرة والالتفاف حول بغداد..

وكما أن أمريكا قد هددت الأمم المتحدة بأن تنفرد بالحسم، فإسرائيل هددت أمريكا بأنها سوف تنفرد بضرب صدام.. كما فعلت قبل ذلك عندما نسفت المفاعل العراقي. وسوف تشجعها أمريكا سرًا، وتستنكرها علنًا.. إن أزمة الولايات المتحدة والأمم المتحدة قد بدأت وسوف تتعاظم ولكن بصور أخرى بعد شهر أو شهرين.

سـوزان مبـارك

باريس – السيدة سوزان مبارك، وبمنتهى التواضع سبقت كثيرًا من الدول الأوروبية، في دعوتها إلى سنة للقراءة، ودعوتها إلى تكثيف تأليف الكتب والمكتبات – هي ضربت المثل، وعلى المسئولين في كل موقع أن يسيروا وراءها. فبريطانيا أعلنت أن هذه السنة هي السنة القومية للقراءة. وليس الهدف هو محو أمية الشعب البريطاني. ولكن أن يدمن القراءة. فالقراءة المتقطعة ليست هي التي تصنع المثقف وتعطي فرصة للمخترع.. وإنما أن تكون القراءة كالطعام والشراب.. أن تكون مثل التنفس. فالشعوب تخلفت لأنها لا تقرأ. وإذا قرأت لا تفكر. وإذا فكرت ففي احتياجاتها الضيقة.

إن أوروبا كلها عرفت النهضة عندما تخطت الحواجز التي وضعها رجال الدين والمتزمتون من العلماء. فقد كان يكفي في العصور الوسطى الأوروبية أن يروا هذه العبارة لتتوقف العين عن القراءة. أما هذه العبارة فهي: هكذا قال أرسطو! وأرسطو هو الفيلسوف الإغريقي العظيم. وما دام أرسطو قد قال، فيجب على العين أن تنطبق والعقل أن يخشع. وأن يتوقف كل شيء عند هذه العبارة التي هي مثل حائط الصين.. فلا كلام بعد أرسطو ولا فكر. ولكن بعد أن انفتح العقل وأضاء، انحسر أرسطو.. وصار الناس يقولون: أرسطو قال، فليكن ولكننا نستطيع أن نقول وأن نقول إنه أخطأ..

أما وزير التربية والتعليم الإنجليزي (طه حسين بريطانيا) فقد قرر زيادة ميزانية شراء الكتب في المدارس – أضاف مائة مليون جنيه.. أما الهدف فهو أن يبقى الطلبة وقتًا أطول في المكتبة.. فإذا اتجهوا إلى التليفزيون وجدوه امتدادًا للمكتبة فيحدثهم عن الكتب والمؤلفين والشخصيات التاريخية بصورة جذابة.. وبذلك لا يكون التليفزيون عدوًّا للكتاب ولا يكون الكتاب انسحابًا من التليفزيون.. فأينما اتجه الشاب فسوف يجد كتابًا بين يديه أو على الشاشة.

لـــردع
البلطجـــة

الرياض – شكرًا يا ريس:

وإن لم يسعدني الحظ فأشترك في اجتماع المجلس الأعلى للصحافة وأرى غضبتك للحق وشرف مصر وكرامة أهلها. فقد تشوهت كل الرموز، وتلطخت بالطين كل المعالم الكريمة في الأسرة والمجتمع والمؤسسات حتى فزع الأجنبي والعربي والمصري – فليست هذه هي مصر الأمل والرخاء. وإنما هي (غرز) للحشيش بأقلام المنحرفين والمتسللين.. وكان الظن أن السكوت عليهم من علامات الرضا والقبول، والحقيقة أنه كان إمهالاً لهم لعلهم يرتدعون، أو يتقون الله في أهلهم وبلدهم.

شكرًا يا ريس: على صدور قانون حماية المجتمع من البلطجة.. بلطجة السكاكين والأقلام. فقد صدر القانون بسرعة فائقة. وكان ذلك إنقاذًا للخفير من الوزير، وللوزير من الخفير، وللوزير من الوزير، ولكل الناس من الناس.

شكرًا يا ريس:

إنك وضعت مسئولية تطهير الصحافة في أعناق الصحفيين ليصلحوا ما فسد، ويقيموا ما انهدم.

وكان الصحفيون يحلمون بأن يكون مصيرهم بأيديهم.

والآن تحقق لهم هذا الأمل، فهم وحدهم الذين يجب أن يغسلوا البيت والمكتب والشارع من مخلفات اللاجئين في الظلام إلى مهنة عظيمة الاحترام، فكانوا عارًا عليها وعلينا. إن عددهم قليل، ولكن كان دويهم، ودخانهم، وسمومهم عظيمة.

إن العملات المعدنية في كفك لها دوي ودوشة، بينما الورقات من فئة المائة جنيه لا صوت لها!

وقد سمعت أنا مع عدد من الوزراء إلى رجال أعمال مصريين يبكون على حالهم وحال مصر. فقال أحدهم: لقد جاءني 35 واحدًا من هؤلاء وهذه أسماؤهم، وقالوا لي: إن دفعت.. وإن لم تدفع.. إلخ

وجاء لقاء الرئيس مبارك بالمجلس الأعلى للصحافة حدثًا تاريخيًّا، فكعادة الرئيس كان ساخطًا على الذي حدث، ولكنه لم يكسر قلمًا ولا قطع رزقًا، وإنما ترك لنا الرأي والأمر والحكم، فالقضية مصرية، عربية عالمية. فقد كانت الشكوى لنا من كل العرب وكانت التقارير السرية الوهمية، والتحقيقات الفاضحة المفبركة وثائق ضدنا في الكونجرس الأمريكي، وكانت وثائق ضدنا في الهيئات الدولية، ولجان حقوق الإنسان.

كانت مهزلة وصارت مأساة.

ونفد الصبر.

تشويه التاريخ

هناك مؤرخون حريصون على تشويه التاريخ.. فلا يكادون يرون عظيمًا حتى ينقبوا تحت قدميه وقدمي الذين خلفوه ليكتشفوا أنه كان مريضًا، وإيه يعني؟ وأنه كان شحاذًا، وإيه يعني؟ وأكثر من ذلك أنه كان لصًا، وأن أفكاره مسروقة. فماركوني الذي اخترع الراديو آخر الضحايا قالوا إنه حرامي.. وقد زرت بيت ماركوني في مدينة بولونيا حيث انعقد معرض كتب الأطفال في العام الماضي - إنه لا يلقى في بلده ما يستحقه من عظيم الاحترام.

ولا يزالون يقولون إن الشاعر شيكسبير ليس هو الذي كتب روائعه.. بل بعض المؤرخين يؤكدون أنه لم يولد!

والعالم الفيزيائي الكبير أينشتين يقولون إنه سرق أفكار زوجته اليوجوسلافية. وكانت زميلته في الدراسة، وكانت على قدر عظيم من العلم بالرياضيات!

وقرأت أخيرًا كتابًا شاقًا عن الفيلسوف الوجودي الألماني هيدجر. مؤلف الكتاب أرهق نفسه جدًا وعذبنا معه. إنه يريد أن يثبت لنا أن الفيلسوف كان نازيًا. فليكن يا أخي! وهل كان في استطاعة أي أحد أيام هتلر أن يكون شيئًا آخر. ثم نفرض أنه اختار أن يكون نازيًا. إيه يعني إنه حر!

وقد حدث عندما سافر الرئيس عبد الناصر إلى روسيا وعاد فوجد الصحف تهاجم توفيق الحكيم بأن قصصه مسروقة. وقبل ذلك محمد عبد الوهَّاب هو الآخر ألحانه مسروقة. وأوقف عبد الناصر الحملة على توفيق الحكيم وقال إنهم في روسيا أكدوا له أنهم الذين اخترعوا الراديو وليس ماركوني واخترعوا التليفون وليس جراهام بل.. واخترعوا السيارة وليس فورد واخترعوا التطعيم وليس باستور.. إنهم ينسبون كل شيء إلى أنفسهم.. وقال: كيف نجد شعبًا يكرم نفسه حتى لو خطأ، ونحن نهين بلدنا ونغتال عظماءنا....

وهي غضبة حكيمة للرئيس عبد الناصر لم يأخذ بها المؤرخون والأدباء المعاصرون الذين يغتالون زعماء مصر ويلقون بهم عند الأقدام!

طه حسين
بريطانيا

أتابع باهتمام فلسفة التربية والتعليم، في وزارة العمال البريطانية. قيادة شابة ذكية جريئة. استطاعت أن تطبق فلسفة حزب المحافظين وتكسب الرأي العام وتفوز بالحكم وتصالح الأسرة المالكة على الشعب الذي كره برودها وجمودها وموقفها من حياة ومصائب الأميرة ديانا.. وبذلك أطال توني بلير زعيم العمال في عمر الملكية في بريطانيا.

وطه حسين بريطانيا هو د. بلانكنت، الضرير أيضًا، له اجتهادات باهرة، فمن آماله أن يحول المواطن البريطاني من واحد مدمن للتليفزيون إلى واحد يدمن القراءة.. فإدمان التليفزيون هو إدمان التسلية والسهر والنوم والأكل والشرب أمام الشاشة، ولكن ثقافته أقل، واحتماله لقراءة الكتب أقل جدًا..

ووزير التعليم البريطاني يريد أن يعود الكتاب إلى مكانه الرفيع من مقتنيات الشباب. وقد أعلن أنه سوف يحقق هذا الأمل في السنوات القليلة القادمة.. ثم منع دخول قصص الرعب إلى مكتبات المدارس. فالمطلوب هو الطفل الشجاع والشاب الجريء والمثقف المبدع..

نظرية أخرى أعجبتنى جدًا. فقد أعلن وزير التعليم البريطاني أن كثرة العلوم التي نحشرها في أدمغة التلامذة والطلبة توقف نموهم

الإبـداعـي؛ ولذلك يجب أن نقلل من هذه المواد التي تكتم أنفـاس الطالب وترهق عقله وتحكم بـالإعدام على خيـاله. ومن غير خيـال لا إبداع ومن غير إبداع لا تقدم.. وقد فزع كثير من المدرسين؛ لأن الوزير سوف يقضي على دورهـم في تعليم وتثقيف الطلبة. ولكن الوزير الجريء وجد أن التضحية بعدد من المدرسين أهـون من التضحية بملايين العقول وبالشعب والدولة والمستقبل.

ولو عدنا إلى أعظم المخترعين فسوف نجدهم لم يكملوا تعليمهم أو لم يدخلوا جامعة.. أمـا الجامعيون الدكاترة فـالقليل منهم قد اخترع شيئًا فعندهم وقت للتفكير والتنظيم والتنظير.. ولكن الإبداع يقوم به واحد عنده خيـال وحرية وجرأة..

إننى أرى السيدة سوزان مبـارك قد هيأت الجو التعليمي والثقـافي للمرحلة السابقة على مرحلة الإبـداع.. فـهي قد شجعت على إقـامة المكتبات وطبع الكتب الرخيصة وتوزيعها والاستمتـاع بهـا.. فنحن لا نزال في مرحلة محو الأمية الثقـافية.. أما المرحلة التـالية مبـاشرة فـهي الانطلاق الإبداعي في كل المجـالات..

الجنس والفلوس والسلطة!

الحديد يذوب أمام: الجنس والفلوس والسلطة!

ولكن الجنس أقوى استثمار للسلطة، كذلك يقول لنا الرئيس ميتران وعشيقاته الكثيرات. والرئيس كارلوس منعم والرئيس اليوناني والمستشار النمساوي وأخيرًا الرئيس الأمريكي كلينتون ومن قبله ستة من الرؤساء الأمريكان الذين لم يتزوجوا ومن بعدهم الأميرة ديانا وزوجها..

حتى رجال الدين كانت لهم فضائح! وكان من عادة الإغريق أن يختاروا فتاة جميلة شربت الإكسير المقدس وملأت صدرها بعطر الألوهية لتقدم النصح لمن يطلبه.. فاعتدوا عليها. فراحوا يستخدمون الدميمات دفعًا للرذيلة.. وكثير من القساوسة يغتصبون الراهبات في كل العصور..

فالبابا يوحنا الثالث عشر كان شابًا في العشرين واغتصب عشرات الجميلات في قلب كنيسة القديس بطرس بروما..

والبابا ألكسندر السادس في القرن الخامس عشر اشترى كرسي البابوية بالفلوس. وكان له أطفال غير شرعيين.. ولما بلغ الستين من عمره كانت عشيقته الجميلة في العشرين. وكانت الكنيسة كلها تعلم شراهته الجنسية!

والمصلح الديني السويسري تسفنجلي كان عشقه الأول للراهبات وكان يدعي أنه لا يلمس العذارى ولا المتزوجات. ولكن فتاة صغيرة فضحته واعتزل الدين إلى السياسة.

وزعيم حركة السلام الزنجي الذي يسمونه (الأب المقدس) أُلقي القبض عليه لأنه يعاشر امرأة غير زوجته.. ولكنه انفرد بكثير من الفتيات، وكان يقول: أحسن طريقة للتخلص من طاقتك الجنسية هو إظهارها حتى تموت!

وثارت عليه الكنيسة عندما اختتم حياته في الستين بالزواج من فتاة بيضاء في العشرين!

ومدعي النبوة الزنجي (ليجا محمد) كانت له غراميات صارخة فاضحة. حاول أن ينكرها ويخفيها ولكن فتاة صغيرة مسحت به الأرض وبتاريخه أيضًا!

والشعوب الأوروبية ترى أن من حق الرئيس، وأي إنسان، أن تكون له حياة خاصة. وهم عادة لا يتعرضون لها وأحدث وأقوى نموذج هو الرئيس الفرنسي ميتران وعشيقته التي تقيم في القصر الجمهوري وابنته... وفرنسا كلها تعرف ذلك. ولكن أحدًا لا يشير إلى غراميات الرئيس!

والأمريكان أيضًا.. ولكن عندهم ما لا يمكن السكوت عليه: كذب الرئيس أو هربه من الجندية أو من الضرائب!

وعندما تذهب السلطة إلى آخر مراحل الجنس والفضيحة فإن القلوب تغسل أكثر بياضًا – وسوف نرى!

أول من اتهم المخابرات!

كنت أول من قال إن المخابرات البريطانية هي التي اغتالت الأميرة ديانا حماية للعرش، فلن تسمح لأن يكون لملك بريطانيا أخ اسمه محمد وأخت اسمها فاطمة. وقد انتقلت هذه الكلمات إلى كل شاشات وصحف الكرة الأرضية.

وقد سألني كل من قابلت من الأجانب: صحفيين ومهندسين وأطباء، وآخرهم سفير إسرائيل في القاهرة. وأوفدت مجلة باري ماتش مندوبتها الآنسة لارا بلدي تسألني وتصورني وتسألني. وأقول لها إنني توقعت ذلك في عدد من المقالات قبل مصرعها. ولم يكن ذلك قراءة لفنجان أو كف الأميرة.. ولكن لأني رأيت أن الأميرة قد ذهبت إلى أبعد من أن تتحملها الأسرة المالكة فكان لابد من القضاء عليها. وقد كان.

فالأميرة زلزلت العرش وجرجرت عواجيز الأسرة المالكة إلى الشوارع ليرى الشعب أنهم بشر يبتسمون ويصافحون وليسوا تماثيل من الشمع. ولا يزالون يمارسون إنسانيتهم حتى الآن. وقد نصحهم توني بلير رئيس الوزراء بأن هذه فرصتهم الأخيرة!

ولكن لماذا يسألونني؟ فإما أن تكون هذه معلومات قد عرفتها من مصدر كبير أو من أجهزة الأمن المصرية، فالمخابرات البريطانية

تريد أن تعرف كيف تسرب الخبر الخطير.. وإما أن تكون معلومات من مصادر أخرى أو هو مجرد استنتاج منطقي..

ولقد ذهبت مع الصديق شريف الشوباشي مدير مكتب الأهرام في باريس إلى قصر وندسور الذي يقيم فيه العروسان.. وذهبت مع الصديق عبد الله حسن مدير أنباء الشرق الأوسط في باريس إلى فندق رتس قبل مصرع الأميرة بيوم نريد أن نراها. ونشرت الصحف بعد ذلك بأيام أن اثنين لهما ملامح شرقية جاءا يسألان عن الأميرة. ووضعت الصحف علامات استفهام وتعجب كثيرة. وأبادر فأقول من هما!

وأسرة الفايد ترى أن ما حدث للأميرة هو (مؤامرة) لاغتيالها من الأسرة المالكة أو من المخابرات البريطانية!

قال لي ضابط مخابرات مصري: إن ظهور فتاة يهودية في البيت الأبيض نموذج نمطي لأساليب الموساد وحادث الأميرة نموذج لما تفعله المخابرات البريطانية..

مؤامـــرة
على كلينتــون

في رحلة تستغرق 11 يومًا سوف يقوم الرئيس كلينتون بلمس جدران القارة الإفريقية، وقد تأخرت أمريكا في استعمار قارتنا فجاء دورها بعد بريطانيا وفرنسا وبلجيكا والبرتغال وإسبانيا وألمانيا وإيطاليا.

وقبل الرئيس كلينتون جاء الرئيس كارتر في سنة 1978 وزار نيجيريا وليبيريا.. والرئيس بوش اكتفى بزيارة قواته في الصومال سنة 1992. أما كلينتون فسوف يمر بغانا وأوغندا ورواندا وبتسوانا.. وفي السنغال سوف يتوقف عند جزيرة كوري وهي محطة الشحن الأولى لمليوني زنجي في القرنين 17، 18 إلى أمريكا..

وفي جنوب إفريقيا سيرى الرئيس الزنزانة التي حبسوا فيها الرئيس مانديلا 27 عامًا.

وكانت مثل هذه الزيارة كافية في حملته الانتخابية لفترة رئاسية ثانية ليكسب كل أصوات الزنوج. ولكن مستشاري الرئيس أكدوا له إنه في حاجة إلى دفعه إلى فوق.. صحيح أن الرأي العام الأمريكى قد أعطاه 61٪ لإنجازاته في الاقتصاد وتقليص البطالة وارتفاع سعر الدولار وموقفه من صدام حسين. أما هذه التصرفات (العيالي) للرئيس فيمكن للشعب الأمريكي أن يغفرها. وسوف يفعل.

ومازلنا حتى الآن لا نعرف بالضبط ما الذي دفع هذه البنت فجأة إلى فضح الرئيس - أهي الغيرة.. أهو الهجر.. أو هو تفضيله لواحدة عليها.. أم هي (مؤامرة) كما قالت زوجة الرئيس كلينتون وكررتها في بيان واحد 28 مرة؟!

وقد خطر لزنوج أمريكا أن يطلبوا من كلينتون أن يعتذر لهم عن الذي أصاب أجدادهم من تعذيب وقتل وهم يجرون العربات والمحاريث ويدفعون الزوارق.. والموت جوعًا ومرضًا في حقول القصب والقطن. ولكن قيل للرأسمالية السوداء إن الرئيس يفتح أسواقًا لهم في أرض الأجداد..

ولم يأبه أحد لهذا المطلب تمامًا كمطلب الهنود الحمر في محاكمة السفاح كولمبوس في الذكرى المئوية الخامسة لاكتشافه أمريكا سنة 1492. ولذلك اكتفى الهنود الحمر بإحراق تماثيل كولمبوس الخشبية في كل مكان.

بينما طلبت أمريكا من اليابان أن تعتذر لها عن إغراق الأسطول الأمريكي في جزر هاواي. فاعتذرت. ولم تجرؤ اليابان على أن تطالب أمريكا بالأسف على ضربها بالقنابل الذرية لأول مرة في التاريخ.

فإن لم تكن رحلة الرئيس الأمريكي إلى إفريقيا فاتحة خير للسلع الأمريكية فهي محاولة لتحويل العيون والآذان عن معركة المحامين والمستشارين في النيابة وأمام القضاء وفي الكونجرس وهي استغاثة بالقارة السوداء ألا ينتقل لونها إلى البيت الأبيض فيكون كهفًا أسود لرجل حليوة هو الأقوى في هذه الدنيا.

مثـــل
إذاعـة تيرانـــا

طلب مني المذيع الشاعر بلدياتي جمال الشاعر أن أقدم تحية (للقناة الثقافية) الجديدة التي سوف يراها الناس بعد شهور.. ولقد أسعدني ذلك..

وكنا من أربعين عامًا نحسد الشعب الإنجليزي على أن لديهم (البرنامج الثاني) للثقافة الرفيعة.. وأصبح في الإذاعة المصرية جزء من قناة للثقافة يستحيل أن نهتدي إليه إذا أردنا؛ فهو ضعيف الإرسال، وهو جزء من مش عارف إيه من القنوات. بالمصادفة فقط اهتديت إليه مرة واحدة يتيمة! والذي سمعته أعجبني.

ولقد وصفت هذا البرنامج الثقافي السري بأنه يشبه إذاعة تيرانا عاصمة ألبانيا الشيوعية.. فقد أغلقوا الاستوديو على واحد غلبان وأكرهوه على أن يقرأ الترجمة العربية لكتاب الزعيم خوجة. وكان يقرأ لمن لا يسمعه في أي مكان. ولكنه ينفذ حكمًا عليه بالأفكار الشاقة المؤبدة في حبس انفرادي وزنزانة من الجدران مانعة الصوت.. أي حتى لا يسمعه أحد خارج الاستوديو!

ومن الممكن أن تكون القناة الجديدة شيئًا مهمًا لو كان الاهتداء إليها سهلاً. وإن كانت قوية فمن مظاهر قوتها أن تكون عندها فلوس. لأن التليفزيون المصري يمشي على قاعدة عجيبة: الضيف إذا طلب

فلوسًا فإنهم يعطونه، ومن الضروري أن يطلب الضيف مقابلًا لسلعته الفكرية. فالفكر سلعة تباع وتشترى. فإذا طلب الضيف الأجر فإن التليفزيون المصري يعطيه القروش بينما القنوات العربية الأخرى تعطي بسخاء.. يجعل العيون تتحرك إلى القنوات الأخرى الأقدر على اختيار أحسن الأدباء والفنانين!

وأمامنا القنوات العربية الأخرى تناقش الأدب المصري والتاريخ المصري بمنتهى الموضوعية والاقتدار. وليس بين المشاركين مصري واحد.. ولكني لم أرفض رأيًا لهم ولا اجتهادًا. لقد كانت عظيمة الاحترام.

فإذا نحن أضفنا قناة جديدة تعيد إذاعة الأحاديث والندوات القديمة فلا أرى داعيًا لتعجل ظهورها دون استعداد قوي.. حتى لا تكون مجرد أرشيف للقديم أبو بلاش كده!

متحف
وملعب

يقول د. أمين عبد الرحمن من كندا إن في كتاب اللغة العربية للصف الثالث الابتدائي في درس زيارة المعارض، كلمة المتحف (بضم الميم) ويسأل: إذا كان مفرد متاحف (بفتح الميم) هو متحف (بضم الميم) كما في الكتاب وكما ينطقها مذيعو ومذيعات التليفزيون، فما عسى أن يكون مفرد ملاعب (بفتح الميم)؟ أيكون ملعب (بضم الميم)؟ ألا تعتقدون أن كلمة شراكة التي تستعمل الآن فيما يختص بالتعاون الاقتصادي غير مناسبة، وتوحي بكلمة الشرَك أي الفخ المنصوب، وأن أفضل منها كلمة المشاركة التي تكتب من آن لآخر على استحياء؟..

وقد سبق أن أجبت في هذا المكان على مثل هذا التساؤل:

فالمدخل بفتح الميم معناه: الباب الذي تدخل منه. أما المدخل بضم الميم فهو عملية إدخال الأشياء والناس من الباب أو عملية الدخول من الباب.. وقياسًا على ذلك فالمتحف بفتح الميم هو المكان الذي نضع فيه التحف.

أما المتحف بضم الميم فهو عملية وضع التحف في أي مكان.

وعلى ذلك فكلمة المتحف بضم الميم على لسان المذيعين وفي الكتاب المدرسي خطأ.

ويجب أن تكون بفتح الميم: مثل ملعب.

أما (الشراكة) بمعنى المشاركة فليست عربية وإنما هي واحدة من الكلمات التي نكررها مثل الببغاء ونقلًا عن الصحف العربية مثل: الاستمرارية بمعنى الاستمرار و(آليات) السوق بمعنى قواعدها و(الشفافية) بمعنى الوضوح وكلمات: الأربحية والربحية والتربح – وكلها كلمات منحوتة ومنقولة دون مناقشة أو تحقق من أنها عربية أو ليست كذلك.

ونحن نكرر هذه الكلمات وغيرها حتى نبدو عالمين ببواطن الأمور.

فإذا لم نستعملها لأي سبب، فجهلة لا يتابعون ما جرى حولنا من عمليات، وتطورات ثقافية.. واستخدامنا لكلمتي (الأصالة والمعاصرة) هو أيضًا اختراعات، حاولنا أن نضع لها القواعد والنظريات لا لأنها تستحق ذلك ولكن لأننا حريصون على التمسك بالتطبيق دون سبب واضح..

وعلى الرغم من أنني كتبت هنا كثيرًا في السنوات العشر الماضية أن كلمة (تصنت) خطأ والصحيح أن يقال (تنصت) إلا أننا لا نزال نسمعها في الإذاعة ونقرؤها أيضًا.

أما كلمات وزير ووزيرة والاكتفاء بكلمة وزير ومدير وسفير للدلالة على الرجل والمرأة، فذلك ما تفضله المرأة.

مع أن ذلك ليس صحيحًا لغويًا.

ولكن ما دامت هذه رغبتها، وهذه هي المساواة الشكلية التي تريدها، فبناقص كلمة أو كلمتين!

غـــرام
فرنســــا

باريس – نهر النيل يصب في باريس هذه الأيام، ومن مائتي سنة.. يصب كتبًا قديمة وجديدة ولوحات وموسيقى. إنها أعظم وليمة أقامها الفرنسيون لمصر.. أقاموها لنا في فرنسا، وأقاموها لهم في مصر.

فهناك ثلاثة أنواع من الكتب: كتب تقول إن مصر فرنسية وكتب تقول بل فرنسا هي المصرية..

ومنذ أيام، علقت هنا على كتاب (محمد علي آخر فراعنة مصر) لكاتب مصري المولد هو: «جيلبير سنويه». وقد أمتعني كتاب آخر لمؤلف مصري المولد هو «روبير سولي».

الكتاب عنوانه (مصر – غرام فرنسا). وقد تناول المؤلف كل الذين فكروا في مصر وفكروا لها.. والذين يتكلمون الفرنسية في مصر وسوريا ولبنان، وكان لهم دور في توسيع وتعميق جسور الثقافة بين البلدين.. ابتداء من نابليون وشامبليون وماسبيرو ودلسبس، ومن علي مبارك حتى طه حسين والحكيم وعمر الشريف وهو (كاثوليكي سوري) ويوسف شاهين، وداليدا.

والمؤلف يرى أن فرنسا هي التي صارت مصرية الهوى والهدف وقد أسعدها ذلك.

أما النوع الثالث من الكتب فهو إعـادة نشر الدراسات القديمة بتفسير جديد.. فقد أعادوا نشر اللوحات الألف التي جاءت في كتاب (وصف مصر) الذي ألفه شباب الحملة الفرنسية على مصر في ثلاث سنوات.. وكلهم في العشرين من العمر.. رسموها واقفين وعلى ظهور الخيل يتساقطون من شدة الحرارة في الصعيد، ومن الحمى والدوسنتاريا.. أو تلخيص هذا الكتاب وبأسعار زهيدة.

ولا توجد مكتبة واحدة في باريس بلا رمسيس ونفرتيتي وكليوباترا. إن عشقًا حقيقيًا من الفرنسيين لبلادنا.. هذا العشق ليس أعمى، ولكنه منير.. لنا وللإنسانية فنرى عظمة الحضارة المصرية التي انعكست في موسيقى موتسارت النمساوي، وفي موسيقى الفرنسيين أيضًا.. ولا أول ولا آخر لكلمة مصر في عناوين الكتب.

إن باريس تشهد أروع مهرجان لمصر سوف يبلغ قمته عندما يجيء الرئيس مبارك في مايو القادم.

أملي أن نترجم بعض هذه الكتب في سنة أو سنتين لنزداد علمًا وحبًا عميقًا لبلادنا.

فما الذي يقوله الفرنسيون والمصريون هنا؟ في كل وقت، وفي كل مكان. ليس هناك إلا مصر، والعلاقة الراسخة الدافئة أبدًا بين مصر وفرنسا قبل الحملة الفرنسية التي فشلت عسكريًا، فقد هزمها الإنجليز، والفاشلة سياسيًا، فلم تنضم مصر إلى فرنسا ولكن مصر وفرنسا انضمتا معًا إلى موكب الحضارة الإبداعية التي تزدهر في عقلين وقلبين معًا.

هــــان
أمرنـــــا..

سيادة الرئيس حسني مبارك

إن ما يحدث في مصر أخطر مما سوف يصيب العراق. فالأمريكان سوف يضربونه وقد ضربوه قبل ذلك. والذي انهدم يمكن بناؤه أحسن، كما فعلت ألمانيا واليابان ولكن الذي يحدث لنا وفينا بسبب بعض الصحف المأجورة هو هدم للشعب وقيمه الأخلاقية والدينية. ولكل الذين اخترتهم حولك: الوزراء وزوجاتهم ومستشاروك. ويزعم أصحاب هذه الصحف أنهم يطبقون التعليمات والمعلومات. تعليمات بعض الوزراء وفلوسهم ومعلومات أجهزة الأمن وحكومات أخرى!!

إن الذين تبنيه يا سيادة الرئيس بالكرامة والحرية يتساقط فوقنا وحولنا. وسوف نحتاج إلى عشرات السنين لإقامة ما سقط وتقويم ما انحرف.

وقد حدث بعد تأميم الصحافة، يا سيادة الرئيس، أن جمعنا الرئيس عبد الناصر وكان غاضبًا على الرسوم الكاريكاتورية للعشيق تحت السرير وفي الدولاب. وقال يومها: ليست هذه مصر ولا يمكن أن تكون!

أما اليوم فهذه الصحف تحاول إقناعنا بأن شركات الأثاث تبيع السرير مزودًا بعشيق من الخليج!

وفي بريطانيا هذه الأيام (غضبة شعبية) على البلطجية الذين حطموا 250 تمثالاً لأبطال الحرب. أما التماثيل فيمكن تشييدها، ولكن التماثيل الأخرى في قلب وعقل كل أب وأم وطفل؛ تماثيل التضحية من أجل الوطن والشرف والحرية كيف يقنعون بها الشباب إذا كانت رموزها الحجرية تلقى هذا المصير! (وبالمناسبة أين قانون حمايتنا من البلطجية؟!)

سيادة الرئيس: لقد عرفنا الحرية قبل ثورة يوليو وبعدها.. واليوم نستمتع بها معك وبك، فهذا هو العصر الذهبي لكل صاحب رأي ورؤية، والحرية ليست بأن يمسك بعض الصحفيين السكين بدلاً من القلم، ولا الديمقراطية أن يغمسوه في الطين - فهذه هي «الطينوقراطية»!

سيادة الرئيس: أنت شكوت لي مرات عديدة من مقالات لم تعجبك، وكنتُ مسئولاً عن نشرها، وقلت لي: إنني غاضب كمواطن، لا كرئيس للدولة! ولما سألتك أن ألفت نظر أصحابها رفضت أنت رفضًا تامًا احترامًا للذين يختلفون معك في النظرة والنظرية - منتهى الديمقراطية.

واسمح لي أن أنتهز هذه الفرصة لكي أعتذر لصحف لبنان القديمة التي اتهمناها بأنها كباريهات لمن يدفع.. حتى أشعلت النار بين السني والشيعي والماروني؛ حتى جعلت لبنان بقايا شعب، ورفات دولة!

إن شيئًا أبشع من ذلك نخشاه اليوم، وسوف نتعذب به غدًا وبعد غد..

وأخيرًا أتذكر في هذه اللحظة دعاء الرسول عليه الصلاة والسلام وهو خارج من الطائف وهم يدقون قدميه بالحجارة حتى سال دمه الشريف. فقد قال: «**اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس**».

وقد هان أمرنا على الناس.. فكل زوجة خائنة، وكل زوج حشاش، وكل غني لص، وكل ناجح غشاش، وكل مستثمر مغفل إلى أن يترك مصر. أما المصريون العاملون في الخارج فلا يعرفون كيف يوارون وجوههم بعد أن فضحنا أنفسنا!

أجدد حبي لك وعظيم احترامي وامتناني.

زعلان
ليه؟

أما ما تقوله الصحف المصرية فنحن نعرفه.

أما ما تقوله الصحف الإسرائيلية فهو فزع من الذي يحدث أو سوف يحدث.

ففي مقال نشرته (جيروسالم بوست) عنوانه: أبو الهول زعلان ليه؟

وأبو الهول هو مصر طبعًا؛ تقول الصحيفة: إنه لو أتيح لأبي الهول أن يفصح عن مشاعر المصريين اليوم لرفع حاجبيه ومط شفتيه وهز كتفيه وترك النار والشرار يخرجان من عينيه.

إنه غاضب بسبب ما يقوله رئيس وزراء إسرائيل. وقد أعطى الرئيس مبارك لنيتانياهو أكثر من فرصة ليعتدل في لهجته ويفعل ما اتفقوا عليه مع الفلسطينيين، فقابله. ولكن عندما يرجع نيتانياهو إلى بلاده فإنه عادة يقول كلامًا مختلفًا.

والموقف المصري هو الذي شجع الدول العربية الأخرى على التراجع والانكماش. فقد تقلصت الأيدي الممدودة إلى إسرائيل بأغصان الزيتون، فرئيس وزراء إسرائيل يكره الزيتون إذا كان مصدره الضفة الغربية!

وفي الوقت نفسه تتحدث المعارضة عن الطريق الذي بدأته لكي يتحقق السلام وبسرعة وتطالب بإبعاد رئيس الوزراء وإسقاطه

أو عزله بسرعة،.. و(بسرعة) هي الكلمة التي أفزعت المتطرفين في إسرائيل وفي أمريكا.. فحزب العمل هو الذي كان (يهرول) نحو السلام.. لقد تبادلت مصر – مبارك.. وإسرائيل – نيتانياهو المواقع.. فقد كان عمرو موسى يعيب على العرب الهرولة، فأصبح نيتانياهو هو الذي يعيب على إسرائيل الهرولة.. فتوقف كل شيء الآن ذهابًا وإيابًا..

وشكت إسرائيل وبكت لكل الدنيا؛ لأن الصحف والمجلات والكاريكاتير في مصر تشن حربًا ضد السلام وضد رئيس وزراء إسرائيل وأنها تعبئ الشعوب العربية بالكراهية طريقًا لمحاربة إسرائيل، فما الذي كان يتوقعه نيتانياهو، وهو رجل جاء من الفضاء الخارجي يهدم السلام ويدوس الاتفاقيات وحق الشعب الفلسطيني في حياة كريمة على أرضه؟

قمة التطبيع

توقف كل شيء بعد أن رأينا اليهود يظهرون في معظم عواصم الخليج.. على شكل وفود إعلامية وتجارية. وقد عرضوا وروجوا مشروعات كثيرة. وذهب سرًا وعلنًا رجال الأعمال العرب إلى إسرائيل. بل ظهر اليهود في الصفوف الأولى في مهرجان اختيار ملكات جمال الخيول العربية في دبي وقطر، ولما فازت مهرة جميلة جدًا بالجائزة الأولى كان اليهود أكثر الناس تصفيقًا! ولكن لسبب آخر؛ فهي لم تفز فقط بالجائزة الأولى لأنها مصرية الأب والأم، وإنما لأنها تحمل في بطنها جنينًا من إسرائيل.

وقالوا هذه هي: قمة التطبيع!

ونشرت الصحف في إسرائيل وفي العالم عن تزايد أعداد المرضى العرب في مستشفيات القدس.. هذا يريد شفاء من (حمى البحر الأبيض المتوسط).. وهذا يريد مزيدًا من الفحولة.. هذا جاء من قبرص. وذاك من باريس. وحكايات عن قصص غرامية وتزاوج بين العرب واليهود. وعن أن يهوديات قد أشهرن إسلامهن.. إلخ.

وفي الوقت نفسه تشدد الموقف السياسي وتصلب في سوريا. وأعلن الرئيس الأسد فزعه من أن يتزحلق العرب إلى أحضان إسرائيل وتظل سوريا وحدها، فلا انسحب اليهود من الجولان ولبنان، ولا أحد

تفاوض مع سوريا. ولقد أخطأت إسرائيل في حساباتها حين اتجهت إلى الانفراد بالدول العربية واحدة واحدة بعيدًا عن مصر وعن سوريا. وكان منطقها ألا يكون لمصر الدور الرئيسي في السلام.

فمصر بادرت وأخذت أرضها فلتترك الساحة لإسرائيل تتصيد الدول العربية، لكي تجد مصر نفسها بلا دور ولا زعامة، وتقف سوريا وحدها بعيدًا عن مصر وعن كل العرب!

غلطة: هرولة مزدوجة.. إسرائيل هرولت نحو العرب، والعرب هرولوا نحو إسرائيل فكان لابد من (فرملة) إسرائيل، فتوقف العرب وكل شيء!

الهندسـة الـوراثيـة

لا أدعي العلم بأشياء كثيرة جدًا.. ولكني أحاول أن أفهم.. أو أحاول أن أشرح الذي أفهمه بصورة بسيطة. أريد أن أحدثك عن (الهندسة الوراثية) وماذا تفعله وسوف تفعله في الإنسان والنبات والحيوان. الهندسة الوراثية علم موضوعه الخلية. وهو يحاول إعادة ترتيب الخلية.. ينقص أو يزيد مكوناتها.. مثلا نفرض أن هناك كوتشينة. والمطلوب هو استبعاد الولد والبنت والشايب.. ووضعها في كوتشينة أخرى؛ أي زيادة عدد الأولاد والبنات. وهذا العمل له معنى. والمعنى هو أنه عندما يكون أكثر من العدد العادي يحدث كذا وكذا.. وعندما ينقص عن العادي يكون له معنى.. هذا بالضبط– وعلى قدر عقولنا نحن الناس العاديين – ما يفعله العلماء في خلايا النبات والحيوان والإنسان، وعن طريق ذلك استطاع العلماء أن يصنعوا لنا عقاقير طبية فائقة الجودة والمفعول.. واستطاعوا أن ينتجوا بكثرة النبات والخضراوات والفواكه والأبقار والدجاج. وقد تحكموا في الشكل والحجم.. وتحكموا في رفضها لكل الآفات الزراعية..

فماذا حدث؟ استطاع علماء الهندسة الوراثية أن ينتجوا أنواعًا مختلفة من فول الصويا. وهذا الفول يدخل في 60٪ مما يأكله الإنسان في أمريكا وبعض الدول الأوروبية. ابتداء من الفول المدمس

حتى اللحمة وشيكولاتة الأطفال. وبقدر انتشار فول الصويا زاد الرعب في أمريكا وفي أوروبا. وسوف تصل سفينة أمريكية إلى هولندا تحمل ربع مليون طن من فول الصويا وانتظرتها مظاهرات في هولندا وفي ألمانيا لماذا؟ لأن هناك يقينا بأن العبث في كوتشينة الخلايا يؤدي إلى السرطان، وأنه ليس أحسن ولا أصح من فول الصويا بتاع ربنا.. ولذلك انتشرت في كل الأسواق لافتات وضعت فوق الخضراوات والفواكه واللحوم بأنها طبيعية وليست هندسية، صحيح أن شكلها ليس هندسيًا ولا جميلا مثل الفواكه والنباتات الهندسية ولكنها سليمة وصحية!

هل عندنا خبر في مصر، أو لم يصل إلى علمنا وشواطئنا شيء من ذلك؟

لعلهم يعرفون..

يوم 2 مارس سنة 1972 أطلق الأمريكان السفينة التاريخية (بيونير – 10) إلى الفضاء خارج المجموعة الشمسية لعل أحدًا من سكان الكواكب الأخرى يعرف شيئًا عنا. وفي هذه السفينة صور للحياة على الأرض؛ النباتات والحيوانات والإنسان ولوحات فنية وتسجيلات موسيقية وعبارات بكل اللغات – من بينها اللغة العربية– وفيها لوحات لرجل وامرأة وطفل؛ أي أن هناك تزاوجًا بين الذكر والأنثى. ثم خريطة لموقع الأرض من المجموعة الشمسية. وكان الهدف من إطلاق هذه السفينة أن تمر في جو كوكب المشتري فصورت وسجلت ورسمت وبعثت خرائط وتحليلات رقمية لجو المشتري ومجالاته المغناطيسية المتداخلة.. والسفينة الآن تبعد عن الأرض حوالي عشرة آلاف مليون كيلو متر، ولا تزال ترسل صورًا وأرقامًا وإن كان صوتها يضعف بالتدريج.. وكانت تبعث بمعلومات إلى الأرض عن طريق 12 مصدرًا إشعاعيًا. وقد أقفلت هيئة الفضاء أحد عشر مصدرًا. واستبقت مصدرًا واحدًا.. وهذه السفينة عبارة عن رسالة موجهة من علماء الأرض إلى سكان الكواكب الأخرى – إن كان هناك أحد قريب منا – لعلهم أن يروها فيعرفوا أن هناك عقلاء يعيشون في أماكن أخرى، ويطلبون إليهم أن يتصلوا بنا.. إن كانوا أكثر عقلًا وأعظم تطورًا.. والسفينة (بيونير – 10) تنطلق بعيدًا بسرعة

44579 كيلو مترًا في الساعة. ورغم أن بطارياتها تمتلئ بالطاقة الشمسية، فإن بعضها قد ضعف بمرور الوقت وبالعمل المستمر ليلًا ونهارًا، وتداخل الصوت مع الضوضاء الكونية بين الأرض والشمس، وتداخل المجالات الصوتية والجاذبية ووجود أعداد هائلة من الأجسام الضالة في الكون وزحام الأحجار والتراب حول الأرض وبين الكواكب.. ورسائلها تصل إلينا في تسع ساعات.. ولا أحد يعرف الآن إلى أين تتجه هذه السفينة. وقد قرر العلماء قطع الصلة بها نهائيًّا يوم 31 مارس القادم؛ لأن الاتصال بها باهظ التكاليف، ولن يعرف جيلنا ولا مئات الألوف من الأجيال بعدنا ماذا جرى. فأقرب نجمة تبعد عنا مائة ألف سنة!!

أصحـــاب
العاهـــات..

كل ذي عاهة جبار – عبارة منسوبة إلى الرسول عليه الصلاة والسلام.

وهي عبارة حكيمة، وصاحب العاهة: أي الذي به نقص في جسمه أو بعض نقص في نفسه أو في أسرته أو في وظيفته، أي الذين بسبب نقص مادي أو معنوي فيهم حقد على الآخرين،

وقد ينجحون في إخفائه، ولكن المرارة هناك، تظهر من حين إلى حين ويكون إحساسهم دون الناس فيبالغون في إظهار قدراتهم تعويضًا عن هذا النقص، ويبالغون في عيوب الناس، لكي يجعلوا الناس دونهم بالقوة.!

فالذي ولد بعين واحدة أو بساق ملتوية أو قطعت ذراعه أو عاش يتيمًا أو فاشلا في البيت وفي المدرسة أو في العمل، أو المفضوح بشذوذ – هذا هو الطراز من الناس الذي يحقد على كل الناس!

وأصبح من عادة المؤرخين أن يبحثوا عن العاهة عند الجبابرة أو السفاحين ومصاصي الدماء.. فيجدوا أن الذين يسفكون دماء الأطفال كانوا أيضًا أطفالًا معذبين.

أحد علماء النفس اكتشف أن هتلر كان متعلقًا بأمه.. وأمه خادمة؟ وكان عملها يضطرها إلى أن تتركه وحده في البيت. وكلما حاول أن

يجري وراءها ضربته وأغلقت عليه الباب فراح يبكي حتى ينهد حيله فينام. ولما كبر وجد لأمه ألف عذر، فلم يكن في استطاعتها أن تفعل غير ذلك؛ فقد كانت تعمل لدى أسرة يهودية في فيينا(؟!).

وبعملية حسابية بسيطة قرر هتلر أن يرى دموع عينيه في ملايين العيون - عيون الأطفال والأمهات المسيحيات واليهوديات - وهناك ألف قصة أخرى من اختراع هوليوود.

وهي نظرية ليست دقيقة.. ولكنها لا تخلو من الصدق - فلم يكن هذا هو الدافع الوحيد عند هتلر طبعًا - ولكنه واحد من الأسباب المائة التي جعلته قاسيًا.. وليس هذا هو السبب الوحيد لأن يبني ألمانيا النازية على أنقاض الشيوعية والصهيونية والرأسمالية - فقد كان جبارًا؛ لأنه صاحب عاهة فحطم ألمانيا كلها..

وما أكثر القصص التي تنشرها الصحف كل يوم تفسيرًا لعاهات الذين يهتكون الأعراض ويمصون دماء ضحاياهم - إنهم من ذوي العاهات النفسية أو الاجتماعية.

واعتــــرض
الأستــاذ العقــاد

زعيم المحافظين في بريطانيا وليام هيج (39 سنة) تزوج فتاة اسمها (فيون) من ويلز تتكلم لغة أخرى غير الإنجليزية. خبر عادي جدًّا لزعيم سياسي شاب. ولكن لأنه زعيم ولأنه سوف يكون رئيسًا للوزراء يتحكم في مصير خمسين مليونًا من الإنجليز ويحمي مصالح بريطانيا في الدنيا، فزواجه ليس أمرًا عاديًّا ولا شخصيًّا؛ ولذلك ظهرت مئات المقالات والدراسات والتحليلات الاجتماعية والنفسية لزوجة الزعيم. فهي فتاة جميلة ذكية طموح (مشخلعة).. ونشروا لها صورًا عارية الساقين والكتفين والصدر؛ إنها شابة حلوة مثيرة.. ثم نشروا لها فستان الزفاف. وهو جميل. يكشف كل مفاتن جسمها.. ونشروا لها صورة كبيرة من الخلف تكشف ردفيها. والمعنى أنها شابة حريصة على إبراز جمالها.

ولكن!

وألف (ولكن) من كل الصحف والمجلات: ما الذي سوف تفعله هذه الفتاة بزعيم المحافظين.. هل ستكون فقط زوجة الزعيم، كما أن دنيس تاتشر كان زوج رئيسة الوزراء. وكما أن الأمير فيليب هو فقط زوج الملكة.. أو هل ستكون مثل هيلاري كلينتون زوجة الرئيس الأمريكي لها دور سياسي؟

هل يسكت حزب المحافظين عن (فيون) أو هل سيضعون لها القوالب الحديدية التي وضعتها الأسرة المالكة للأميرة ديانا.. إنها أجمل وأكثر شبابًا وحداثة ومعاصرة من حزب المحافظين!

فما القضية؟ القضية أنهم يخافون من الفتاة على حياة الزعيم، وحياة الزعيم لها أثر عظيم في حياتهم. إذن زواج الزعيم ليس أمرًا خاصًّا. وإنما هي قضية عامة! قضية حزبية وطنية دولية.

وعندما اعترض الأستاذ العقاد على زواج مصطفى النحاس باشا من الآنسة زينب الوكيل استنكر الناس هذا الموقف وقالوا: وانت ما لك؟ ولكن العقاد قال إن فارق السن بين النحاس وزوجته يجعل منها قوة تؤثر في قراره.. تلعب به وبمصائر المصريين أيضًا.. وكان العقاد بعيد النظر سابقًا لعصره. وكل الذي كان يخشاه العقاد قد حدث. فقد كانت زينب الوكيل هي التي تلعب بالنحاس باشا الذي كان يملك مصير الشعب المصري..

وعلى الرغم من أن الشعب الإنجليزي قد هنأ العروسين، وتمنى لهما شهر عسل سعيدًا في الهند، فإن الأقلام في أيدي الرجال والنساء لم تسكت عن خوفها على الزعيم الشاب من الفتاة الجميلة التي لا حدود لطموحها فقد تستخدم زعيم المحافظين صاروخًا يحترق وهو يرفعها إلى مسارات ومدارات.. وأحضان أخرى!

أول
مـن قابلـه

عيني تتجه إلى صورة أو اسم الدلاي لاما، الأب الروحي للتبت.. فقد كنت أول صحفي في العالم يلتقي به بعد هربه من بلاده أيام القوات الصينية سنة 1959. واستقر في جبال الهملايا.. وكانت رحلتي إليه شاقة نصفها بالسيارة والنصف على ظهر بغل. رحلة صمت فلا البغل يتكلم ولا صاحبه.. ووجدت حيلة لكي ألتقي به.. من بينها أنني مريض جئت نائبًا عن كثير من المرضى المصريين الذين يؤمنون بعظمته.. والدلاي لاما (22 سنة) في ذهول من كلامي.. فهو لا يعرف أين هي مصر، ولا يصدق أن يكون له هذا السحر في بلاد أخرى– هذا إذا كانت ترجمة رئيس وزرائه من اللغة الفرنسية إلى لغته صحيحة. فأنا أرى الفزع على وجهه من جملة إلى جملة.

وعندما كتبت عنه هاجمتني الصحف الصينية وقالت إن الدلاي لاما يجب أن يشكر الصين لأنها أطالت عمره! فديانة التبت تقضي باختفاء الدلاي لاما عندما يبلغ الثالثة والعشرين ليأتوا بطفل جديد يضعونه في مكانه!

ولعبت أمريكا بالدلاي لاما؛ لأن طرده واضطهاد شعبه يجعل الصين في مقدمة الدول التي تنتهك حقوق الإنسان.

ثم منحته السويد جائزة نوبل للسلام سنة 1989 في نفس الليلة التي وصل فيها رئيس الصين زيمين إلى أمريكا!

ثم راقبت تطوراته شكلًا ولونًا؛ لون ملابسه وبشرته وسياراته في أمريكا وأوروبا. وما زلت أحتفظ بخطابه الذي تلقيته من ثلاثين عامًا. وعرضت الخطاب على كثير من الأسيويين فلم يعرفوا قراءته.. ولابد أن يكون شكرًا على ما كتبت أو تكذيبًا لما قالته الصين أو لعله ليس من الدلاي لاما!

وقد ظهرت عنه حكايات وكتب وأنتجت له السينما الأمريكية أفلامًا عن حياته وعذاب شعبه وطلعته البهية وصوته الملائكي؛ - وهي صفات لم أجدها فيه.. ولكن الذين يقدسونه يرون فيه ما هو أكثر من ذلك!

وأخيرًا ظهر عنه فيلم بعنوان (سبع سنوات في التبت) وقد أُدخلت عليه تعديلات كثيرة حتى يكون له مدلول سياسي لعل الصين تعفو أو تخفف وطأتها.. وكما استطاعت لعبة (البنج بنج) أن تعيد العلاقات بين أمريكا والصين فمن يدري فربما نجح أيضًا هذا الفيلم وفيلم كارتون عن التبت!

دموع العقاد

حضرة الأخ..

أبثكم تحياتي وأشواقي.. وبعد فأذكر أني سمعت منكم يوم لقيتكم أنكم تسرون بتقديم (المساعدة) لي عند الحاجة إليها. ولقد سمعت مثل هذا الكلام من كثيرين غيركم فما خطر لي أني سألجأ إليهم أو أعول في شيء عليهم. ولكني فهمت من كلمتكم غير ما فهمت من كلماتهم.

وبعثت إليكم اليوم بهذا الخطاب لأقول لكم إني في حاجة إلى تلك المساعدة بل لا أظن أن هناك شيئًا مما يحتاجه الحي في حياته لست أنا في أشد الحاجة إليه الآن. وكفى بذلك تصريحًا وإيضاحًا. وقد شغلت منذ أسابيع بالسعي لعمل لو نجحت فيه لما كنت منتفعًا منه قبل شهر على الأقل. فإن كانت مساعدتي في وسعكم؛ فإني أنتظرها منكم اليوم. والسلام.

من أخيك المخلص:

هذا الخطاب المؤلم الموجع المبكي لم يكن لي. ولو كان لتقطع قلبي ألف قطعة.. ولكن بعث به مفكر عظيم، بل أعظم مفكرينا، سنة 1912 إلى صديق له قادر على المساعدة المادية.. بل المساعدات الضرورية لحياة أي إنسان كريم عظيم.. إنه لم يقل بالضبط ما الذي

يحتاجه ولكن واضح أنه يريد أن يأكل ويشرب ويمضي في القراءة والكتابة التي لعنها فلم تعد عليه بضرورات الحياة.. صاحب هذا الخطاب هو مفكرنا العظيم عباس العقاد.. وقد جاء ضمن كتاب ممتع عنوانه (من رسائل العقاد) للأستاذ محمد محمود حمدان (445 صفحة).. وكنت أتصور أن ليس بين المفكرين من لقي من الهوان ما لقيه المفكر العربي أبو حيان التوحيدي. اقرأ كتابه (الإمتاع والمؤانسة) واقرأ ما كتبه إلى الوزير وهو يبوس الأرض تحت قدميه.. ويرجو أن يذله ويعذبه بكرمه، وأن يتصدق وأن يعطيه حسنة، فهو لم يعد يجد طعامًا ولا شرابًا ولا قوة جسدية تجعله يركع أمام الوزير.. لعله ينال فتات المنافقين والكذابين والجهلة الذين يجلسون بالقرب من الوزير ولكني أجد خطاب العقاد أعمق وأعنف ما قرأت إيلامًا للنفس؛ فالعقاد المفكر العظيم قد ضاق بالدنيا وفكر في الانتحار، ولكن التاريخ أعاده إلينا مصباحًا مضيئًا يعطي ولا يأخذ يضيء ويحترق.. وليس له نصيب مادي من هذه الدنيا. ورغم ذلك فقد وجدنا في خزانة العقاد كشفًا بأسماء عشرين صديقًا، أكثر فقرًا منه.. وكان هو الذي يعينهم على الحياة!

شعرة معاوية!

ليس من السياسة قطع العلاقات مع أية دولة. فمن الضروري أن تكون هناك صلة ما.. سكة.. طريق؛ فأمريكا وروسيا في أسوأ مراحل الحروب الباردة والساخنة لم تنقطع علاقاتهما.. ولا أحد فكر في ذلك؛ لأنه يجب أن تكون هناك عيون وآذان تنظر في الشارع.. وعيون وآذان تتجسس من فوق. لابد أن تكون هناك معلومات.

وليس من السياسة إعادة العلاقات مع السودان وإيران دون أن نعرف لماذا؟ ما الذي جعلنا نعيدها الآن: هل السودان بريء تمامًا من تدريب الإرهابيين وإخفاء المخربين، وأنهم لم يشاركوا في محاولة الاعتداء على الرئيس مبارك في أديس أبابا. هل إيران بريئة من تدريب وتمويل وتنظير الإرهاب في مصر وفي غيرها؟ هل كل من الدولتين تابت وأنابت وندمت على ما فعلت، وعلى استعداد أن تبدي الندم على غلطتها في حق الأمم؟ يجب أن نعرف بوضوح لماذا قطعنا ولماذا وصلنا؟

ويجب أن يكون مفهومًا أن العلاقات بين الأمم ليست أحضان الرؤساء وقبلات الوزراء ومقالات الصحفيين وإعلانات المجلات. إن العلاقات أعمق وأخطر. وليست السياسة هي أن نبحث عن نكتة أو عن قفشة أو رسم كاريكاتوري لإضحاك الناس على الوزير الفلاني

والرئيس العلاني.. حتى إذا أردنا أن نضحك، فيجب أن نفكر ما الذي تفعله، مثلًا هذه الحقيقة: وزيرة خارجية أمريكا ووزير دفاعها ومبعوثها وسفيرها في مصر من اليهود. ووزراء آخرون في معظم الحكومات الأوروبية ومستشار ملك المغرب من اليهود. فماذا فعلنا؟ وماذا سنفعل؟ لقد نجح اليهود في أن يزحفوا، ويخططوا ليصلوا إلى هذه المراكز القيادية. فماذا فعل ملايين العرب ومليارات الدولارات في البنوك وبحيرات من البترول والغاز؟!

إن عدد اليهود في العالم 12 مليونًا من بينهم خمسة في إسرائيل فماذا فعل ألف مليون مسلم و 300 مليون عربي؟ وماذا في نيتهم أن يفعلوا من أجل.. لا أعرف من أجل ماذا؟ على الأقل ليكون لهم رأي.. وزن.. قيمة.. ودور في إدارة كوكب الأرض. هذا هو السؤال. وأكثر الناس حكمة وفهمًا وتفاؤلًا يقولون: لنا دور ولنا وزن ولكن ليس لنا رأي واحد!

إرهــاب إلكترونــي..

كان من عادة المرحوم موسى صبري أن يراجع فاتورة الفندق.. وكنا نندهش لذلك. ولكن حدث أن راجع فاتورة أحد الفنادق في طوكيو، فإذا به يكتشف أن بها غلطًا – وأن الغلط يعادل عشرين ينًا – وهو مبلغ تافه. وعاد فراجع الفاتورة مرة وعشر مرات. وكان على حق. وانقلبت إدارة الفندق وجاء المدير العام ورئيس مجلس الإدارة ومندوب شركة الكمبيوتر.. إنها مصيبة كبرى!

واعتذر الفندق واستضاف موسى صبري مجانًا. ولم نفهم سر هذا الفزع. ولكن قيل لنا إن هذه هي المرة الثانية لاكتشاف خطأ في الحساب هذا العام!

وفي مدينة جنيف قابلت بلدياتي الزميل أحمد حرك. إنه يريد شراء بلوفر ودخلنا أحد المحلات. ومد يده ووجد المقاس واللون الذي يريد.. وعند الدفع اكتشفت الموظفة أن البلوفر ليس به المشبك المعدني الذي يجب نزعه قبل الخروج وإلا دقت الأجراس بأن حامل البلوفر سرقه دون أن يدفع الحساب. وانقلب المحل وجاء المدير والعضو المنتدب.. ومهندس إلكتروني ليعرف المكان بالضبط.. وفهمنا أن هذه هي المرة الثالثة في سنتين!

ولم نستوعب بالضبط ما حدث. ولكن عرفنا فيما بعد أنه من الممكن أن يكون هناك أحد.. أو عصابة تقوم بالتخريب.. بقصد

إحداث خسائر لهذه الشركة أو لهذا الفندق.. ولم نستوعب أيضًا المعنى..

ومنذ أيام قامت وكيلة وزارة التأمينات الاجتماعية بمسح برامج إلكترونية.. بالضبط كأنها أحرقت ملفات القضايا أو الميزانية قبل الجرد السنوي – تخريب!

هذه هي طلائع (الإرهاب الإلكتروني).. وذلك بأن يتدخل الإرهابيون بإفساد برامج الطائرات ورحلاتها حول العالم. أو مسح الميزانيات.. أو إلغاء الأوامر الصادرة إلى المطارات ومحطات توليد القوى.. وأكثر من ذلك مسح ذاكرة الأمة أو ذاكرة الدول، وذلك بالتدخل في الشبكة الإلكترونية للمعلومات وإصدار الأوامر بمسحها؛ أي بإعدامها وضياع ألوف الساعات التي أمضاها ألوف الخبراء في حشد هذه المعلومات وتشفيرها أيضًا!

هذا هو التخريب السلبي. هناك تخريب وإرهاب إيجابي.. وذلك بالتدخل في البرامج الإلكترونية وتغيير المعلومات والأرقام، دون أن يدري أحد بذلك..

إن هذا الذي حدث في وزارة التأمينات الاجتماعية إجرام جديد؛ هو محو وإعدام المعلومات.. ولذلك يجب أن تتخذ إجراءات أمنية إلكترونية قبل أن تصبح كل المعلومات نقطًا على شبكة جرداء!

أدمنا
الاعتذار

كأننا تخصصنا في الاعتذار والأسف والندم على ما فعله الصحفيون. فكلما ساءت العلاقات بين مصر ودولة شقيقة، اعتذرت الحكومة. شيء عجيب.

ولماذا لا تطلب الحكومة من الصحف أن تعقل و «تلايمها» فالذي يقبله المصريون من صحافتهم لا يقبله غيرهم من الشعوب الأخرى! إننا اعتدنا على هذا الطعام الملتهب.. واعتدنا على الفضائح: أن نفضح أنفسنا ونبهدل عائلاتنا وأن نمسح الأرض بزعمائنا وأن نوزع الوحل على كل الناس بالعدل. هذه عادة مصرية.. كعادة زيارة القبور والاحتفال بالموتى أربعين يومًا وكل سنة..

فتعذيب الإنسان لنفسه صار خلقًا مصريًّا.. وكنا في الريف نرى (الرفاعية) يضربون أنفسهم بالجنازير والسكاكين حزنًا على مقتل الحسن والحسين – رضي الله عنهما – وكذلك يفعل الشيعة. ولا أنسى يوم رأيت في مدينة ترافندروم عاصمة ولاية كيرلا الهندية طابورًا من الشبان والأطفال قد رسموا العفاريت على وجوههم وراحوا يخيفون الناس. وسألت فقالوا: شيعة: أو الفهم الخاطئ للشيعة في حزنهم على ظلم الحسن والحسين..

وأصبح جلد المصريين بأقلام الصحفيين ممارسة يومية..

وهناك اتفاق غير مكتوب بين الصحافة والحكومة.. الصحف تشتم وتلعن وتبهدل وتفضح.. والحكومة تعتذر.. وهو كما ترى استقلال السلطات: سلطة صاحبة الجلالة والسلطة التنفيذية. والحكومة تعتذر عادة عندما يتحول غضب الدولة الشقيقة إلى طرد المصريين العاملين. لا قبل الطرد ولكن بعد الطرد أو قبل نهايته..

كأننا لا نقوى على عيوب الصحافة والصحفيين.. نحن الذين نقول ذلك. ولكن غيرنا يقول: إن الصحف حكومية، تملكها الدولة. والذي تنشره بعلم الدولة وموافقتها. وقد تعبت – أنا شخصيًا – في إقناع رؤساء وزراء إسرائيل – بيجين وشامير وبيريز – بأن الصحافة حرة وأن الدولة لا تتدخل. ولكنهم لا يصدقون . وعندهم سؤال واحد وجيه هو: كيف تفسر لنا أن الصحف تبدأ معًا في الهجوم، وتتوقف معًا عن الهجوم؟!.. لا يمكن أن يكون ذلك تواردًا في الخواطر.. وإنما هي عصا (المايسترو) طالعة نازلة، والأقلام طالعة نازلة فوق أدمغة الآخرين.

صدفــــة؟!

أن يولد عبد الناصر والسادات في سنة واحدة، وأن يولد معهما المستشار الألماني هيلموت كول والأديب الروسي سو لجنتسين، وهي مصادفة. ولكن بينهم جميعًا ملامح خطوط لا تجعل كلمة المصادفة هي الكلمة المناسبة. ولكن لحكمة تاريخية..

وأن يولد هؤلاء العظماء معًا في سنة 1889: العقاد وطه حسين والمازني وعبد الرحمن الرافعي ويحيى حقي والمؤرخ البريطاني توينبي، والفيلسوف الألماني هيدجر والفيلسوف النمساوي فتنجشتين، والفيلسوف الفرنسي مارسيل والأديب الفرنسي كوكتو والشاعرة الروسية أخا نوفا، والفلكي الأمريكي هابل والزعيمان هتلر ونهرو والممثل شارلي شابلن. إنها مصادفة. ولكن التشابه بين هذه الشخصيات وأدوارها التاريخيــة لا يمكن أن يكون مصادفة..

وأن يولد نابليون- والقائد الذي هزمه في معركة ووترلو- ولنجتون وأن يولد محمد علي الكبير في سنة 1769..

وأن يموت الشاعر العظيم الإنجليزي شكسبير والروائي الإسباني العظيم سرفانتس في سنة 1616.

وإذا نظرنا إلى الأبراج الأوروبية والأبراج الصينية نجد تشابهًا بين أبناء البرج الواحد. ولا أقول تطابقًا. كيف؟ ولماذا؟ وما المعنى؟

إن العرافة الإسرائيلية التي توقعت أن يُغْتال الرئيس السادات سألتها في بيتها في حيفا: كيف عرفت ذلك؟ قالت: أنا قرأت كف الرئيس السادات وهو يخطب..

وزوجة رئيس دولة إسرائيل حاييم هرتسوج، وهي مصرية، عندما قابلتها في أُسْوان وطلبت أن تقرأ كف الرئيس السادات فرفض السادات، وقال خليها تروح لجيهان هي اللي تحب الحاجات دي..

وطلبت مني أن أعطيها يدي، وقالت ما تحقق بالحرف الواحد بعد ذلك بشهور.. إنها رأت عمرو موسى في يدي.. فقد قالت لي: إن جائزة سوف تأتيك من مكان بعيد جدًا. لن تذهب إلى هناك. يقوم بتسلم الجائزة سفيركم.. وكان سفيرنا في الهند عمرو موسى، وهو الذي تسلم الجائزة نيابة عني. وكانت جائزة الإبداع الفكري لدول العالم الثالث سنة 1982 .. كيف؟

ماذا يحدث إذا ولد الناس في يوم واحد.. أو في ساعة واحدة أو في عام واحد؟ نحن لا نعرف ماذا يحدث. ولكن عندما نتأمل هؤلاء الناس وسلوكهم ودورهم، ونعرف أن السبب هو أنهم ولدوا معًا أو عاشوا معًا أو ماتوا معًا.. هل هذا علم؟ إنه فن أو ظن يكاد يقترب من العلم، والله أعلم!

مشكلة

طلعت حماد..

تلقيت هذا الرد السريع الحاسم من سيادة المستشار طلعت حماد وزير شئون مجلس الوزراء والمتابعة يقول: «إن المادة 21 من قانون الطفل الصادر بالقانون رقم 12 لسنة 1996 تنص على أن يكون قيد الطفل الذي عثر عليه حديث الولادة طبقًا للبيانات التي يدلي بها المبلغ وتحت مسئوليته عدا إثبات اسم الوالدين أو أحدهما فيكون بناء على طلب كتابي صريح ممن يرغب منهما.. وتنص المادة 21 من اللائحة التنفيذية لقانون الطفل الصادرة بقرار رئيس مجلس الوزراء رقم 3452 لسنة 1997 على أن يقصد بالطفل المعثور عليه كل طفل حديث الولادة مجهول الوالدين.. وأوجبت على الجهة الصحية ذكر اسم ثلاثي للأب وذكر اسم ثلاثي للأم. كما نصت المادة 23 على أنه إذا أثبت في بيانات التبليغ أن المولود غير شرعي وجب على الجهة الصحية عدم الاعتداد ببياناتهما الواردة بالتبليغ، ويقوم الطبيب المختص باختيار اسم لمن لم يتقدم من الوالدين بإقرار بالبنوة. ومما تقدم يبين أن إثبات بيانات اللقيط في شهادة الميلاد إنما يتبع في شأنه أحكام قانون الطفل ولائحته التنفيذية التي حلت محل الأحكام التي كانت واردة في قانون الأحوال المدنية، وهي تقضي باختيار اسم ثلاثي لكل من الأب والأم، ولا يرد في شهادة الميلاد أي ذكر لكونه مولودًا غير شرعي.

ومع ذلك، فقد صدرت التعليمات إلى رئيس مصلحة الأحوال المدنية بالتنبيه مشددًا على جميع مكاتب السجل المدني على مستوى الجمهورية بالحرص على عدم ذكر أي بيان في شهادات الميلاد يشير إلى كون المولود لقيطًا أو معثورًا عليه أو مجهول النسب أو أي شيء من هذا القبيل».

شكرًا سيادة الوزير على هذه الاستجابة الفورية وعلى رد اعتبار هؤلاء الضحايا المواطنين.. وإنقاذًا لهم من الانقلاب على المجتمع الذي جنى عليهم مرتين: مرة بإلقائهم تحت الكباري وإثبات ذلك في شهادة الميلاد، ومرة بتحويلهم إلى مجرمين..

الموسيقى والأسنان

يقول طبيب الأسنان د. حسن سليم:

أود أن أؤكد لكم على أهمية البرنامج الموسيقي في حياتنا اليومية ليس فقط خلال ساعات الصباح الأولى بل طوال اليوم. فقد كنت أتمنى منذ أن هاجرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية من عشرين عامًا مضت أن أستمتع بموسيقى حلوة عذبة كالتي كنت أستمتع بها هناك، وكم كانت سعادتي حينما عدت هذا العام إلى القاهرة؛ لأبدأ ممارسة مهنتي التي أحبها على نغمات البرنامج الموسيقي كل يوم من الحادية عشرة صباحًا وحتى الثامنة مساء لا أضع أي شريط تسجيل بالعيادة بل أفعل كما كنت أفعل هناك تمامًا وأسعد حينما يسأل أحد مرضاي؛ خاصة من الأجانب لأخبرهم أن هذا برنامج موسيقي مصري؛ وخاصة أنني متخصص في علاج الجذور وأعصاب الأسنان ولك أن تتخيل كم الآلام التي أتعامل معها والشد العصبي لي ولمرضاي يوميًا.. لذلك أشكر لكم مواقفكم الجميلة في الأهرام ولمساتك التي تحاول من خلالها الارتقاء بالذوق العام.

وأقول أنا: وهناك طبيب صديق لا تتوقف عنده الموسيقى، موسيقاه.. وأحيانًا يصاحب الموسيقى بصوته الجميل. وأنت تعرف أن المريض مفتوح الفم ولكنه لا يستطيع أن يقول رأيه في صوت هذا الطبيب

البارع.. ولأنـه بـارع فلو قـال: ريـان يـا فجل. لقلنا لـه جميعًا: الله يـا ست! يـا عظمة على عظمة!

وأذكر أنني قابلت من عشرين عامًا في الخرطوم طبيبًا أمريكيًّا عالميًّا هو د. كارل روزن قال لي إن سبب سلامة وجمال الأسنان في الخرطوم هو اختفاء الضوضاء .. فالضوضاء تـؤدي إلـى تسوس الأسنان.. وتؤدي أيضًا إلى الإصابة بالسكر!

وأحدث نظرية في تفسير موت الأسماك التي يبتلعها الحوت؛ طبعًا ليس الماء في فم الحوت. فالأسماك تعيش في الماء.. وليس سبب ذلك أن الحوت قد سحقها بأسنانه؛ فليست له أسنان. ولكن السبب الحقيقي هو أن صوته كالرعد يخرج من حلقه فيصعق الأسماك. وقد عرفوا ذلك عندما قفزت الأسماك من فمه. لأنـه يفتح فمه حوالي نصف دقيقة.. ثم يطبق فمه ويؤدي تراجع الماء في داخل الفم إلى خروج بعض الأسماك ميتة.. ومن تحليل هذه الأسماك وغيرها من الكائنات وجد العلماء أنها ماتت دون أن يظهر على جسمها أي خدش!

وهنـاك عبـارة شهيـرة للمفكـر الإنجليـزي رسكـن: أعطنـي زمــام الموسيقى وأنا أعطيك شعبًا سليمًا قويًّا..

طاهر الجبلاوي

نحن فقط الذين نعرف من هو طاهر الجبلاوي – نحن الذين نتردد على صالون العقاد. فقد كان الصديق الصدوق للأستاذ العقاد.. وهو أقرب الناس إليه وأطيبهم وأكثرهم إعجابًا. وكان رسوله في المهام الخاصة جدًّا.. كان الذي يحمل رسائل الحب والغرام لمعبودات العقاد.. وكان متوسط القامة أحمر الوجه يرتدي الطربوش دائمًا. وكان العقاد يداعبه كثيرًا ويروي المقالب التي دبرها له.. وأذكر أنني أرسلت إلى بابا شارو خطابًا في ذلك الوقت أطلب إليه أن ينصح الطفل طاهر الجبلاوي بأن يكف عن نظم الشعر وأن يلتفت إلى دروسه. ثم سمعنا نصائح بابا شارو للطفل الجبلاوي!! وضحك الأستاذ وغضب الجبلاوي وهجاني بقصيدة ورفض أن يلقيها إلا في حضوري!

والذي يعرفه الجبلاوي عن خصوصيات العقاد أضعاف ما جاء في كتابه الذي صدر أخيرًا بعنوان «ذكرياتي مع عباس العقاد».. وقد أعد هذه الذكريات ابنه عباس طاهر الجبلاوي.

وفي الكتاب يروي الجبلاوي كيف بدأ علاقته بالأستاذ سنة 1924. وقد استمع العقاد إلى شعر الجبلاوي العربي الفصيح المتين ونصحه أن يقرأ الشعر الأوروبي.. وعرف مع العقاد الأستاذين عبد الرحمن شكري وإبراهيم المازني والمصادفة هي التي جمعت بين ثلاثة

شعراء مختلفين تمامًا.. عبد الرحمن شكري من الإسكندرية والمازني من القاهرة والعقاد من أُسْوَان.

ولي أنا مع عبد الرحمن شكري حكاية. فعبد الرحمن شكري هو أكثر الثلاثة غرابة وتهورًا ويأسًا.. ولذلك اختفى من الحياة العامة أكثر من عشرين عامًا حتى قيل إنه مات.. واكتشفته بمحض المصادفة.. وكتبت عنه فمات. لقد عاش الرجل سرًّا ومات علنًا. ولما أبلغت العقاد نبأ الوفاة سكت العقاد في التليفون وسمعته يبكي.. وارتجل أبياتًا بليغة في صديق العمر!!

ويتابع الأستاذ الجبلاوي مسيرة العقاد وحكى الجبلاوي ما أعرفه عن حياة الفتاة التي تبناها العقاد وانتحرت يوم وفاته.. ولم يشأ الأستاذ الجبلاوي أن يحكي بالاسم والتفصيل عن المرأة في حياة الأستاذ.. هذه عذبته.. وهذه جعلته يكره المرأة.. وهذه جعلته يطلب من الفنان صلاح طاهر أن يرسم لوحة منفرة يراها العقاد كلما ذهب أو نهض من فراشه كل يوم. «الأميرة ديانا وضعت في حمامها صورة كاريكاتورية لعشيقة زوجها وتحتها هذه العبارة التي كتبها الرسام: نرجو من الأمير تشارلز أن يدلني على اسم الشراب السحري الذي يتعاطاه ليجد هذه السيدة الدميمة أجمل من ديانا!»

وحكايات ونوادر وشعر ورسائل شخصية لم يعرفها سوى الأستاذ طاهر الجبلاوي..

هل من مزيد؟

إذا قلت إنـي في حاجة إلى فلوس فليس معنى ذلك أنني على الحديدة.. وإنما معناه: هل من مزيد؟

ولما قلت على (إذاعة الشباب والرياضة) إنها تحتاج إلى كثير من القضايا والاهتمام، لم يكن معنى ذلك أنها بلا قضية أو أن أحدًا من الشباب العامل فيها لايهتم بما يعمل وما يؤديه من نشاط في كل مكان.. وملاحقة لكل هموم الشباب وقضاياهم.. وإنما الدولة أيضًا يجب أن تهتم بهذه الإذاعة التي تتجه إلى نصف سكان مصر ونصف سكانها دون العشرين.

ثم إنني على يقين من أن بلدياتي العزيزة نجوى أبو النجا، وهي الإذاعية الذكية اللامعة قادرة على أن تحقق أحلامها وأحلام تلامذتها من الإذاعيين الشبان..

وربما كانت البرامج التي ابتدعتها لتلتقي بالباحثين عن عمل في أماكن مختلفة من مصر.. هو بداية الاهتمام الذي أنادي به والبقية سوف تأتي..

وهذه الإذاعة مظلومة مع شيء آخر لا دخل لها فيه.. وهو جهاز الشباب والرياضة الذي هو (هيصة) لا يرضى عنها أي أحد من الشباب ولا من دافعي الضرائب.. فلا أحد يعرف لماذا ينفق الجهاز

أكثر من مائة مليون جنيه سنويًا! في إيه؟ إن هذا الجهاز لغز من ألغاز النشاط الشبابي في مصر.. فلا الفلوس موزعة توزيعًا عادلاً، ولا هي خاضعة لأصول وإنما على كيف ومزاج بعض المسئولين.. ليس هذا رأيي ولكن رأي الألوف من الذين يفتقدون التوزيع العادل!

والتنظيم الواعي..

هذا الجهاز هو الذي أساء لسمعة ومعنى (إذاعة الشباب والرياضة)

ولن أمل إلحاحي على السيدة نجوى أبو النجا أن تخطط لإذاعتها بما يتفق مع مشاكل نصف سكان مصر: مشاكل الدراسة والبرامج والمشاكل النفسية والعمالة والبطالة والهجرة إلى أماكن مختلفة من مصر والهجرة خارج مصر أيضًا.. ومشاكل الزواج المبكر.. وكل انحرافات الشباب..

وأرى أن البرامج النفسية والاجتماعية يجب أن يكون نصيبها أكبر من أي شيء آخر. لماذا؟ لأن كبرى مشاكل الشباب أنهم يشعرون أنهم وحدهم وأن أحدًا لا يكلمهم ولا يستمع إليهم.

وليس السخط والتمرد والانعزال والعدوان، إلا بسبب أنهم وحدهم.. ولا يجدون من يقول لهم بلطف وحنان ووعي وأبوة وأمومة..

ومن المؤكد أن في إذاعة الشباب معظم هذه القضايا والمشاكل ولكن لابد من زيادة الجرعة والاستمرار دون ملل..

ما الغرض من انعقاد القمة في القاهرة؟

أن يتفاهم العرب ليكونوا أقوى في مواجهة المشاكل. وليس من الضروري أن تتطابق أفكارهم؛ لأن مصالحهم مختلفة. فليس طبيعيًّا أن تتطابق أفكار أمريكا وبريطانيا، وفرنسا وألمانيا، وأمريكا وإسرائيل، وأمريكا وكل العرب، وروسيا والصين وكوبا.

ويجب أن نتساءل بصراحة وشجاعة هل نريد السلام؟ هل نستمر فيه؟ والجواب: نعم.. يجب أن يكون نعم؛ فلا حياة ولا استقرار ولا تنمية إلا بالسلام.

ما هي القضايا الأكثر أهمية؟

العراق أهم عند الكويت من إسرائيل. وإيران أهم عند البحرين والجزائر من إسرائيل..

وهل نعتبر الدول العربية ابتداء من لبنان حتى موريتانيا خارجة عن (الصف) وعن (النص) العربي إذا فاوضت إسرائيل؟ لن يجرؤ أحد على اتهام أحد بذلك. فمعظم الدول العربية ليست لها مشاكل مع إسرائيل لا أرضية ولا جوية ولا مائية ولا عسكرية!

ثم ما هذه الشوشرة التي أحدثها مجيء نيتانياهو – ومعنى الاسم عطية الله – إلى الحكم بأغلبية أقل من 1٪ من الأصوات!

لا نيتانياهو ولا ألف مثله يستطيعون أن يشقوا العرب صفين أو ثلاثة.. إيه يعني هو؟ إنه شاب أفرزه حزب العواجيز ليتشدد في وجه الخوف الذي أصاب الشعوب اليهودية في إسرائيل.. والسبب أن بيريز قد فتح أبواب التنازلات على الآخر، ولابد من مجيء واحد يضع الترابيس والأقفال على الأبواب، وهذه أوهام الخائفين! فلابد من فتح الأبواب والنوافذ إذا أرادت إسرائيل الحياة في أمان داخلي وسلام خارجي. لابد لأن الشعوب اليهودية في إسرائيل قد تعبت.. تمزقت. كفرت بالصهيونية التي شحنتهم بالخوف والكراهية والرغبة في الهجوم كوسيلة للدفاع. فهم أحوج إلى السلام من كل العرب. وإذا كان لا يزال من رأينا أن نيتانياهو هذا شيء خطير ويستحق الاهتمام الشديد فكيف لم ننشر خطابه في الكنيست ليقرأه الملايين، ونشارك في فهم ما قاله عن حديثه مع الرئيس مبارك والملك حسين. ولم نعرف ما قاله عن السلام ولا الذي قاله عن الإسلام وموقفه من الديانة اليهودية ولا عرفنا أفكاره السخيفة عن المفاوضات فهو يتباهى أنه أول رئيس وزراء يولد بعد قيام دولة إسرائيل – مع أنها صفة يشاركه فيها كل أطفال إسرائيل وفلسطين! ولكن سوف تتغير هذه الصورة شكلاً ولونًا بعد لقاء مبارك ونيتانياهو، ومبارك وكلينتون. فلا بديل عن السلام لإسرائيل ولنا.. سواء عاش نيتانياهو أو اغتالوه هو الآخر!

قـــال
نيتانياهـــو..

من كلام رئيس وزراء إسرائيل الجديد نيتانياهو: إن القدس عاصمة أبدية لإسرائيل. ولا مناقشة ولا معارضة مع أحد في ذلك. انتهى.

ويقول: الجولان لن تعود إلى سوريا، ومع ذلك سوف يتفاوض مع حافظ الأسد..

ويقول أيضًا: إن القوات العسكرية سوف تعود إلى الضفة والقطاع تأمينًا لإسرائيل ومنعًا وردعًا للإرهابيين.

ويقول الناخبون اليهود إنهم لم يقولوا لنيتانياهو: نعم.. وإنما قالوا لعرفات: لا.. وإنهم لم يختاروا نيتانياهو زعيمًا عنيدًا خشنًا، ولكنهم رفضوا بيريز زعيمًا حالمًا ناعمًا.. اختاروا الذي لن يفرط في إسرائيل الكبرى، ورفضوا الذي يريد أن يصفي إسرائيل ليحصل على جائزة نوبل في السلام مرة أخرى..

والروس المهاجرون إلى إسرائيل صار لهم حزب وسبعة مقاعد في الكنيست، فقد استطاع الزعيم الروسي المنشق شارانسكي أن يجمع المهاجرين الروس على رأي.

والرأي أن إسرائيل دولة لليهود الذين هاجروا ويجب أن يهاجروا من كل أرض لتكون إسرائيل يهودية تمامًا.. وعلى العرب الذين يعيشون فيها أن يتركوها فورًا(!)

فالدول العربية كبيرة ويمكن توزيعهم عليها أو حصرهم في قطاع غزة.. ثم إن المهاجرين الروس جياع وعاطلون، وأكثر علمًا وثقافة من غيرهم وأكثر احترامًا للقانون وأن بيريز لو بقي لازداد الروس فقرًا.

وكلام المرشحين في الانتخابات كلام الغاضبين الساخطين. حتى يجلسوا على مقاعد الكنيست أو الوزارة. فإذا حدث الجلوس واستراح كل واحد في مكانه.. فله بعد ذلك كلام آخر..

كذلك كان بيجن وكان رابين وبيريز. وسوف يكون نيتانياهو وكلينتون إن أعيد انتخابه؛ وهي قاعدة معروفة.

والشعوب عندما تشعر بالجوع أو الخوف فإنها تبحث عن معجزة في شكل شاب قوي حليوة. وكلينتون ونيتانياهو هما هذا الطراز من أبناء القرن العشرين. ويسبب الحرص على الأمان والرفاهية، فإنهم يغمضون عيونهم وآذانهم عن الفضائح الجنسية والمالية.. ورئيس وزراء إسرائيل الجديد له فضائح جنسية اعترف بها.. وكلينتون له فضائح لم يشأ أن ينكرها .. ويوم فضحوا موشي ديان وخافوا عليه أن يسقط في الانتخابات قال: لا أظن أن الناس سوف يختارونني الزوج المثالي لهذا العام..

ولم يختاروه لهذا السبب ولكن لأن له تاريخًا في السياسة والحزب.. وإن هذا هو المطلوب.

وكلها أيام وسوف ترى رئيس وزراء إسرائيل الجدع الفتوة أكثر نعومة ورقة؛ فقد باع خشونته وغلظته وفَتْونته في سوق الانتخابات.. بقي أن يعرض السلعة الوحيدة في سوق السياسة: السلام!

أن نصـــون
الحريـــة

الرئيس حسني مبارك ليس في حاجة إلى أن يؤكد لنا أنه مؤمن بحرية الرأي معه أو ضده... وعندي شخصيًا أمثلة كثيرة جدًا لتأكيد هذا المعنى.

وأبناء جيلي هم شهود عدول على هذا العصر. فقد عملنا أيام فاروق ومحمد نجيب وعبد الناصر ومع بداية أيام السادات واكتمالها أيام مبارك. والناس لا يعرفون معنى كلمة الرقيب؛ فهو أي موظف يتلقى تعليمات بحذف وشطب ومنع الصحيفة من الصدور.

ليه؟ التعليمات كده!

وفي نفس الوقت يجب أن نؤكد لأنفسنا أننا شعب واحد في مصر.. والدستور لا يفرق بيننا على أساس من الجنس والدين والطبقة والمهنة. وليس هناك مواطنون من الدرجة الأولى ومواطنون من الدرجة الثانية. والصحفيون مثل جميع المواطنين أمام الدستور والقانون سواء.. إذا سرق الواحد منا فهو لص، وإذا قتل فهو مجرم، وإذا باع بلده فهو خائن، وكلنا سواء في الثواب والعقاب!

وفي مهنة الصحافة كما في كل مهنة أخرى: كذابون وغشاشون وأناس تخجل منهم مصر كلها..

وطبيعة العمل الصحفي تختلف عن طبيعة عمل الجزار والمدرس والمحامي والقاضي والطبيب. ونحن مختلفون، ولذلك فأخطاء المهنة مختلفة. والقانون يعترف بذلك ويحترمنا ونحترمه. ولذلك كانت أخطاؤنا مختلفة. والعقوبات التي نستحقها مختلفة، ولكن لابد من العقوبة مثل كل المواطنين... ونحن لم نطلب أن نكون فوق القانون لأننا لسنا معصومين من الخطأ، ولا أن نظل تحت طائلة العقوبة الأبدية كأننا بلا عقل ولا ضمير!

واختلفنا في النقابة وفي الصحف وفي مجلس الشورى وخارجه. وكان الخلاف بين صناع القوانين- فقهاء الدستور حماة القواعد والأصول- وبيننا نحن عباد الحرية ورموز الديمقراطية الخائفين أيضًا على مصر حكومة وشعبًا.

وعند الاختلاف بين السلطات يتدخل الرئيس - إعمالاً للدستور..

وأقام مجلس الشعب حفلة تكريم للحرية.

وكان تدخل الرئيس تحذيرًا أخيرًا لنا جميعًا. فالحرية يجب أن نصونها. وألا تكون الحرية هي تجريح الأبرياء وابتزاز الشرفاء، وإنما أن يكون لكل إنسان الحق في أن يقول، والحق في أن يدافع عن نفسه. والقانون على رقاب العباد. ولذلك يجب أن نحترم جميعًا القانون والدستور...

فليس في مصر إلا دستور واحد لشعب واحد عظيم الاحترام..

شكرًا للرئيس. ورفقًا بالناس غير الصحفيين أيها الصحفيون، ورفقًا بمصر أيضًا.

الأهـــرام..

استفتاء نشرته صحيفة (ديلي ميل) قام به مجلس السياحة البريطاني عن أهم الأماكن التي يجب أن يراها المواطن قبل أن يموت أو يراها وبعد ذلك يموت.

فاختاروا نيويورك وروما وباريس وهونج كونج وسنغافورة ولاس فيجاس وسان فرانسيسكو وبنكوك واختاروا من المعالم الحاجز المرجاني في أستراليا وشلالات نياجرا وقمة أفرست وقبائل الماساي في كينيا والجيش المصنوع من الطين في الصين. ثم اختاروا ثلاثة معالم في مصر: الأهرام والأقصر وأبو سمبل ومن الأردن مدينة البتراء..

وأذكر عندما صدرت جريدة (الأخبار) سنة 1952 عمل الأخوان مصطفى أمين وعلي أمين على تنشيطها بأشكال مختلفة. وفي مقدمة ما ابتدعاه: تحقيق رغبات وأحلام القراء. فكان مشروع(ليلة القدر).. أي اليوم الذي تتحقق فيه أحلام القراء مثل كرسي له عجلات أو دراجة أو علاج أو مبلغ من المال.

وكان نجاحها ساحقًا. فقد كانت ثقة الناس عظيمة في(الأخبار) وفي الأخوين مصطفى وعلي أمين وبلغت حصيلة التبرعات عشرات الملايين استخدماها في مشروعات إنسانية.

ومن أغرب أحلام الناس: واحدة من السيدة زينب جاء في خطابها: إذا انفتحت لي طاقة القدر فسوف أطلب من الله ولا يكتر على الله أن أرى محل(شيكوريل). بس! والمسافة بين السيدة زينب وهذا المحل لا تحتاج إلى معجزة. ولكن هذه المواطنة لا تستطيع أن تبرح البيت. وإذا استطاعت فكيف الوصول إلى هذا المكان الخرافي.. فهو بعيد عنها مثل هذه المدن والمعالم التاريخية التي جاءت في الاستفتاء..

ولابد أننا جميعًا كانت لنا أحلام رأيناها مستحيلة. فقد كنت أحلم وأنا صغير أن أرى مدينة الإسكندرية. فقد انتقلت من المنصورة إلى القاهرة. ثم تحقق الحلم عندما رأيت مدينة الإسكندرية لأول مرة من الطائرة وأنا في طريقي إلى استوكهلم؟!

وقد أبدى مجلس السياحة البريطانية حزنه الشديد على أن المواطنين لا يحلمون برؤية أي مكان في بلادهم.. بينما يتمنون أن يروا خمسة معالم في أمريكا وثلاثة في مصر!

انضبــــاط
عمــــان

من مسقط (سلطنة عمان)

تريد أن تريح عينيك وأذنيك وأنفك، فلا تتردد في السفر إلى سلطنة عمان. لا هواؤهم مثل هوائنا ولا أرضهم.. فلا تلوث في الصوت والضوء. وكما هي العادة فأول ما يلفت نظر المصريين هو الشوارع النظيفة الناعمة.. والانضباط في الشارع العماني، وصرامة القوانين.

فإذا غلطت طلع لك من تحت الأرض عسكري في سيارة. ولابد أن تقف وتبرز أوراقك. والعقاب للغلطان مؤكد..

وفي الفنادق يقول لك السفرجي الهندي بمنتهى الحزم: لا طعام الآن. أو ليس في هذا المكان أو في غرفتك. وهو قرار نهائي يلتزم به الجميع..

ومن المعروف في الدنيا كلها أن الصحفيين هم أناس عليهم عفريت: عصبيون متوترون مستعجلون. أكثرهم عنده سكر وأسنانه مسوسة.

... أما وجع القلب وتقلص المعدة والأمعاء فصفات مشتركة بين الجميع. إلا في سلطنة عمان. فكل الصحفيين الذين قابلتهم أعصابهم في ثلاجة. منتهى الهدوء والرزانة. وليسوا مستعجلين. فإذا كان هذا هو حال مجانين الإعلام في كل الدنيا فكيف الشعب العماني؟!

ولم أر عصبيين في مسقط إلا المصريين: فالصحفي المشهور مجدي العفيفي ليس عليه عفريت واحد وإنما عليه أسياد.. ثم د. محمود شعبان ذهبت إليه في ساعة متأخرة من الليل فقد اصطدم رأسي بديكور المسرح وسال دمي. وفزعت أطلب حقنة تيتانوس ومضادات حيوية: مراهم وحبوبًا. ود. شعبان مصري ناجح ومعذور أن تركبه كل عفاريت مدينتي السحر الأسود في السلطنة: نزوة وياهل..

أما الثالث فهو مستشارنا الإعلامي عبد الرحمن هلال وكان قبل ذلك في رياسة الجمهورية. وكان أحد الأسماء المقررة علينا قبل سفريات رئيس الجمهورية.. وليس عليه عفريت ولكنه قد ركب محركين في ذراعيه متفانيًا في خدمة الصحفيين المصريين والأجانب!

بيجيـــن
والشعـــراوي

أرسل السيد مناحم بيجين خطابًا طويلًا إلى الرئيس السادات يشكو من أحاديث الشيخ متولي الشعراوي. وجاء في إحدى الرسائل أنه يهاجم اليهود لا في إسرائيل، وإنما في كل العالم، مما يؤدي إلى نشر كراهية اليهود، وتهديد السلام بين البلدين. وفي رسالة أخرى تضايق منها الرئيس السادات. فكلام بيجين معناه أنه قد ضاق بما يقوله الشعراوي، ولابد أن يجد الرئيس حلًّا أو حدًّا لذلك. وطلب مني الرئيس السادات أن أشاهد الأحاديث الأخيرة للشيخ الشعراوي. وعدت للرئيس أبلغه أنها عادية، فالشعراوي أحد علماء البلاغة القرآنية، ولم يذهب بعيدًا في تفسير القرآن.

وتلقيت من د. بطرس غالي وزير الدولة للشئون الخارجية نص الخطاب الذي ألقاه وزير التعليم الإسرائيلي.. وفي الخطاب يقول: إنه لن يتحقق السلام إلا إذا حذفنا من القرآن الكريم الآيات التي تتهجم على اليهود. فأرسلني الرئيس السادات لكي أقابل بيجين وأقول له: إما ان تتوقف عن اتهاماتك للشعراوي، وإما أن ننشر خطاب وزير التعليم على أوسع نطاق ونوقظ الكراهية النائمة عند ملايين المسلمين! وقرر بيجين أن يكف عن مهاجمة الشيخ الشعراوي، وأن يخرس وزير التعليم في إسرائيل.

ومرة أخرى فوجئنا في مصر بكتب مطبوعة في إسرائيل لمذاهب إسلامية منحرفة. فأوفدني الرئيس مبارك لمقابلة رئيس الدولة إسحاق نافون. وقرأت عليه الرسالة، وذكرت أسماء الكتب التي فوجئنا بتوزيعها في القاهرة. ولا نعرف كيف دخلت، وكيف انتشرت. فأعلن الرئيس نافون أسفه، وأنه لا يعرف شيئًا عن هذه الكتب. وركبت سيارة واتجهت إلى الشارع الذي توجد به المطبعة التي نشرت هذه الكتب.

فلا وجدت الشارع ولا المطبعة في مدينة حيفا. وإذا كان أحد يهاجم دين أحد ففي إسرائيل، ولكننا لا نطبع ولا ننشر أي شيء يعادي السامية لسبب بسيط جدًا، وهو أن أنبياءنا جميعًا ساميون: موسى، وعيسى، ومحمد. وكذلك أصحاب الرسالات الإصلاحية: بوذا، وكونفوشيوس، وزرادشت. أما أعداء السامية فهم الخواجات الأوروبيون الذين يحكمون إسرائيل، ويقتلون الساميين أبناء فلسطين!

الأطبــاق
الطائــــرة

لن تنتهي هذه الحكايات إلا إذا عرفنا الحقيقة.. ويبدو أننا لن نعرفها قريبًا. فقد أفرجت أخيرًا وزارة الدفاع البريطانية عن ملف (الأطباق الطائرة)

... وكيف أن الذين رأوا هذه الأطباق لأول مرة كانوا عددًا من الطيارين.

رأوها بوضوح ولم تكن أطباقًا مستديرة. وإنما كانت مثلثة الشكل باهرة الألوان تضيء كل شيء وتبرق وتتوارى بين أشجار الغابات وبسرعة هائلة.. ورأوها عادت مرة ثانية وثالثة. ولم تفلح كاميرات الطيارين الأمريكان في التقاط صور لها.. أو التقطوا لها صورًا ولكن عند تحميضها كانت بيضاء ولا أثر فيها لهذه الأجسام...

وجاء في ملف الأطباق الطائرة أيضًا أن عددًا من العلماء ذهبوا إلى حيث ظهرت وتوارت فوجدوا أثرًا لإشعاعات قوية. كما وجدوا تجويفات في الأرض ذات إشعاع تهرب منه الحيوانات والطيور.

وليس الآن مكان لمثل هذا السؤال: ومن أين جاءت؟ وسؤال آخر: إذا كان هناك مكان آخر فأين هو؟.. إن أقرب مكان لنا يمكن أن تكون به حياة يبعد عنا ألوف السنين الضوئية.. أي بلايين ملايين الكيلومترات، فكم من الوقت تحتاجه هذه الأطباق لتنتقل إلى كوكب

الأرض.. ثم ما هو الشيء الخطير في كوكبنا الذي جاءت ترصده هذه الأطباق.. وما حاجة الذين بعثوا بها.. ما الذي عندنا وليس عندهم.. وما هو الشيء الجوهري جدًّا جدًّا الذي يجعلها تهبط علينا للحظات ثم تختفي..ماذا أخذت؟ ماذا تركت؟ ولماذا؟ لا جواب حتى الآن! وظاهرة الأطباق الطائرة أو كرات النار التي تظهر في الأفق لحظات ثم تختفي قديمة جـدًّا.. فقد ظهرت مثل هذه الكرات في سماء مدينة (منف) وسجلها المؤرخون. ولم نعرف معناها إلا عندما عاودت الظهور في العصر الحديث.. ولم يجرؤ أحد على أن يصدقها أو يكذبها.. واحد فقط كانت عنده الشجاعة ووصفها بالخرافة عندما ظهرت في موسكو: إنه الرئيس جورباتشوف.. فهل كان على حق؟!

اللعب جادا!

ونحن غير جادين في اللعب أيضًا!

ماذا يقول النقاد الرياضيون عن اللعب والذين يلعبون. إذا كان أحد قد أفسد لعبة كرة القدم فهم الذين يعلقون عليها والذين يحللون المباريات.. لأنهم يبالغون كثيرًا جدًا في قيمة وقدرات، وأهداف اللاعبين. فهم يعطون اللاعب الناشئ.. العيل.. ألقابًا ضخمة: البطل.. الساحر.. أبو رجل ذهب.. الفنان والشاعر والمهندس هذا إذا حاول أو حقق هدفًا. وهذا اللاعب قبلها بأيام كان يلعب في الحارة. فنشرت له الصحف الصور، وتابعه التليفزيون وانهالت عليه الفلوس. وإن لم يكن هذا اللاعب قد فسد من مباراة واحدة، فمن المؤكد أنه سوف يفسد بعد ذلك بمباراتين أو ثلاث..

والكرة إجوال – عبارة لها طعم الحكمة والقانون قد قالها أستاذ المعلقين الرياضيين الكابتن محمد لطيف. وهي عبارة غير صحيحة. فهناك لعب وخطط تؤدي إلى هذا الجول. وإنما أحد اللاعبين كان أقرب إلى المرمى، وكان سريع الخاطر قد سدد الكرة.. جول.. وجول.. جوووول إلى آخر صرخات المعلق الرياضي. ولأن الكرة إجوال فهدف كل لاعب هو أن يأتي بالجول وحده لا شريك له. وفي كثير من الأحوال يفشل في أن يخترق اللاعبين، وينفرد بالمرمى، ولكن الكرة

إجـوال. فـإذا أتـى بـالهدف فهذه كـرة، وهو بطل الأبطال. أمـا بقية اللاعبين فهم ولا حاجة!

وظهور بعض اللاعبين العيال في صورة نابيةٍ ليس سببها أنهم أصلًا قليلو الأدب، وإنما وجدوا تشجيعًا على ذلك، ووجدوا من يفسر ويبرر قلة أدبهم وتطاولهم على اللاعبين والحكام. وهـذا التبرير يجيء من النقاد والمذيعين لأنه (حماس كـروي) قد أخرجهم عن الأدب كما يحدث في بلاد كثيرة. إذن قلة الأدب والسفالة والانحطاط مشروعة دوليًّا. إنه ليس مشروعًا، بل هو ضد شرائع الكرة والآداب العامة.. وإنما هي ظاهرة غضب وحماس وصراع لأن الكرة إجوال.. وإن كل ما يحدث في الملعب لا قيمة له بلا أهـداف.. ولذلك كانت الركلات الترجيحية هي الكرة.. لأنها كلها أهداف!

والـذي يحدث في النقد الرياضي يحدث أيضًا في النقد الأدبي والنقد السياسي والنقد الاقتصادي. كل شيء بحماس وأكثره غلط.. وموازين كرة القدم هي نفسها موازين الإبداع والإصلاح.. وإذا كان هناك خلل في موازين الكرة فـالخلل في موازين النقد والتحليل والتعليق في الأدب والسياسة والاقتصاد.. وكما يفسد اللاعبون يفسد الناس الجادون أيضًا.. فـإذا كانت الكرة إجـوالًا. فكذلك السياسة والاقتصاد والأدب: فلوس وبس!

نعيش
في خوف

من صفات الإنسان: الخوف.. فنحن الذين نزرع الشوك ونمشي عليه مع كل قرن جديد أو ألفية جديدة.. ففي نهاية الألفية الأولى اكتسح العالم شعور بالرعب لأن ضوءًا باهرًا مرق في ظلام السماء. واخترعوا عنه حكايات وخرافات... لم يكن ذلك الضوء إلا مرور المذنب هيلي.. وعاد الخوف أقوى وأعنف مع نهاية الألفية الثانية.. وإذا كنا في القرن التاسع عشر نخاف من البارود فإننا في القرن العشرين نخاف من الانفجار النووي ثم أضفنا إلى ذلك الإرهاب البيئي بسبب الغازات المنبعثة من المصانع والسيارات والثلاجات إلى طبقة الأوزون فتمزقه لتنفذ إلينا أشعة الموت.. ثم ارتفاع الحرارة الذي يؤدي إلى الجفاف وإلى الفيضانات والأعاصير..

أما في الألفية الثالثة فعندنا خوف جديد هو: الخوف الكوني. فالعلماء لا يستبعدون أن تفلت قطعة حجر في حجم القاهرة أو جزيرة الزمالك وترتطم بعزم ما فيها بالأرض. فتحرق كل الحياة. وقد حدث من 65 مليون سنة أن انقض نيزك أو شهاب على الأرض فقتل كل الديناصورات التي سيطرت على الأرض ستين مليون سنة. تاركة أخاديد في أماكن متعددة من أمريكا.. ولأن حول الأرض ما لا نهاية له من الأحجار الضالة ولأن في الكون مخلفات الانفجارات

العظمى تحوم في مدارات بعيدة – لا يستبعد العلماء أن تتوجه مثل هذه النفايات الكونية إلى الأرض ذلك الكوكب الضئيل جدًّا فتقضي عليه. فما الحل؟ الحل هو أن يرصد العلماء مسار هذه النيازك والشهب كما يرصدون حركة الرياح والموج غدًا وبعد غد. ثم يبحث العلماء كيف نتفادى هذه الكارثة. وقد تكونت لجان رفيعة المستوى في أمريكا وبريطانيا لدراسة هذه المصيبة التي من الممكن أن تقع في أي وقت وفي سنة 1996 ارتعدت الكرة الأرضية لأن النيزك (جيم ألفا 1) اخترق المجموعة الشمسية في مدار يبعد عن الأرض 600 ألف كيلو متر.

وعلى الرغم من أن العلماء أكدوا لنا أن احتمال ارتطامه بالأرض بعيد فإن القلق قد زلزل سكان هذا الكوكب..

ولا أحد ينسى ما حدث سنة 1908 في سيبريا عندما أضيئت السماء شهورًا واحترقت الغابات فصار الجليد فيضانات مهلكة.. وقيل في تفسيرها: إنه نيزك أو شهاب.. وقيل بل (ثقب أسود)

أي كرة شديدة الكثافة – اخترقت الكرة الأرضية ونفدت من الناحية الأخرى عائدة إلى الفضاء الخارجي. ولم تترك تجويفًا في سيبريا.. وإنما تركت لغزًا وقلقًا وخوفًا.

خناقـــة
فـي داخلـي!

يطول الليل على المزكوم وهو يبحث عن ثقب في الكون يدخل منه الهواء إلى صدره. ولا يجده.. وقد سألت صديقي وزير الصحة د.إسماعيل سلام إن كان من الضروري أن آخذ مصلًا مصريًّا قبل سفري إلى ألمانيا وقد أخذت قبل ذلك مصلًا في فرنسا؛ وكان من رأيه أنه لا داعي. ولما سافرت إلى ألمانيا سألت الصيدلي المصري الكبير د. حافظ الجمال بمدينة هانوفر إن كان المصل ضروريًّا فقال لي: لا داعي.. ولكن الخوف دفعني إلى أن أتسلل إلى إحدى الصيدليات وأكشف ذراعي وآخذ المصل. والحمد لله لم أصب بأي زكام حتى ذهبت إلى المعرض الدولي للكتاب في حراسة مكثفة من الملابس الصوفية والكوفية على الرقبة وعلى الأنف.. مع العسل بالليمون.

وفجأة أحسست بمعركة عنيفة في داخلي بين المصل الفرنسي والمصل الألماني وكنت الضحية المسجاة على الفراش أعتذر عن اجتماع المجلس الأعلى للصحافة وعن ندوة في معرض الكتاب وعن عشاء مع الصديق السفير الأمريكي السابق فرانك وزنر وحرمه في بيت المستشارة مارسيل وهبي. وعن برنامج على الهواء في القناة الثالثة مع المحاور المجتهد عاصم بكري. ولزمت الفراش تمامًا.. لا حس ولا خبر ولا صوت ولا نفس. مع إصرار بعض الأصدقاء على

أن يكلموني ليتأكدوا من أن الزكام والسعال والرشح قد تمكن مني تمامًا ولست موسوسًا واهمًا مبالغًا..

أما أعراض هذه الإنفلونزا موديل 2000 فهي التهاب في الحلق وسعال وليس من الضروري أن يصاحبها زكام أو رشح. ولكن من المؤكد أنها تختار أضعف مكان في هيكلك العظمي وتدقه دقًا عنيفًا. فإذا وقفت لابد أن تبذل جهدًا مضاعفًا لكي تصلب عودك.. وقد سمعت من المصابين أنها تطحن المفاصل والعمود الفقري مع ارتفاع مفاجئ في درجة الحرارة.. أما الصفة المشتركة بيننا جميعًا فهي أن ننكمش في البيت ما بين أربعة أيام على أحسن الحالات وعشرة. لماذا؟ اسألوا فيروس الإنفلونزا.. وهل هو أسترالي أو آسيوي أو أوروبي.

إن أكبر دليل على العولمة هي هذه الفيروسات فالسماوات مثل أبواب الطائرات والموانئ مفتوحة للجميع وعلى الجميع.. ولكن العقاقير الموجودة في مصر قادرة على تخفيف شراستها فقط. أما الإصابة بالإنفلونزا فلا مفر منها ولا مهرب ولا ملجأ ولا حيلة. ولذلك أدركت صدق ما قاله د. إسماعيل سلام من أنه لا داعي لتعاطي أي مصل لأن الإنفلونزا قادمة لا ريب فيها لكل من يتعرض للزحام أو للتفاوت في درجات الحرارة أو يأخذ مصلًا من أي بلد!

هنا ولد
الكون

الكتابة عن الفلك أسهل. فقد أقيم مرصدان توءم عملاقان في جزر هاواي وفي شيلي. ومرآة كل منهما قطرها ثمانية أمتار ونصف المتر. وهذان المرصدان يعملان معًا في إكمال الصورة التي تجيء من الفضاء الخارجي.

ولدينا الآن مرصد مداري اسمه هابل يدور عاليًا حول الأرض، وقد صحح لنا الكثير من المعلومات عن نشأة الكون. ولكن هذين المرصدين يريان أعمق وأوضح وأدق عشر مرات من مرصد هابل الجبار..

فما الذي يشغل بال العلماء أخيرًا؟ لهم شاغل واحد قديم يتجدد كلما ظهرت مرايا أكبر وأدق. فهذان المرصدان يجمعان الأشعة المقبلة إلينا من أعماق الكون على مسافة قدرها عشرة آلاف مليون سنة ضوئية، أي ما يعادل عشرة آلاف مليون× 365 يومًا × 24 ساعة × 60 دقيقة × 60 ثانية × 350 ألف كيلو متر= كذا وعشرون وأمامها 36 صفرًا من الأميال.. وهناك بعيدًا لا يوجد إلا تراب ودخان ونار وصواعق وعواصف مغناطيسية، وجليد وبالوعات كونية تلتهم النجوم التي تكونت والتي سوف تتكون.. وفي هذه المساحة الهائلة تولد وتدفن نجوم بألوف الملايين.. فما المعنى؟

المعنى: أن هناك مصنع الكون.. أو كيف صنع الله الكون ومن أية مادة وفي أية حرارة وضغوط.. والمعنى أيضًا: أن من هذه الجهنم البعيدة تتطاير أحجار ليس لها عدد.. بعض هذه الأحجار يدور ويدوخ ألوف السنين. وبعضها يسقط على كوكب الأرض. فما المعنى؟ إننا من حين إلى آخر نفاجأ بميكروبات وجراثيم وأمراض جديدة لم تكن معروفة من قبل. فما المعنى؟ المعنى أن هذه الميكروبات نامت في قلب هذه الأحجار ألوف السنين أو ملايين السنين. ولكن هذه الميكروبات لم تمت. وإنما قامت وتعرضت في أثناء النوم لكل أنواع الضغوط من برودة وحرارة ومغناطيسية وكهربية، ومع ذلك لم تمت. فلما أتيح لها إمكان الحياة قفزت كالعفاريت من أكفانها ونشطت وانتعشت وتكاثرت لتنهش الإنسان والحيوان والنبات.

فما المعنى؟ هو أننا نريد أن نعرف كيف ماتت ثم عاشت.. أو كيف عاشت كأنها ماتت. وهي لم تمت. وكيف نقضي عليها بأن نجردها من أدوات الحياة. وعندما نستطيع ذلك بعض الوقت نفاجأ بأن هذه الكائنات الصغيرة جددت نفسها وكيفت نفسها ووفقت أوضاعها وقاومتنا وعاشت.. ولا نكاد نفرغ من ذلك حتى نفاجأ بجراثيم وميكروبات أخرى ألقى بها الفضاء الخارجي فنواجه موتًا جديدًا. ولا يزال الإنسان بعقله أقوى وبجسمه أضعف.. وتظل هذه الكائنات الضئيلة هي الأقوى والأبقى!

الضوضــاء
علاجهـا الضوضــاء!

أنت متوتر أحيانًا. وأنا أيضًا. ونحن نحاول أن نخرج من هذه المحنة اليومية.. وهناك حل.. والحل هو كتاب للسيدة سوزان أوليفيه عنوانه: (أهم 500 نصيحة للقضاء على التوتر) من منشورات دار سيكو للكتب. وقراءة هذا الكتاب الطويل تضاعف توترك أيضًا. ولذلك سوف أختار لك أسهل ما رأت المؤلفة المعروفة.

أول نصيحة يمكن أن تسمعها من أطباء كثيرين ولأسباب مختلفة:

امش. اخرج من البيت بلا هدف. وامش في أي اتجاه ولأي وقت.

والنصيحة الثانية: اعمل أي شيء غير مألوف لك أو للذين حولك. إن كنت لم تدخل المطبخ ادخله. إن كنت لا تقف في البلكونة قف. إن كنت لم تغسل مناديلك اغسلها.والنصيحة الثالثة: إذا كان من عادتك كلما وجدت نفسك وحدك مددت يدك إلى كتاب أو صحيفة أو الراديو أو التليفزيون: فلا تفعل. اجلس صامتًا تمامًا. أغمض عينيك ولا تفكر في أي شيء.. وإنما تخيل أنك تنظر إلى حائط رمادي. ولا تنتهزها فرصة وتنام. وإنما عشر دقائق كلما أتيحت لك فرصة!

النصيحة الرابعة: إذا كنت لا تشرب القهوة أو الشاي اشرب يا أخي. لن يحدث لك أي شيء.. إنه مجرد إحساسك بأنه قد تغير طعم ريقك.. اعدل عن إحدى عاداتك ولا تتردد.

النصيحة الخامسة: إذا كنت تشرب الشاي أو القهوة كثيرًا فحاول أن تنقص الكميات. وإذا كانت سادة أضف إليها بعض السكر.

النصيحة السادسة: وهي تتعلق بمادة اسمها (أندروفين) ويسمونها كيمياء الفرفشة. وهذه الكيمياء تنشط في الجسم إذا أنت ابتسمت أو ضحكت. وهذه المادة تقلل التوتر. وتجعل أشياء كثيرة تنساب منك ومن بين أصابعك.

النصيحة السابعة: إذا كنت لا تكثر من البروتينات في طعامك فأضفها إلى طعامك: اللحم والسمك والعدس والفول والزبادي والجبن.

النصيحة الثامنة: العب مع الأطفال بشرط أن ترى الدنيا كما يرونها.. لا تقم بدور الأب أو الأم أو المدرسة.. وإنما كن طفلًا أصغر من هؤلاء الأطفال.

النصيحة التاسعة: إذا كان من عاداتك أن تمتنع عن الطعام إذا كنت متوترًا، فجرب أن تأكل..

النصيحة العاشرة: إذا كنت تتضايق من الضوضاء فعليك أن تلقي بنفسك وسطها واستسلم. ففيها علاج لأعصابك المشدودة ونظرتك الضيقة وروحك التي وصلت إلى أنفك. جرب!

الضبط
والربط أولًا!

لما سألوا أحد العلماء عن سر عبقرية الشعب الألماني قال: لأننا نمر على الثكنات قبل أن ندخل الجامعة!

أي نتعلم الضبط والربط والنظام والعمل الجماعي، قبل أن نذهب إلى الجامعة التي يجب أن تكون مثل الثكنات أيضًا...

وفي اللغة الألمانية كلمة اسمها (داس بفلخت) أي (الواجب) ،ولكن في الأخلاق الألمانية نجد أن (الواجب) يرقى إلى درجة الألوهية، فما هو واجب هو مقدس!

كنا في اليابان مع الرئيس مبارك وزرنا أحد المصانع، وفي إحدى القاعات الكبرى كانت البنات يربطن الأجهزة الدقيقة بأصابعهن الدقيقة أيضًا...

فأنت إذا رأيت البنات وهن يعملن، سوف تجد من الصعب عليك أن تعرف أيهما الآلة الدقيقة: الآلة التي يجمعن أجزاءها، أو الفتيات اللاتي يربطن أجزاء هذه الآلة!!

وقد لاحظت أن إحدى العاملات قد وضعت على ذراعها اليسرى شريطًا أحمر، ولم يدهشني الشريط، وإنما أدهشني أن تكون هذه هي رئيسة العمال، وأن يكون وجهها للحائط، فسألت المرافق لنا فقال: إنها ليست كابتن الفريق، وإنما لها مشكلة وأرادت بهذا الشريط أن تلفت نظر أحد رجال الإدارة!

ثم ذهب إليها وعاد، وقد نزعت الشريط.

وقال لي: فعلًا لها مشكلة وأنا حددت لها موعدًا مع الإدارة.

ولذلك رفعت الشريط!

وعندنا حين تكون للعامل مشكلة مع الإدارة، فإنه يترك عمله ويتردد على كل المكاتب ينشئ رأيًا عامًّا ضد الإدارة، وحتى لو لم يبلغ شكواه لأحد.

المهم أنه يجدها فرصة للبلطجة والهروب من العمل.. من أداء الواجب.. من الالتزام الأخلاقي بأن يعمل، وأن يشكو بعد ذلك!

فأنت لا تستطيع أن تكون ألمانيًا أو يابانيًا أو صينيًا لمجرد أنك تقلده أو تستهلك مصنوعات هذه الدول، أو حتى تتعلم منهم، لأنهم يعملون وَفْقًا لعقيدة كأنها الدين.. يعملون لأنه من الضروري أن يعملوا، ويتقنون عملهم لأنه من الضروري أيضًا أن يتفوقوا، وأن يتفوقوا خوفًا من المنافسة الجبارة التي تهدد البليد والخامل بالموت في الأسواق العالمية..

فلا نهاية للإبداع لأنه لا نهاية للمنافسة.

فإما أن يبدع الياباني والألماني والصيني، وإما أن يموت.

وما دامت هذه القاعدة الذهبية ليست شعارنا اليومي: إفطارنا وغداءنا وعشاءنا وأحلامنا، فمن الصعب أن نكون مثلهم.. لأنه لابد أن يكون الإيمان أعمق والتضحية أشد، والصبر أطول والعلم قبل العمل... وتاريخ هذه الشعوب كتاب مفتوح.. يبدأ بأن يكون الإنسان جادًّا صبورًا متفوقًا.. والباقي يجيء من تلقاء نفسه بعد ذلك!

تتفــــرجُ
ولا تشتــــري!

لماذا تجد المرأة متعة مؤكدة في ذهابها إلى المحلات تتفرج ولا تشتري، لأن المرأة تجد في التردد على المحلات نوعًا من التغيير ونزهة فيها فرفشة.

وفي المحلات التجارية نجد البائع والبائعة في حالة استعداد تام بالكلمة الحلوة واللفتة الذكية. وفي ذلك تعويض لها عن الذي لا تجده في البيت، ولا تسمعه من الزوج، الذي اعتاد على كل ما فيها وما لديها.. وكثيرًا ما كانت كلمات الإطراء التي يوجهها البائع للزبونة تشجيعًا كبيرًا لها على أن تجيء. وأن تختاره دون غيره من البائعين والبائعات. بل إن بعض السيدات يتنقلن وراء هذا البائع من دكان إلى دكان، لأنه مريح، ولأنه يعرف ماذا تريد، ويلف كل ذلك في عبارات جميلة ومجاملات رقيقة.

وأحسن تسلية للمرأة المنعزلة هي أن تذهب إلى المحلات، وتنتقل من واحد لآخر.. ومن شارع إلى شارع.. فهذا خروج من البيت وخروج من جلدها وخروج من الحياة المملة والرتابة الزوجية.

وفي عمليات الخروج والدخول والانتقال وتقليب البضائع تأكيد لذاتها.. وحريتها في اختيار ما يعجبها.. وأن يكون لها رأي في هذا وفي ذاك.. وأن تتجمع لديها حكايات وروايات ومغامرات، وكيف

أنها اشترت أرخص وأحسن وكيف أن البائعة الفلانية قد أتت لها بشيء لم تعطه لأحد من قبلها ولن تعطيه لأحد بعدها.

وتجد المرأة في عملية (الفصال) أكبر لذة.. فهي تطلب من البائع أن يأتي بهذا، وبلاش هذا وتطلب منه ذاك وبلاش ذاك، وتطلب منه ما سبق أن عرضه عليها.. ويطلع البائع سلمًا ويهبط سلمًا، ثم في النهاية لا تشتري. وتشكره أو لا تشكره. والبائع قد تدرب على طول البال وعلى الصبر مع المرأة التي في الدكان، وليست التي في البيت! والمرأة تجد لذة في أن تعذب البائع لأنها ليست قادرة على أن تفعل ذلك في البيت - مع صاحب الفلوس التي تقوم بفرتكتها!

وقد لاحظ خبراء التسويق الإنجليز أن المرأة قد استهلكت في الشهور الماضية كميات من أحمر الشفاه وأدوات التجميل أضعاف الذي استهلكته في العام الماضي. والسبب هو انحطاط معنوياتها. ورغبتها في أن تبدو أحسن. بينما المرأة الأمريكية قد هجرت المحلات، وتجاهلت كل وسائل التجميل. لماذا؟ لأن أمريكا لم تتعايش مع الإرهاب والعنف الذي تعايشت معه المرأة الإنجليزية.. فقد اعتادت على قنابل الجيش الأيرلندي عشرين عامًا.

والمرأة لأنها أكبر قوة استهلاكية في التاريخ سوف تكون أكبر ضحية لخبراء البيع والشراء والترويج والإطراء.. والكذب عليها!

الكتب أولًا وأخيرًا..

عندي تجربة. ولا يقلل من قيمتها أنني كررتها كثيرًا. ولكن لا تزال لها ضرورة حيوية. وهي أنك لن تستفيد كثيرًا من الصحف والمجلات.. هات الصفحة الأولى واقلب على الأخيرة.. ثم الصفحة قبل الأخيرة وتوقف عند صفحات الرياضة. سؤال: هل أضفت شيئًا إلى ما عندك؟ الجواب: قليل!

ولكن مد يدك إلى كتاب. احتضنه بيديك.. ارفعه أمامك كأنه باقة ورد. تفرغ له.. وابدأ.. فإذا زهقت. اقفله لتعود إليه...

وليس المهم أن تقرأ كثيرًا ولا أن تقرأ كتبًا كثيرة. ولكن المهم أن تستفيد من الذي تقرأ. والتاريخ يدين للذين قرءوا وتحركت عزائمهم وأحلامهم لما قرءوا.. ربما سطر واحد في كتاب.. ربما كتاب واحد من ألف. هو الذي دفعهم ليغيروا أنفسهم وليغيروا الشعب حولهم. فليس الألف كتاب وإنما الألف صفحة..أو الألف سطر.. أو هو سطر من ألف قد غير وجه التاريخ.

أزعجني بعض الذين سألتهم ما الذي قرءوه في الصيف. أكثرهم لم يفتح كتابًا. أقلهم فتح كتبًا للتسلية.. أقل القليل قرأ كتبًا عن مصر ماضيها وحاضرها. والذين قرءوا تاريخ مصر هم الذين شغلوني. فقد انتهوا إلى نتيجة واحدة. والنتيجة على شكل سؤال: ماذا جرى

لمصر؟ لماذا انحط كل شيء.. وسلوكيات كانت أسرع إلى السقوط من عماراتها.

لقد جاء في مذكرات بربارا بوش زوجة الرئيس بوش الأكبر فيما روت للسيدة سوزان مبارك أنها كانت في زيارة أسرة مصرية عندما فوجئت بصوت غريب قوي. خرجت لترى ووجدت عجبًا. أن عمارة قد سقطت من تحت.. أي أن الأساس هو الذي سقط.. فانهارت العمارة كلها. بينما العمارات في بلدها تسقط من فوق ـ برجا نيويورك سقطا من فوق وبقي الأساس متينًا!

فهل هذا ما يحدث وحدث في مصر، وأدركه الذين قرءوا تاريخ مصر والذين يعايشونها ويسهمون في صنع تاريخها اليوم؟ إن الأساس العلمي والأخلاقي هو الذي سقط من تحتنا فانهرنا فوقه؟ هل هذا الذي يتكرر كل يوم؟ نعم. والحل ليس في الصحف وإنما في الكتب. وليس في كل الكتب وإنما في بعضها.. وهذا هو الطريق لكي تكسب المليون فكرة. ولست في حاجة إلى صديق أو رأي الجمهور.. فهذا جواب نهائي!

خمس مدارس!

لا تسألني كيف حدث؟ فليس عندي جواب لا اليوم ولا غدًا! هناك خمس مدارس في علاج ساقك إذا أوجعتك. وأنا أحدثك عن تجربة. هناك مدرسة (التدليك).. أي تحريك المفاصل وتليين العضلات باستخدام اليد أو باستخدام الموجات فوق الصوتية أو أشعة الليزر.. وكلها تقوم بما كان يجب أن تقوم به أنت من حركة وتقوية للعضلات.

ومدرسة ثانية تستخدم المغناطيس. وقد جربتها في باريس مع البروفسور بارون ومع الطبيب المصري ألبير طانيوس. فهناك اعتقاد إن الجسم به طاقة مغناطيسية ليست موزعة توزيعًا سليمًا. ومهمة هذه المدرسة إعادة توزيع هذه الطاقة باستخدام قطع ممغنطة وإلصاقها بعض الوقت بأماكن الألم في الجسم.

ومدرسة ثالثة هي مدرسة الطاقة.. أي أن في الجسم الإنساني طاقة تحتبس لأسباب ما في بعض الأماكن تنطلق في أماكن أخرى. وهذا هو الذي يسبب الألم. ويجيء الطبيب أو المعالج وعن طريق طاقته هو يعيد توزيع الطاقة في جسمك. كما فعلت لي الطبيبة الألمانية اليوغوسلافية برانكا هنا في القاهرة.

والمدرسة الرابعة هي مدرسة التدليك الصيني القائم على معرفة مراكز ونقط القفز على الألم، وهي التي جربتها مع الطبيب الفرنسي

يانيك دريو بدعوة من صديقي المهندس محمد تلاوي. فقد كان هو أيضًا يشكو وبعض أقاربه من أوجاع مختلفة في الظهر والعنق والساق واستضافوا هذا الطبيب الفرنسي أيامًا في القاهرة بدلًا من أن يذهبوا إليه في بوردو بفرنسا. فأحدهم قد استقام ظهره بعد أن كان يمشي منكسرًا وذهب ألم الظهر وألم الساق. وتمددت أنا أمام هذا الطبيب وضغط وشد العنق والذراعين والساقين وقال: بعد أيام لن تشعر بألم.. ولم تمض الأيام التي حددها بعد..

وهناك المدرسة التقليدية بإعطاء المريض عقاقير مكثفة مع الحرص على معاونة هذه العقاقير بالرياضة والسير وتحريك الساقين والذراعين والعنق..

ومشكلتي وآخرين أيضًا أنني أجلس طويلًا إلى المكتب وليس دائمًا تكون جلستي معتدلة أو صحية. ومن هنا أصابتني جلطة الساق فنقلت من إنعاش القاهرة إلى إنعاش باريس. ولو استطاع أي إنسان أن يأكل ويشرب وينام ويكتب ويقرأ ماشيًا أو مهرولًا لكان أصح.. ولأدى ذلك إلى إقفال أبواب هذه المدارس الخمس التي تحاول القضاء على الألم – كيف؟

قلت لك لا أعرف. ولكن هذا ما حدث!

في انتظار المعجزة!

من أهم تقاليدنا الشرقية أننا في انتظار دائم للمعجزة.. وكل أجنبي هو (المهدي المنتظر) والذي يستطيع كل شيء، أما نحن فلا.. بهذه الروح انتظرنا توني بلير رئيس وزراء بريطانيا الذي حقق السلام بين البروتستانت والكاثوليك في أيرلندا الشمالية، فكيف لا يستطيع ذلك بين المسلمين واليهود؟!

ولكن توني بلير أعلن قبل أن يجيء أنه لن يحقق معجزة، وأقصى ما يقدر عليه هو أن يجعل المسافة أضيق بين الأطراف. وعندما جاء قال: لا أنا وحدي أستطيع ولا حسني مبارك وحده يستطيع أي شيء. ما لم تكن هناك رغبة شعبية في السلام. ومن المؤكد أن الشعوب تريد السلام، ولكن لابد من موافقة القادة على ذلك؛ أي أن الشعب وحده لا يستطيع والزعيم وحده أيضًا، ولابد من الاثنين معًا ليتحقق أي نجاح في طريق السلام بين العرب واليهود.

ثم أعلن توني بلير أنه ليس معارضًا للمساعي الأمريكية لأنه يعرف تمامًا أن هذه المحاولات الأمريكية ضرورية ولأنه يعرف الصعوبات فهو يؤيد الإدارة الأمريكية.. وهو بذلك ينسف لعبة قديمة عندنا وهي محاولتنا استخدام دولة ضد دولة أخرى.. وتوسيع الخلافات بينهما ثم لا نجد حلاً لمشاكلنا.. كنا نفعل ذلك مع روسيا

ضد أمريكا..نؤيد روسيا لنبتز أمريكا، وهي لعبة قديمة فاشلة تمامًا ولكن بريطانيا أصدق أصدقاء أمريكا في كل المجالات. ولن نستطيع نحن العرب ممارسة لعبتنا القديمة..

حتى لو أردنا..

أما قضية إيواء الإرهاب في بريطانيا فقد كان توني بلير واضحًا قبل أن يجيء وبعد أن جاء إلينا وسوف يصدر تشريعات تحرم اشتغال أي لاجئ سياسي بنشاط معاد لبلاده، وكان الرئيس مبارك قد حذر كثيرًا من إيواء الإرهابيين الذين سوف ينقلبون على الدولة الحاضنة لهم.. وقد حدث أن الإرهابيين قد عضوا اليد التي أطعمتهم من جوع وآمنتهم من خوف. وقد أكد توني بلير أن تشريعات سوف تصدر لمنع الإرهابيين من دخول بريطانيا أو أن يكون لأي لاجئ سياسي أي نشاط معاد. وبقية أهداف زيارة بلير هي الأهم والأبقى؛ فكلها عن تنشيط التجارة والصناعة بين البلدين.

لأنه
لقيط

الصديق العزيز د. كمال الجنزوري:

استكمالاً لحديث بيننا فإن أمامي الآن شهادات ميلاد 55 طفلاً– 15 بنتًا و40 ولدًا، وفي هذه الشهادات بيانات: أسماؤهم التي وضعها رجال الشرطة، أما الأماكن التي ولدوا فيها فهي هكذا:

أمام مسجد أبو العلا.. تحت كوبري المظلات.. أمام نادي إسكو الرياضي.. على كوبري إمبابة..

بالذمة كيف يمكن أن ننقل شهادة الميلاد مع الطفل إلى أي مكان آخر؟ وكيف يعيش إذا عرف الناس أنه (لقيط).. لقيط يعني: «مجني عليه».. إننا نعاقب البريء بشهادة ليس لميلاده ولكن لموته، وقبل دفنه نجعله ساخطًا مجرمًا على المجتمع الذي ظلمه وعمق عنده الشعور بالانتقام. هؤلاء الأطفال في (دار الأمين لإيواء الأيتام) في مدينة 6 أكتوبر، وهذه الدار لا تلقى معونة مادية لا من وزارة الشئون ولا من أي جهة أخرى والمشرفات على تربية هؤلاء الأطفال سيدات يتقاضين 150 جنيهًا في الشهر أي نصف ما تتقاضاه خادمة عمرها 12 سنة في أي بيت. ولكن هؤلاء السيدات لأنهن (بنات ناس) لا يستطعن أن يخدمن في البيوت.. ونعاقبهن مرة أخرى بهذه المرتبات الزهيدة.

وقد رفضت البنوك السماح للأطفال بدفاتر توفير، تصور.. بدعوى أن هـؤلاء الأطفال سوف يصبحون مجرمين، فكيف يتعامل البنك اليوم مع مجرمي الغد؟- كذب، إن البنوك تتعامل مع أكبر أنواع المجرمين في مصر.

قالت لي السيدة عبير عصام رفعت زوجة صاحب عدد كبير من المصانع ومتطوعة لهذا العمل الإنساني.. إن الفلوس ليست هي المشكلة، وإنما المعاملة الإنسانية والحضانة الرسمية لهؤلاء اللقطاء في هذه الدار وفي دور أخرى في مصر.

وفوجئت بطفل صغير يمسك يدي وتكهربت وتقطعت من داخلي. وأفرغت ما في جيبي ليوضع له في دفتر التوفير.. وعرفت أن هذا الطفل وجدوه في الشارع وعمره سنتان، ليس له اسم

ولا أحد يعرف أين ولد.. وبسبب الدقة الرسمية الشديدة عندنا فليست له شهادة ميلاد.

هذا المواطن المصري المسكين لم يولد.. ولا وجود له- تصور!

وفي دور مشابهة يلقى الأطفال معاملة وحشية فيقال لهم : «يا أولاد الحرام.. يا أولاد الزنا».

والعالم كله يعرف أن مستشار ألمانيا فيلي برانت لقيط، وأن عبقري الرسم مايكل أنجلو لقيط، والأديب الفرنسي جان جينيه أيضًا ولا أحد يقول: يا للي أمك .. ويا للي.. أبوك.

عزيزي د. الجنزوري أنا على يقين من أنك سوف ترد اعتبار هؤلاء الصغار الأبرياء.

شكرًا.

سلام
أيرلندا

لابد أن نقارن – رغم الاختلاف الشديد – بين سلام أيرلندا وسلام الشرق الأوسط. فأيرلندا نموذج للصراع التاريخي بين القوميات والمذاهب الدينية. وهي ملحمة طولها مئات السنين. فالأغلبية البروتستانتية في أيرلندا تريد أن تنضم للوطن الأم بريطانيا، والأقلية الكاثوليكية تريد أن تنضم لجمهورية أيرلندا..

وكان من الممكن أن يستمر هذا النزاع الدموي ثلاثين سنة أخرى لولا أن الظروف تغيرت، فالشعب في شمال أيرلندا يريد السلام والحياة الآمنة وقد حاول حزب المحافظين من 25 سنة أن يجعل الحكم مناصفة بين الطرفين، ولكن البروتستانت رفضوا، واستطاعت حكومة العمال بزعامة بلير أن تصل إلى حل وسط ارتضاه الطرفان.

وكانت جمهورية أيرلندا دولة فقيرة، أهم صناعاتها هي تصدير المهاجرين إلى أمريكا. أما الآن فهي دولة غنية متعلمة تريد الحياة الكريمة السوية لأبنائها.. وكانت بريطانيا دولة استعمارية حريصة على الاحتفاظ بشمال أيرلندا.. أما الآن فلا هي استعمارية ولا هي إمبراطورية.

وأهم من كل ذلك أن الرئيس الأمريكي كلينتون قد قامر بمكانته السياسية فاستخدم كل قوته ورجاله في إنهاء هذا الصراع.. وكان

على اتصال تليفوني دائم من ساعة إلى أخرى حتى نجح الاتفاق- تمامًا كما فعل الرئيس جيمي كارتر بين مصر وإسرائيل في كامب دافيد ...

ثم إن الشعور العام في أيرلندا هو الذي حقق هذه المعجزة فالشعب يريد السلام والحياة الآمنة ككل خلق الله. والشعب أيقن أن السبيل الوحيد إلى ذلك هو التوفيق بين وجهات النظر على أساس من التفاوض العاقل المستمر...

أما في الشرق الأوسط فالصراع بين شعبين ودينين «بين إسرائيل وفلسطين» على مساحة صغيرة من الأرض، ولن يتحقق السلام إلا إذا انسحبت إسرائيل تمامًا من الأرض المحتلة في غزة والقطاع. وهذا ما آمن به إسحاق رابين بعيدًا عن الطموح السياسي والهوس الديني ولذلك وقَّع رابين على اتفاقية أوسلو. وقبل أن تموت اتفاقية أوسلو مات رابين. فقد اغتاله أحد المتطرفين الذين أتوا بنيتانياهو الذي لا يريد حلاً، وإنما يريد أن يبقى في السلطة بأي ثمن حتى لو أدى ذلك إلى اغتيال السلام.

وهناك فرق كبير بين السلوك الأمريكي الأيرلندي والسلوك الأمريكي اليهودي.. فالأمريكان من أصل أيرلندي قد ساعدوا على حل المشكلة، أما الأمريكان اليهود فهم يضغطون على نيتانياهو لكي يقاوم جهود أمريكا التي تريد السلام في الشرق الأوسط..

وإذا لم تفعل إسرائيل ما فعلته أيرلندا، فسوف يبقى العنف والدماء خمسين عامًا أخرى!.

عبـد اللـه

ابـن يحيـى العلـوي

يقول لي السيد عزت سعد الدين أحد مقدمي البرنامج العام إنه وقعت في يده نسخة من كتاب لشاعر يمني اسمه عبد الله بن يحيى العلوي، والكتاب عبارة عن قصائد شعرية وتعقيبات لغوية على كثير مما ينشر في الصحف في أوائل السبعينيات. الكتاب عنوانه: (أنيس منصور– آه منه وآه عليه.. نعاني حيًّا وأكلني نيًّا)

ويسألني

فما هي حكاية هذا الرجل؟

أقول لك إن هذا الشاعر كان مندوب اليمَن في الجامعة العربية. وكان الإمام أحمد ملك اليمن لا يقرأ إلا التقارير المنظومة شعرًا؛ ولذلك نظم الشاعر تقريره الشهير، وفيه قصائد عن الذي رآه وسمعه في دورات المياه؟! وذكر الفوارق بين طعام الشعوب اعتمادًا على حاسة الشم القوية عنده؟! وكان من عادة الشاعر العلوي أن يبعث بملاحظاته على الأخطاء المطبعية والنحوية في الصحف المصرية..ويظن– بحسن نية – أنني قادر على إصلاح كل الأخطاء التي تنزلق إليها الصحف!

ولما ضقت به دعوته ليكون ضيفًا على برنامج من إعدادي وتقديمي اسمه (شيء من الفكر) فجلس إلى جواري في الاستديو عندما قلت توفي اليوم الشاعر اليمني عبد الله بن يحيى العلوي وله قصيدة في البراغيث، وأخرى في الصراصير..

أما سيمفونية أصوات دورة المياه فهذا نصها.. وأشارت لي المذيعة سهام صبري تسألني من يكون هذا الضيف الذي لم يتكلم.. وانتهى البرنامج الذي كان يذاع على الهواء، ثم عادت المذيعة تسألني فقلت لها: إنه المرحوم!!

ونزلنا من الإذاعة وودعته، ولم يظهر عليه التأثر أو الغضب.. وكان لابد أن يرد على البرقيات التي تسأل عن وفاته المفاجئة.. ثم فوجئت بظهور هذا الكتاب في الأسواق في مصر والعالم العربي!!

واقترحت على الشاعر العلوي – ما دام قد أيقن من عطف الناس عليه فعرف أهميته عندهم في اليمن وإندونسيا حين سمعوا نبأ وفاته، ولم ينظم أحدهم شيئًا في رثائه – أن ينظم أبياتًا نضعها على قبره، وبالفعل نظم أبياتًا في غاية البذاءة قائلاً: إنني لم آخذ من هذه الدنيا شيئًا، فهي لا تستحق مني أكثر من هذا!

وكانت له إشارات غريبة بيديه! وبصق على الأرض. كأنه يضع نقطة في نهاية القصيدة!

لابــــد
أن تقـــرأ

صدفة – أو هو القدر – أن يقف نابليون يوم 22 يوليو سنة 1798 بقواته أمام الأهرام ويقول: أيها الجنود إن أربعين قرنًا تنظر إليكم من فوق هذه الأهرامات!

أي أن التاريخ يريد أن يرى أمجادكم.. أي أن المصريين القدماء يريدون أن يعرفوا عظمتكم في الانتصار على المصريين المحدثين.

وقد انتصر نابليون على القوات الشعبية المصرية وكان انتصارًا في موقعه، ولكنه انهزم في كل حملته على مصر وعلى الشام!

وفي الوقت نفسه وقف القائد الإنجليزي نلسون في مياه الإسكندرية يقول لجنوده: اليوم أو غدًا سوف يتقرر نهائيًّا: إما أن أكون عضوًا في مجلس اللوردات، أو مدفونًا في مقبرة العظماء!

وانتصر نلسون على نابليون في هذه المعركة، كما انتصر بعد ذلك قائد بريطاني آخر هو ولنجتون في معركة ووترلو – وهو قد ولد في نفس السنة التي ولد فيها نابليون ومحمد علي الكبير.

ونحن لم نحتفل بيوم احتلال الإنجليز لمصر سبعين عامًا.. ولا نحن نحتفل باحتلال الفرنسيين لمصر ودخول الأزهر بخيولهم.، فلا هم ينسون ولا نحن.. ولكن نحن نحتفل بتاريخ العلاقات الحميمة بين الشعبين فقد زارنا قبل الحملة الفرنسية عشرات من الأدباء

والرحالة جاءوا ورأوا وانبهروا وكتبوا وتمنوا.. ونحن نحتفل بصدور الطبعة الأولى من كتاب (وصف مصر).. وبالعثور على (حجر رشيد) ولولا المكتشف الفرنسي الشاب شامبليون ما عرفنا لغة أجدادنا ولا عرفنا معنى هذه الأهرامات.. ثم إن الآلاف بين آثارنا قد انتقلت إلى أعظم وأجمل متاحف الدنيا كاللوفر والمتحف البريطاني ومتاحف برلين وواشنطن وروما ومدريد وموسكو وفيينا.. ولولا حفاوتهم العظمى بالحضارة الفرعونية التي سحرتهم لولاهم ما عرفنا سر عظمتنا وعبقريتنا..

فعندما يذهب الرئيس مبارك إلى باريس ضيفًا رسميًا على الدولة فهو يشارك ويشهد الاحتفال لمصر الحديثة والفرعونية.. الاحتفال بنا وبأجدادنا.. ولا شيء يدل على حضارة الفرنسيين إلا تقديسهم لحضارتنا.. وأكبر دليل على ذلك الهرم الزجاجي واللوفر والمسلات وألوف الكتب والروايات واللوحات والموسيقى..

نحن نخسر كثيرًا إذا لم نقرأ ونتأمل؛ نخسر ماضينا الذي لا يزال باهرًا ساحرًا لكل الناس – إلا لنا!

مبارك والسادات..

فإذا ظهرت صورة الرئيس حسني مبارك، فحقول الورد، والورد من غير شوك.. والذهب في كل أرض وكل جيب ويظن هؤلاء الكذابون أن الرئيس حسني مبارك ساذج لا يعرف أنهم فشارون.

فهو يعرف أن بلاده فيها مشاكل ومتاعب بعدد مواطنيها الذين يزيدون مليونًا كل سنة. هات خطب الرئيس مبارك منذ تولى الحكم. فسوف تجد خيطًا ذهبيًا في نسيجها. هذا الخيط هو أنه يطلب منا العمل والمزيد من الإنتاج.. وهو لا يلح على هذا المعنى وهذا الهدف إلا لأنه لا يجدنا عاملين . ولا يجدنا نساعد الدولة وأنفسنا على أن نطفو ونسبح وأن نتقدم، ففي زماننا من لا يعمل، لا يتقدم، ومن لا يتقدم يموت. وهو لا يريدنا أن نموت..

ثم إن حسني مبارك لم يهبط من المريخ.. إنه فلاح مصري من الطبقة المتوسطة جاء إلى القاهرة ضابطًا وتفوق في عمله وفنه. واختيار الرئيس السادات له لم يكن مصادفة. وقد نقلت للرئيس مبارك أكثر من مرة رأي الرئيس السادات فيه أيام كان نائبًا. وكان السادات يقول– ردًا على الذين يحقدون على حسني مبارك «لو فتشت مصر كلها فلن أجد من هو أحسن من حسني مبارك: إخلاصًا وتفانيًا وحسن تصرف».

وقد صدقت نبوءة السادات.. وحسني مبارك لا يسعده أن يقال له: يا حلاوتك يا جمالك يا عظمتك ويا خيانة ودمار وخراب أنور السادات. إنه لا يصدق ذلك ويمكن الرجوع إلى خطب حسني مبارك، وما قاله عن السادات أخيرًا... والذي قاله من أول لحظة!

ولكن ترزية التاريخ وطباخي السم والمحبظاتية التليفزيونية وصناع القلل والبلاليص التاريخية يستغفلون الملايين.. وبفلوسهم.. أذكر أنه في مؤتمر صحفي طلب مني الرئيس مبارك أن أكف عن الكتابة ضد عبد الناصر وكنت أيامها أنشر مسلسل (عبد الناصر المفترى عليه والمفتري علينا) في (أخبار اليوم) وقلت له: خلاص يا ريس! أنا بدأت مسلسلاً جديدًا..

فقال: عن عبد الناصر؟ لا كفايا!

قلت: لا، مسلسل آخر يا ريس!

ثم قال: كل الزعماء لهم عيوب ولهم مزايا.. ولا أحد يخلو من العيوب! إذن فالرئيس مبارك يعرف التحديات التي تواجه الزعيم فيصيب أحيانًا ويخيب أحيانًا.. فهو لا يصدق هذا النفاق ومسح الجوخ وتزييف وتهييف تاريخ مصر ورجالها وزعمائها وصناعها وتجارها ومثقفيها!

فما الحل؟ طبعًا ليس عندي وحدي!

لأنـــه
رجـل بسيـط

الرئيس مبارك عندما يتحدث إلى المواطنين أو يداعبهم نحن نراه سلوكًا عاديًا. فالرئيس رجل بسيط وهو يستريح إلى هذا الشعور بأنه قريب من مواطنيه وعنده قدرة عجيبة على دقة الملاحظة.. وعندي عشرات الأمثلة على ذلك.. فهو يبدو كأنه (سرحان) عندما ينظر إلى الناس.. والحقيقة أنه يعرف من الذي جاء ومن الذي غاب.. ومن الذي كان يجلس في الصف الأول من سنوات ومن الذي كان يجلس في الصفوف الخلفية..

وندهش كيف يرى ويتذكر كل هذه الأشياء الصغيرة وتلامذته في سلاح الطيران عندهم نوادر وحكايات عن قوة ملاحظته وذاكرته المغناطيسية..

والناس الذين لا يعرفون الرئيس مبارك يخيل إليهم أنه لا يضحك أبدًا!!

بل يضحك ويداعب ويتذكر حكايات ونوادر.. ومن طلع له كرش ومن ارتدى بدلة جديدة وكرافتة شياكة..

طبعًا كل ذلك لا يظهر على الشاشة وهو يحدث الشعب عن همومه ومشاكله ومتاعبه..

وأذكر إحدى الحكايات، فقد داعبني الرئيس قائلاً: رانيا معجبة بك.. وبتسلم عليك. قلت له: يا ريس أنا لا أعرف واحدة اسمها رانيا..

قال: باقولك اسمها رانيا.. ونظرت إلى الرجال حول الرئيس فكانت إشاراتهم أنهم لا يعرفون. فعدت أقول له: تقصد رنا يا ريس؟..

قال : قلت لك رانيا..

والتفت إلى الصديق جمال بدوي فقال لي: يا نهار اسود داحنا متراقبين يا جدعان!

وكان الرئيس يقصد (رانيا علواني) بطلة أبطال السباحة فقد ظهرت في التليفزيون تقول إنها تقرأ لي..

وضحكنا وضحك الرئيس ومستشاروه والوزراء.. والرئيس يلغي المسافات بروحه السمحة ومداعباته وعند الضرورة فهو في غاية الحسم والصرامة.

ولكن غير المصريين يرون في سلوك الرئيس وبساطته شيئًا جميلاً. وأجمل صورة للرئيس مبارك هي انتظاره للفريق المصري عائدًا بكأس الأمم الإفريقية.. كيف انتظرهم.. كيف قبلوه وعانقوه وداعبهم.. كيف هو محبوب.. كيف هو عاشق لشعبه..! كيف أن المسافة بينه وبين الناس معدومة.. فهو أقرب إلى أيديهم وهم أقرب إلى حضنه.. إنه الشعب يعانق رئيسه والرئيس يقبل رعاياه.. وهو صادق في شعوره وهم صادقون في مشاعرهم..

صـــور
لا تنســـى..

ثلاث صور لا يمكن أن أنساها:

صورة رجل له وجه مضيء أمام محل سلفبريدج في لندن. كنت ساعتها مرهقًا وعلى مشارف اليأس. والحكاية طويلة عندما وجدت هذا الإنسان - بقايا إنسان - بلا ذراعين ولا ساقين يتطلع بوجه الله كالقمر بشرط أن يكون ورديًّـا.. كيف تكون ابتسامته هكذا رايقة راقية، وهو لا يملك شيئًا في هذه الدنيا. إنها إرادة الحياة التي هي أقوى من الموت.. أخجلني أن أكون بذراعين وساقين أمشي وأروح وأجيء.. ومش عاجبني!

الصورة الثانية: في إعلان في شبكة (سي. إن. إن) عن معونة الأمم المتحدة. إنها طفلة زنجية تنظر بهدوء وخوف ثم تبتسم في خجل. أجمل صورة لأجمل طفلة ليس عندها أكل ولا شرب ولا أحد.. ومع ذلك تتفجر على وجهها هذه الابتسامة الجميلة. إنني أنتظر هذا الإعلان وأتلقى هذه الرسالة التي تشيع الأمل وحب الحياة مرات كل يوم.

أما الثالثة فللرئيس كلينتون أقوى رجل في الدنيا جالسًا طالبًا صغيرًا يتأمل ما يقوله واحد مشلول في جزء من مقعد لا يعرف كيف ينطق ومع ذلك يجعل الرئيس والعلماء حوله ورواد الفضاء الأمريكان الذين يتابعونه في (مير) مدينة الفضاء الروسية..

العاجز المشلول الذي سخريته ودعابته هي السلاح السري لمقاومة الموت..؟ إنها صورة العظمة والأمل في أن يظل الإنسان هو الأقوى!

يهمك أن تعرف حكاية (الثوم). فهذا النبات معروف من مئات السنين بأنه مفيد صحيًا ولكن ليس معروفًا بالضبط ما هي الفائدة التي تعود على المعدة والأمعاء والدم من هذا النبات..

ولكن عالمًا ألمانيًا أدرك فائدته.. ولاحظ أثر الثوم على عدد من أصدقائه وجيرانه وتلامذته، هذا العالم الكيميائي الألماني اسمه (كونو ليشتڤير) – الفاء عليها ثلاثة نقط.. ففي سنة 1981 عكف على دراسة الثوم فجعله مسحوقًا وجعله زيتًا. وبدأ يجربه بنفسه ثم في عشرات من الناس.. وبعد ثلاث سنوات من الدراسة في البيت نجح في أن يخلص الثوم من رائحته الكريهة التي لا تفارق الفم والملابس والعرق ثم قدم الاختراع الجديد. وجعل اسمه (كواي) لأنه كان من المعجبين بالفيلم العالمي (جسر على نهر كواي) ورأى أن الثوم هو الجسر إلى الصحة – وذلك بإنقاص الكلوسترول في الدم وزيادة السيولة التي تمنع الجلطة في الأوردة والشرايين وبعد عام واحد من طرح هذا الدواء الطبيعي في الأسواق، كسب مائة ألف دولار.. وبعد سنتين بلغت مبيعات الثوم ألفي مليون قرص وأصبحت شركة هذا العالم الكيميائي الموجودة في برلين أكبر شركة ألمانية لتصنيع النباتات الطبية.

أما الذي صنعه هذا العالم الألماني فهو نموذج للبحث العلمي. فقد جرب الثوم طازجًا ومسلوقًا ومسحوقًا وزيتًا على عدد كبير من الناس. وسجل وحلل وقارن وانتهى إلى نتيجة واحدة هي: أنه مفيد لصحة الدم لا شك في ذلك.

وفي كتاب صدر لهذا العالم الألماني يقول – وهذا هو الأهم: لن تتقدم أية دولة ولن تنجح أية شركة إلا إذا أنفقت الكثير من أموالها على البحث العلمي، والذي نجحت أنا فيه وبأموالي المحدودة وصبري وجهدي الطويل، كان من الممكن أن أحققه أسرع لو كنت أعمل لحساب إحدى الشركات، ولكن بعد أن أصبح عندي مال كثير فإنني قد جمعت عشرات من العلماء الشبان يحققون أحلامهم معي وأنا على يقين من أن نجاحهم مؤكد لأنهم علماء وعندهم طموح ولأن الطريق مفتوح أمامهم إلى ما لا نهاية..

ثم حكى لنا عددًا من الأمثلة لعلماء ألمان كانت عندهم آمال كثيرة ولكن كانت تنقصهم الفلوس.. وسوف يقدم في السنوات القادمة سلسلة من التراكيب مأخوذة من البصل والخس والجرجير.. وسوف يعاود النظر في الذي كتبه الأطباء الفراعنة فهم أساتذة الطب الطبيعي.

عبد الناصر
ومبارك

بين الرئيس مبارك والرئيس عبد الناصر لا وجه للشبه في أسلوب الحكم ولا موقفيهما من الصحافة والحرية ويحاول المزيفون للتاريخ أن يجدوا هناك أوجهًا للشبه..

وأذكر بعد تأميم الصحافة أن جمعنا الرئيس عبد الناصر وسألنا سؤالاً واضحًا وصريحًا: هل تريدون الإبقاء أو الإلغاء للرقابة على الصحف؟ فصرحنا جميعًا وقلنا: بل رقابة يا ريس (آسف.. لقد وقعت غلطة في العبارة السابقة وهي أننا (صرخنا).

والحقيقة أن أحدًا لم يكن يجرؤ على ذلك!)

أما لماذا طلبنا أن يبقى الرقيب في كل صحيفة فلأنه هو الوحيد الذي يعرف ما هو المسموح بنشره وما هو الممنوع، فيشطب كما يريد. أما إذا لم يكن هناك رقيب تعرضت الصحيفة عند الطبع لمن يوقف المطبعة ويمنعها من الصدور..

والأجيال الحديثة، حتى من الصحفيين لا يعرفون معنى كلمة رقيب؛ إنه أي موظف بأي درجة تأتي به الحكومة وتطلب إليه أن يحذف ما يراه.

وفي إحدى الليالي حذف الرقيب صفحتين من مجلة (الجيل).. فما كان من الرقيب إلا أن تفضل مشكورًا وكتب عن الشاعر عبد الحميد

الديب، وظلت المطبعة واقفة ونحن نستعجله أن يكتب ما يشاء وبسرعة ونحن نساعده على أن نملأ الباقي بصور عبد الحميد الديب.. ولم نجد صورًا له فطلبنا إليه أن يضع في المقال أسماء الأدباء: العقاد وطه حسين والحكيم والمازني.. وأي شخص آخر لكي نملأ الصفحة بهذه الصور!

وأذكر أنني داعبت الرقيب وتحدثت بالتليفون على أني جمال عبد الناصر، وبلغ من سذاجة الرقيب أنه صدقني وأنا أقول رأيي في عبد الحميد الديب. فطلب منا صورة كبيرة لعبد الناصر، ولكني اعتذرت له خوفًا على مستقبله.

وقد قلت أكثر من مرة في إذاعتنا وشبكاتنا التليفزيونية وفي الشبكات الأجنبية إن الرئيس حسني مبارك اتصل بي مستنكرًا ما كان يكتبه إحسان عبد القدوس وحسين مؤنس. ولما طلبت من الرئيس أن يلفت نظرهما رفض قائلاً: كل واحد حر يكتب ما يمليه عليه ضميره.. وكلاهما وطني.. ولكني أتحدث كمواطن لا كرئيس جمهورية.. وقد تكرر ذلك كثيرًا والرئيس مبارك في كل مرة يؤكد أنه غاضب على مثل هذه المقالات. ولكنه يؤكد احترامه لكل رأي مهما كان مختلفًا معه.. والرئيس مبارك هو الذي طلب من الصحف أن تخصص صفحات لآراء القراء..

والناصريون المزيفون يقارنون بين عبد الناصر ومبارك. إنها كالمسافة بين الأرض والسماء، أرض السجون وسماء الحرية!

جاجارين
ساذجًا!

أكبر دولة وثنية في العالم الحديث كان الاتحاد السوفييتي السابق.. عبدوا لينين حيًّا وميتًا.. وميتًا كأنه حي لا يموت.. والكرملين هو الفاتيكان.. وكتاب (رأس المال) هو التوراة والإنجيل.. والجنة هي عندما تتوقف عجلات التاريخ عن الدوران على الفاضي، وتتسلطن الطبقة العاملة في الدنيا– وهذا ما لم يحدث.

وإنما تحطم الاتحاد السوفييتي فقامت الجمهوريات في أوروبا وآسيا.. والروس يمزقون الملابس الحريرية البيضاء لكل الذين قدسوهم.. فإذا هم لصوص وخونة ومساطيل وسكارى..

آخر ضحاياهم ذلك الفتى جاجارين (34 سنة) الذي كان أول إنسان دار حول الأرض 108 دقائق، والذي قال عبارته المشهورة: ولكني لم أجد الله! قالها طبعًا للحزب الشيوعي الروسي الذي لا يؤمن بوجود إله.. وهذا الجندي المتواضع ارتفع عن الأرض مئات من الكيلومترات في الكون الذي يتسع لألوف ملايين ملايين الكيلومترات.. وكان أشهر إنسان في الدنيا.. فكيف صعد؟ وكيف عاد؟ وكيف مات؟

إنه لم ينم ليلة الصعود فقد وضعوه على سرير إلكتروني يعدون حركاته ودقات قلبه.. ولكنه من الخوف لم يتحرك بينما زميله رائد الفضاء نيتوف تحرك كثيرًا أثناء النوم. فاختاروا جاجارين..

وكان وراء جاجارين الزعيم خروشوف فلما مات خروشوف وقع ضحية في يدي بريجنيف الذي حطم أسطورته وأسطورة خروشوف، وراح الشاب الصغير الخجول ضحية الجميلات والفودكا.. وهجر زوجته وابنتيه.. قالوا: إنه عاد إلى سلاح الطيران، فسقطت به طائرة حربية لنقص في التدريب ولعيوب في الطائرة وقيل قتلوه، وقيل إنه شرب وشرب حتى سقط من شرفة أحد الفنادق.. وهذا هو سبب الجرح الغائر في جبهته عندما حنطوا جثمانه ليشاهده الباكون عليه في روسيا..

يعني إيه؟

يعني أن وثائق المخابرات الروسية قد جردت روسيا من كل معاني البطولة، فهي تؤكد أن جاجارين لا كان بطلاً ولا كان ستالين ولينين وجورباتشوف.. وغدًا يلتسين! أي لا كانت عندهم مثل عليا ولا قدوة ولا أنبياء ولا آلهة ولا أبطال.. لا في الأرض ولا في السماء.

العندليب

الذين يتحدثون عن (العندليب) الأسمر عبد الحليم حافظ لم يروه – أقصد لم يروا هذا الطائر الذي اسمه العندليب...

ولا يعرفون أين يوجد في مصر.. ولا صورته ولا صوته. ولكن أغلب الظن أن العندليب طائر صوته جميل وعبد الحليم صوته جميل حزين ولابد أن يكون العندليب كذلك وإلا لما وصفنا عبد الحليم حافظ بهذه الصفة.

وعندما أصدر د. طه حسين رواية (دعاء الكروان) أهداها إلى الأستاذ العقاد.. وكان من رأي العقاد أن أحدًا في مصر لم ير هذا الكروان. ولا عرف صوته، ولكن الناس قد توارثوا أن الكروان طائر جميل الصوت وكان من رأي العقاد أن طه حسين كان الأولى به أن يجعل كتابه (دعاء البلبل) لأن البلبل هو الطائر المصري الصميم الذي يسمعه الناس في الريف على الأشجار وفوق الأسطح.. ولكن الكروان مثل العندليب في صوته شجن.. أما البلبل فلا بد أنه طائر سعيد الصوت مفرح الغناء، وليس هذا ما قصده طه حسين في روايته.

ويسمون المطربة صباح (شحرورة الوادي) ونحن نردد وراء اللبنانيين هذه الصفة. ولا أحد منا قد رأى الطائر الشحرور. ولا عرف صوته ولا وجه الشبه بينه وبين صباح، ولكنهم في لبنان يعرفون

ذلك، فصوت صباح من أصفى وأنقى الأصوات اللبنانية وأقواها.. وهي في أغانيها اللبنانية أروع من أغانيها المصرية..

وكان الناس يظنون أن الشحرورة هي الزعرورة.. والأغنية تقول: هيك مشق الزعرورة يا يا أمه هيك.. هيك الحلوة والصورة يا يا أمه هيك..

ولكن الشحرورة طائر والزعرورة زهرة أو ثمرة أو ورقة شجرة.. والمهم ليس الحقيقة العلمية أو النباتية أو الحيوانية وإنما المهم تقريب الصوت الإنساني إلى لحن حيواني.. كروان.. عندليب.. بلبل.. يمامة.. أما صوت الغراب أو البومة فهذا ينطبق على بعض الأصوات الصغيرة التي تشوشر علينا في شبكات التليفزيون من كل العواصم العربية..

وبعض الفنانين مثل (طائر الشوك) الذي يطلق صيحة واحدة في حياته إنها أجمل صيحاته قبل أن يموت.. وذلك حين يدركه الموت يظل يبحث عن شجرة بها شوك.. ويختار أطول شوكة ويلقي بنفسه عليها.. فتنفذ الشوكة في قلبه ليصرخ لآخر مرة.. أجمل صرخاته!

أطفال أمريكا أيضًا!

الرئيس كلينتون وزوجته وابنته كانوا يتحركون في إفريقيا بأربع طائرات جامبو و981 من رجاله ومساعديه من بينهم 400 صحفي، دفع كل واحد منهم عشرين ألف دولار للبيت الأبيض مقابل الانتقال والإقامة و500 مساعد سياسي وإداري وخبراء اتصالات ومفرقعات وعدد من الجراحين ورجال أمن مزودين بالمسدسات والرشاشات وقواعد إطلاق الصواريخ و16 من أعضاء الكونجرس.. أما طائرة الرئيس فهي مدرعة ولا تنسفها الأسلحة النووية من أي نوع.. وفي الطائرات سيارتان مدرعتان للرئيس وأربع طائرات هليوكوبتر وقد تكلفت هذه الرحلة (12 يومًا) عشرين مليون دولار.. وبين حراس الرئيس زنوج في قمة اللياقة وقساوسة سود لهم مهمة التقريب والاعتذار لما ارتكبه الأجداد البيض من تجارة للرقيق وتعذيب لهم من إفريقيا إلى أمريكا.

ووسط هذه الترسانة النووية المنيعة يستحيل أن تنفذ إلى الرئيس أسلحة الإرهابيين المسلمين المتطرفين في السودان وغيرها– هكذا يقولون– ولكن في إحدى ليالي الأسبوع الماضي كانت أصابع تدق على باب غرفة الرئيس، وكان المطلوب أن ينهض الرئيس من نومه، فقد حدث في أمريكا التي يحكمها من قلب إفريقيا شيء يجب أن يعرفه فور وقوعه. وقفز الرئيس من فراشه ليقال له إن طفلين

(12سنة) أطلقا النار فقتلا أربعة أطفال ومدرسًا، وكان جرحاهم بالعشرات. ولم ينم الرئيس حتى رأى صور الأطفال والجرحى وأولياء الأمور على شبكة تليفزيونية خاصة.. فالعنف ليس من القبائل الإفريقية وحدها، وإنما بين أطفال القبائل الأمريكية، وسواء كانت البشرة سوداء أو بيضاء فلون الدم واحد، وكذلك العطش إليه وإراقته دون خوف أو أسف أو ندم..

وواضح أن أمريكا إذا كانت قد نسيت جرائم الأجداد في بيع وشراء وقتل العبيد الأفارقة فإنها لم تنس أنها تأخرت في غزو الأسواق الإفريقية وتحريك الدول البدائية نحو الحضارة الأمريكية: البلوجينز والهامبورجر والأفلام والفيديو والسلاح والتمسك بالديانة المسيحية.. ثم إن الرئيس يريد الناس أن ينسوه قليلاً.

ولكن عند العودة إلى أمريكا يجد البنات الشرسات في انتظاره، أما الشيء العجيب فهو: إذا فرضنا أن الرئيس قد قرص واحدة في خدها من عشرين عامًا فكيف تذهب إلى القضاء بعد كل هذه المدة ولا يسألها القاضي: وأين كنت كل هذه الفترة يا آنسة؟ ولكن القاضي ينظر في شكواها فورًا ويتهم الرئيس.. لأن حق المواطن الأمريكي في الشكوى لا يسقط مهما طال الزمن!

التاريخ ثرثارًا!

بين غضب أمريكا من إسرائيل وإسرائيل من أمريكا، وغضب فلسطين من الجميع وانتظارًا لشفاء «أبو عمار» وبراءة كلينتون وحرص نيتانياهو ألا يتراجع عن أكثر من 1٪، وحتى يكون اغتيال رابين منطقيًّا سوف ينتهي هذا القرن ويذهب نيتانياهو وكلينتون وتجيء حكومة جديدة في إسرائيل وفي أمريكا، وتظهر نغمة رقيقة وأغنية سعيدة تطالب بفتح صفحة جديدة وعفا الله عما سلف..

ومع الصفحة الجديدة يكون الصفح عن صدام حسين وعن القذافي.. وتتحرك وفود السلام بين لبنان وإسرائيل سرًّا وبين لبنان وسوريا، وتنتعش الخناقات البرلمانية بين الأحزاب في إسرائيل وفي الحكومة وتتولد المعارك في شمال العراق مع الأكراد على كل الحدود.

وتظهر (لعبة المياه) - مياه أعالي النيل وجنوب السودان وإثيوبيا.. ومياه دجلة والفرات في تركيا.. وتظهر بوضوح الصيغة الشيطانية التي سوف تستغرق نصف القرن القادم: الماء مقابل السلام.. الماء من تركيا مقابل السلام مع إسرائيل.. والسلام بين دول أعالي النيل مقابل الماء إلى إسرائيل..

وسوف تظهر من تحت الأرض نزاعات في الخليج على الحدود وعلى الجزر وحقوق الإنسان دفاعًا عن الشيعة في سجون دول الخليج

بسبب العنف والاعتداء على الأبرياء.. وسوف تظهر معارك بين القنوات الفضائية ونقد سياسي لكثير من الدول تجعلنا نتساءل من هو الذي يملك هذه القناة وتلك ويضع لها سياستها العربية؟ ومن الذي يحرك من؟ ومن الذي يدفع من؟ ولمن؟

ويسرعة سوف يكون الشرق العربي ميدانًا لمعارك في البر والبحر والنهر وفوق السحاب، وأثناء هذه التوترات النفسية والعصبية (تشتعل) الحرب الباردة بين الأشقاء، وتقع الخلافات الاقتصادية، ويكون ضحاياها من العمال.. وتزحف السياسة وراء الاقتصاد.. ويتوسط الأشقاء بين الأشقاء.. وفي الوقت نفسه لا تملك الدول إلا أن تشتري الأمان بمئات الملايين من ترسانات الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن.. والدول نفسها التي تدعو إلى السلام هي التي تبيع السلاح..

ويموت زعماء ويتوارى آخرون وتتعاظم المشاكل والكوارث وتبحث عن علاج جديد عند أطباء جدد، ويعيد التاريخ نفسه لأنه أعظم ثرثار.. وعلى الرغم من أن التاريخ من صنعنا فإننا ضحاياه!

فاللهم رحمتك..

الرئيس جرسونًا!

هذا الكلام الجميل الذي قاله رئيس وزراء بريطانيا للبرلمان الفرنسي، كان موجهًا إلينا أيضًا نحن العرب.. فقد ألقى رئيس وزراء بريطانيا خطابًا جميلاً بليغًا عميقًا وباللغة الفرنسية. ووصفه الرئيس الفرنسي شيراك بأنه في غاية الروعة والعمق، فقد تحدث بلير عن حياته جرسونًا في باريس من 25 عامًا.

وكيف أنه كان يضع البقشيش في طبق ليشاركه بقية الجرسونات. ثم عدل عن ذلك السلوك الاشتراكي، فقد وجد أنه الوحيد الذي يفعل ذلك.

فضحك اليمين في البرلمان واكفهرت وجوه الاشتراكيين.

ولكن في نهاية خطابه البديع صفقوا له واقفين طويلاً. فقد كان الهدف من وراء الخطاب تعميق الصداقة والمودة بين بريطانيا وفرنسا..

قال توني بلير وهذا هو المهم: وأنا أنظر إلى أولادي وهم يكبرون أريدهم أن يعيشوا في أوروبا كما يعيشون في لندن.. أريدهم أن يعيشوا في أبهة باريس وجمال روما وفخامة فيينا.. نريد عالمًا جديدًا لقارتنا القديمة، لا نريد تكوين ولايات متحدة أوروبية.. لا نريد قارة تتطابق فيها الآراء.. وإنما تتنوع في جمال وسلام ورفاهية!

لقد أفلحت أوروبا بعد عشرات السنين أن تزيل الفوارق بينها، ولكن أن تظل تتحدث تسع لغات وأن تكون بها ممالك وجمهوريات.. كاثوليك وبروتستانت.. هذا هو الذي يجب أن يقال لدعاة السوق العربية الموحدة أو الوحدة العربية الشاملة.. والذين يخافون من الاختلاف ولا يفهمون إلا التطابق التام في وجهات النظر وهو تعبير يدل على سخافة التفكير وفساد المنطق.. كيف نتطابق؟! إن يديك وعينيك وشفتيك وذراعيك وساقيك لا تتطابق جميعها رغم أنها في جسم واحد، فكيف يتطابق الملايين؟ وما الخوف في أن نختلف ونتباعد ونتقارب أيضًا؟ قل لي كيف يتطابق السوداني واللبناني وكيف يتطابق المصري والليبي واليمني والسوري والسعودي والصومالي؟ ولماذا؟

نحن لا نفهم معنى الوحدة أو الاتحاد أو المشاركة فالدول الأوروبية بسبب ما بلغته من تقدم علمي وفهم سليم لطبائع الناس ترى أن الاتفاق ضروري والاختلاف أيضًا، ولكننا نفزع من الخلاف والاختلاف ولا نرضى بما دون (التطابق التام). ولذلك لم نحقق أي شيء في أي شيء مما يعاد ويزاد في جامعتنا العربية التي تتآكل حتى تنقرض!

يــــوم
التـــراث..

من ست سنوات اتخذ (مجلس الدول الأوروبية) قرارًا بديعًا هو اختيار يوم اسمه (يوم التراث الأوروبـي).. تنفتح فيه كل المتاحف والمعالم الأثرية العامة والخاصة لتتفرج مئات الملايين على تاريخ الكفاح الأوروبـي من أجل الأرفع والأنفع والأكثر عدلاً وحرية. وقد وافقت أربعون دولة حتى الآن على يوم التراث الأوروبي.. أو التراث الأوروبي لكل النـاس.

في هـذا اليوم يدخل النـاس متاحف الفن والعلوم والتاريخ الطبيعي والفلك والفضاء مجانًا لأن المعرفة أغلى من كل ثمن..

وقد رأيت في ألمانيا متاحف للعلم الحديث – أي للمحاولات المستمرة للعلماء لتطوير أدوات الحياة والمواصلات.. ورأيت على الباب هـذه اللافتة: نرجو من السادة الـزوار أن يلمسوا كل شيء بأيديهم، أما الذي يلمسونه فهو الأجهزة والآلات التي تطورت، وكان أكثر الذين يفعلون ذلك هم الأطفال. وهم الذين يسيطر عليهم حب الاستطلاع واللعب، وهـذا الاستطلاع واللعب هـو الأب الشرعي للاختراع، فمن الممكن أن يخترع الشاب وهـو لم يكمل دراسته الجامعية، ومعظم المخترعين لم يدخلوا الجامعة – المخترع الأمريكي إديسون الذي بلغت اختراعاته 1500 اختراع، لم ير الجامعة..

فهذه المتاحف تشعل الخيال، وتدفع الأصابع التي تدير الأجهزة في المتاحف إلى اختراع ما هو أفضل – أصغر وأجمل وأرخص وأكثر انتشارًا. إنهم في اليابان يتلقون ملايين الأفكار والاختراعات من كل الشباب، وتدرسها الشركات وتستدعي أصحابها وتمنحهم المكافأة السخية حتى لو لم تشتر منهم الاختراع – ولكن أملاً في أن يبتكروا ما هو أحسن..

والشركات اليابانية تتعاقد مع عشرات الألوف من الطلبة في مدارسهم؛ فهم يكملون دراساتهم ويخترعون ويتقاضون أجرًا على ذلك، والشركات اليابانية تنفق على الاختراع وتشجيعه أضعاف أضعاف ما تنفقه الدولة، بل إن شركة واحدة أنفقت ثلاثة آلاف مليون دولار على البحث والاختراع في عام واحد!!

إنـــه
الســـادات..

لم يحتفل أحد بمرور ثمانين عامًا على مولده ولكن احتفل بذلك رجلان هما المستشار الألماني هلموت شميت والكاتب الروسي سولجنتسن فقد ولدا أيضًا سنة 1918.. فإذا ظهرت صورة السادات فهمنا فورًا أن هذه الصورة هي (اللحن المميز) للدجل والدعارة والشطارة والانفتاح والانفساخ والتفسخ والاستنساخ في الحياة الاجتماعية في مصر والتجارية والصناعية والدعارة السياسية كل ذلك من صنع السادات؟!

وفي السياسة هو الذي قاد العمالة والخيانة والتصفوية للقضية الفلسطينية.. وهو الذي أحرج سوريا التي ترددت في إعدام السادات عندما زارها قبل زيارة القدس التاريخية..

ويوم اغتيل السادات زلزل صوت أم كلثوم الضفة والقطاع وهي تشدو: «افرح يا قلبي»..

ورقص الرئيس القذافي مع أغنية أم كلثوم أيضًا: يا ليلة العيد آنستينا..

وأبو عمار الذي دعاه السادات ليعلن الدولة الفلسطينية من القاهرة، وتكون مصر أول من يعترف بها اتهم السادات ببيع القضية.. وبدلاً من أن يكون أبو عمار رئيسًا لدولة أسعده أن يكون رئيسًا لنقطة

أو مأمور مركز.. وكان الأمل أن يصير رئيسًا بالاحترام والكرامة، ولكنه فضل البساط الأحمر الذي لعق الأرض التي يتغطى بها..

أما مزايا السادات التليفزيونية فهو أنه جعل المصريين على الشاشة يبكون حزنًا وأسفًا على جنات عدن تجري من تحتها الأنهار في عهد عبد الناصر.. ولما طرد السادات الروس من مصر استحق سخط الشيوعيين.. والرصاصة التي لم تصب الرئيس عبد الناصر في الإسكندرية هي التي قتلت السادات بعد ذلك.. رصاصة ضابط من الجيش الذي انتصر به السادات في 6 أكتوبر – نصرنا العسكري الوحيد!

وإذا كان دراويش الناصرية الرسميون يرون أن السادات قد أجرم وعوقب على ذلك باغتياله فسوف يجيء وقت نمحو فيه هذه المسلسلات المهينة كما مسحت تسجيلات طه حسين والعقاد والحكيم وعبد الرحمن الرافعي لنسجل عليها خطب عبد الناصر – فمهاويس الشاشة ليسوا مخلدين في مواقعهم وسوف يلقون عقابًا، وسوف تنفتح ملفاتهم وسوف يغرقهم العار بقدر الكذب الذي يكممون به أفواه الملايين من الساخطين المتعجلين لنهاية كل شيء!

الثــــوم
مــرة أخــرى!

الثوم وأكل الثوم وأشكاله وألوانه كان موضوع عشرات الرسائل من الباحثين في مصر وفي الخارج. وقد عرفت أن في الصيدليات المصرية كل أنواع الثوم: مسحوقًا وزيتًا وبلا رائحة أيضًا. وعرفت أن عددًا كبيرًا من الذين ترى صورهم في الصفحات الأولى يتعاطون الثوم هم وزوجاتهم.

والطبيب الباحث د. هنري أمين عوض يؤكد فوائد الثوم في القضاء على الكولسترول وقتل الفطريات والوقاية من نزلات البرد والتيفود، وفي اليابان يعصرونه في الأذن، ويقلل من الإصابة بسرطان المعدة..

من هيوستون تقول د. فكتوريا الجندي إنها وعددًا من الزملاء قد جربوا الثوم على الكتاكيت والفئران وعلى الزهور.. فاكتسبت الكتاكيت قوة وهدوءًا.. أما أوراق النباتات فقد اكتسبت نضارة وتقول: إن الذي دفعها إلى ذلك هو أنها قرأت في إحدى البرديات أن الكهنة كانوا يأكلون الثوم خارج المعابد.. ثم يلقون ببقايا الثوم لطيور البيت، وأن بعضهم كان يمسح بيده على أوراق الزهور والورود. ولم تقرأ هذا النص على أنه صورة أدبية وإنما على أنه بحث علمي، وقد ثبت لها أنه صحيح مائة في المائة وأنها قرأت بحثها في اجتماع طبي عالمي منذ سبع سنوات.

وجـاء مـن الأخـويـن فريد وشهيد فـرج الله مـن مدينة ميلانو الإيطالية وهما يعملان في تجارة الأدوية من عشرين عامًا أنه توجد في إيطاليا أنواع كثيرة من الثوم.. وأن الإيطاليين يستخدمون الثوم في كل طعامهم، ولكن عندما اكتشف أحد الأطباء الإيطاليين من أربع سنوات فوائد الثوم للمعدة والأمعاء ونقاء الدم وتهدئة المغص والتقلصات ارتفع سعر الثوم حتى أن هناك أغنية ريفية تقول: (ولما زرت البيت بعد سنتين جبت له معايا ثومتين).. وعندما قررنا الهجرة اقترحت علينا أمنا أن نأخذ معنا حاجتنا من الثوم! شوال من الثوم! وضحكنا يومها كثيرًا، واليوم نترحم على أمنا الغالية فقد كانت حكمتها عظيمة.

تقول د. أميلي شوقي جارثيا من الأرجنتين إنها صيدلانية، وفكرت في تصنيع ثوم أطلقت عليه اسم (ثوم للقبلات).. وتقول كما أنه يوجد أحمر شفاه اسمه (روج بيزيه) أي لا تمحوه القبلات، فهي فكرت في تصنيع ثوم بلا رائحة فلا يضيق به أحد عند القبلات.. ولكن هذا الاسم جعل الناس يستخفون به.. ولذلك غيرت الاسم إلى (ثوم الشباب).. آخر كلام: ابتلع ما تشاء من الثوم وبلا خوف!

ليس لقيطًا!

جاءني من السيدة عبير عصام الدين رفعت المشرفة على (دار الأمين لإيواء الأيتام) بمدينة 6 أكتوبر:

شكرًا وألف شكر.. لقد تكاتفت كل الهيئات الحكومية للرد على مقالكم بشأن الأطفال اللقطاء وجاءتنا استجابات سريعة حول كل ما أشرتم إليه وتغيرت كل شهادات الميلاد المذكور فيها أن الطفل (لقيط) وأصبحت شهادة ميلاد عادية كأي طفل، كما وافق بنك الإسكان والتعمير على فتح دفاتر للأطفال للاستفادة بها عند بلوغهم السن القانونية، كما قرر وزير الصحة وقف تسليم الأطفال اللقطاء لأقسام الشرطة وسيتم تسليمهم إلى وحدات رعاية الأمومة والطفولة بسيارة إسعاف خاصة وتطبيق التأمين الصحي عليهم واستخراج بطاقة صحية وتأمينية بالمجان فورًا مع وصول أي طفل عثروا عليه، ثم إن السيدة الفاضلة سوزان مبارك أشارت في حديثها إلى أنها سوف تتولى رعاية الأطفال اللقطاء والدور التي تضمهم بنفسها..

لقد وفرت وقتًا كبيرًا لنيل هذه الحقوق لكل الأطفال المساكين.. وأنا أكرر الشكر للدكتور كمال الجنزوري رئيس مجلس الوزراء وللمستشار طلعت حماد.. فلم يحتج د. الجنزوري إلى وقت طويل لكي

يقتنع بالظلم الذي أصاب أطفالاً كانوا ضحية لأبوين منحرفين.. وكنا قبل قرار د. الجنزوري نعاقبهم على جريمة لم يرتكبوها.. فنحن لا نختار أبوينا، ولا نختار انحرافهما.. وكان الطفل يسمى لقيطًا في شهادة الميلاد. وعندما نفزع من هذه الكلمة كنا نكتفي أيضًا بأن نذكر في شهادة الميلاد أنهم وجدوه أمام الجامع أو تحت الكوبري وتظل هذه الصفة لاصقة به طوال حياته.. فكيف لا ينقلب مجرمًا على الذين ظلموه.. وكيف لا يكفر بالدولة والحياة والناس لأنه مظلوم مرتين: مرة عندما وضعوه في الشارع ومرة عندما سجلوا ذلك في شهادة الميلاد.

شكرًا للوزراء ورؤساء البنوك الذين استجابوا للعدل..

أما شكرنا للسيدة سوزان مبارك على نبلها ، فقد اعتدنا على مثل هذه المواقف الكريمة منها واعتادت هي أيضًا على أن تتلقى الشكر والامتنان.. فكان ذلك حافزًا لها على أن تمضي في طريقها الكريم، وعلى أن نتوجه نحن إليها.. ونعرف مقدمًا رد فعلها السريع عظيم الاحترام...

كـل شـيء ضـــار

المثل الشعبي يقول: فلان له في كل (خرابة) عفريت.. أي أنه يجد شيئًا يخيفه في كل مكان. والأصح أن يقال: له في كل (عمارة) عفريت. وهذا حال كل الناس.

فالماء ضار والهواء، وأشعة الشمس والأدوية نفسها ضارة.

والإنسان هو الذي يصنع ما يخيفه، فإذا كان في أمان اخترع ما يقلقه.. وإذا كان في سلام حمل السلاح.. وإذا كان في صحة أسرع إلى المرض بالإسراف في الطعام والشراب والتدخين والرجيم، وإذا كان لا يعاني من الأرق اخترع المسكنات والمهدئات والمنومات والمخدرات، وتفنن في المخدرات الكيماوية والنباتية والعقائدية.. الدينية والسياسية. وأصبح بعد ذلك سلاحًا خطيرًا ضد الآخرين– هؤلاء الصغار الذين يخدعونهم عن طريق المخدرات من كل نوع أن يقتلوا ويدمروا.

وللخروج من أزمة المخدرات لا بد أن يخترع الإنسان المنبهات.. وبقدر ما يكون التخدير يكون التنبيه.. فالمخدرات تصنع العنف والمنبهات تصنع العنف أيضًا.

وأمل الإنسان في كل عصر أن يجد الدواء الذي يشفي من كل الأمراض: ويظهر النصابون من المشعوذين ومن شركات الأدوية

التي تفاجئ الملايين بدواء جديد ساحر باهر.. وبعد أن تجمع شركة الأدوية ألوف الملايين نكتشف أنها مؤسسة للنصب والاحتيال.

وإذا كانت الميكروبات تتربص بالإنسان وكذلك الأشعة الكونية التي تتسرب من فتحات الأوزون، فإن الكون كله حولنا يتربص بالكرة الأرضية.. ولذلك فكل يوم يؤكد لنا علماء الفلك أن جسمًا فضائيًّا يدور حولنا من ألوف السنين.. وأنه قد حان له أن يستقر على أرضنا.. ولكي يستقر فلا بد من أن يقترب بسرعة هائلة وأن يرتطم بالأرض فإذا ارتطم بالأرض جفت المياه واحترقت النباتات والإنسان وتصدعت الأرض كهوفًا ومقابر جاهزة لكل أشكال الحياة وعندما يتأكد العلماء أن الإنسان قد أصابه الرعب يعودون فيراجعون حساباتهم الفلكية ويؤكدون لنا مرة أخرى أن هذا الجسم الضال سوف يمر بالقرب من الأرض ولن يصيبها.

ومنذ أيام ذهب عالم الفيزياء البريطاني المشلول ستيفين هوكنج إلى البيت الأبيض ليرسم صورة مخيفة أمام الرئيس الأمريكي هي أن الكون يأكل بعضه بعضًا.. فالنجوم تبتلع النجوم: وملايين النجوم مثل ملايين الميكروبات تنهش ملايين النجوم.. والكون يختفي بعضه في بعض كما تختفي الطيور في أجواف الثعالب، والثعالب في بطون الأسود .. والأسود والإنسان يأكلها الدود– إنه شيء رهيب.. بل كل شيء رهيب!

الفهـــرس

مؤلفات الكاتب الكبير

الأستاذ

أنيس منصور

(ا) ترجمة ذاتية:

1 – في صالون العقاد.. كانت لنا أيام.
2 – عاشوا في حياتي.
3 – إلا قليلاً.
4 – طلع البدر علينا.
5 – البقية في حياتي.
6 – نحن أولاد الغجر.
7 – من نفسي.
8 – حتى أنت يا أنا.
9 – أضواء وضوضاء.
10– كل شيء نسبي.
11– لأول مرة.
12– شارع التنهدات.

(ب) دراسات سياسية:

13– الحائط والدموع.
14– وجع في قلب إسرائيل.
15– الصابرا (الجيل الجديد في إسرائيل).
16– عبد الناصر – المفترى عليه والمفتري علينا.
17– في السياسة (3 أجزاء).
18– الدين والديناميت.
19– لا حرب في أكتوبر ولا سلام.
20– السيدة الأولى.
21– التاريخ أنياب وأظافر.
22– الخالدون مائة – أعظمهم محمد (ﷺ).
23– على رقاب العباد.
24– ديانات أخرى.
25– وكانت الصحة هي الثمن.
26– الغرباء.
27– الخبز والقبلات.

(جـ) قصص:

28– عزيزي فلان.
29– هي وغيرها.
30– بقايا كل شيء.
31– يا من كنت حبيبي.
32– قلوب صغيرة.

(د) مسرحيات مترجمة:

** للأديب السويسري فريدريش ديرنمات:
33– رومولوس العظيم.
34– زيارة السيدة العجوز.
35– زواج السيد مسيسبي.
36– الشهاب.
37– هي وعشاقها.
** للأديب السويسري ماكس فريش:
38– أمير الأراضي البور.
39– مشعلو النيران.
** للأديب الفرنسي جان جيرودو:
40– من أجل سواد عينيها.
** للأديب الأمريكي آرثر ميللر:
41– بعد السقوط.
** للأديب الأمريكي تنسي وليامز:

42- فوق الكهف.

** للأديب الأمريكي يوجين أونيل:

43- الإمبراطور جونس.

** للأديب الفرنسي يوجين يونسكو:

44- تعب كلها الحياة.

** للأديب الفرنسي أداموف:

45- الباب والشباك.

** للأديب الإسباني أرابال:

46- ملح على جرح.

(هـ) دراسات نفسية:

47- الحنان أقوى.

48- من أول نظرة.

49- طريق العذاب.

50- ألوان من الحب.

51- شباب.. شباب.

52- مذكرات شاب غاضب.

53- مذكرات شابة غاضبة.

54- جسمك لا يكذب.

55- الذين هاجروا.

56- غرباء في كل عصر.

57- أظافرها الطويلة.

58- هموم هذا الزمان.

59- زمن الهموم الكبيرة.

60- الحب الذي بيننا.

61- عذاب كل يوم.

62- كيمياء الفضيحة.

63- كل معاني الحب.

(و) دراسات علمية:

64- الذين هبطوا من السماء.

65- الذين عادوا إلى السماء.

66- القوى الخفية.

67- أرواح وأشباح.

68- لعنة الفراعنة.

(ز) نقد أدبي:

69- يسقط الحائط الرابع.

70- وداعًا أيها الملل.

71- كرسي على الشمال.

72- ساعات بلا عقارب.

73- مع الآخرين.

74- شيء من الفكر.

75- لو كنت أيوب.

76- يعيش.. يعيش.

77- الوجودية.

78- طريق العذاب.

79- وحدي.. مع الآخرين.

80- ما لا تعلمون.

81- لحظات مسروقة.

82- كتَاب عن كتب.

83- أنتم الناس أيها الشعراء.

84- أيها الموت.. لحظة من فضلك.

85- أوراق على شجر.

86- في تلك السنة.

87- دراسات في الأدب الأمريكي.

88- دراسات في الأدب الألماني.

89- دراسات في الأدب الإيطالي.

90- فلاسفة وجوديون.

91- فلاسفة العدم.

(ح) رحلات:

92- حول العالم في 200 يوم.

93- بلاد الله خلق الله.

94- غريب في بلاد غريبة.

95- اليمن ذلك المجهول.

96– أنت في اليابان وبلاد أخرى.
97– أطيب تحياتي من موسكو.
98– أعجب الرحلات في التاريخ.
99– ماذا يريد الشباب؟
100– الرصاص لا يقتل العصافير.

(ط) مسرحيات كوميدية:

101– مدرسة الحب.
102– حلمك يا شيخ علام.
103– مين قتل مين؟
104– جمعية كل واشكر.
105– الأحياء المجاورة.
106– سلطان زمانه.
107– العبقري.
108– كلام لك يا جارة.
109– فوق الركبة.
110– هذه الصغيرة (وقصص أخرى).
111– يوم بيوم.
112– إنها الأشياء الصغيرة.
113– إلا فاطمة.
114– القلب أبدًا يدق.

(ي) المسلسلات التليفزيونية:

115– حقنة بينج.
116– اتنين.. اتنين.
117– عريس فاطمة.
118– من الذي لا يحب فاطمة؟
119– غاضبون وغاضبات.
120– هي وغيرها.
121– هي وعشاقها.
122– العبقري.
123– القلب أبدًا يدق.
124– يعود الماضي يعود.

(ك) كتب (مقالات):

125– ثم ضاع الطريق.
126– النجوم تولد وتموت.
127– هناك أمل.
128– أحب وأكره.
129– الحيوانات ألطف كثيرًا.
130– مصباح لكل إنسان.
131– أتمنى لك.
132– لعل الموت ينسانا.
133– اقرأ أي شيء.
134– ولكني أتأمل.
135– حتى تعرف نفسك.
136– الحب والفلوس والموت.. وأنا.
137– نحن كذلك !!
138– اللهم إني سائح.
139– كائنات فوق.
140– تعال نفكر معًا.
141– آه لو رأيت !
142– النار على الحدود: لعبة كل العصور.
143– انتهى زمن الفرص الضائعة !
144– هناك فرق.
145– الرئيس قال لي.. وقلت أيضًا – الجزءان الأول والثاني.
146– يا نور النبي.
147– وأنت ما رأيك؟
148– حضارة الإوز والبقر.
149– حلمنا الجميل.
150– ضاع الجيل ضاع.
151– قالوا (الجزءان الأول والثاني).
152– وآخرتها.
153– من أول السطر.
154– أظافرها الطويلة.

155– القلب لا يمتلئ بالذهب.
156– تكلم حتى أراك.
157– الذي خرج ولم يعد.
158– ليلة في بطن الحوت.
159– والله زمان يا حب.
160– أجيال من بعدنا.
161– قلبك يوجعني.

(ل) الترجمات القصصية:

162– رواية (الجائزة) للكاتب الأمريكي أرفنج والاس.
163– (المثقفون) للأديبة الوجودية سيمون دبوفوار.
164– (لو كنت مكاني) للأديب السويسري ماكس فريش.
165– (قصص مورافيا) للأديب الإيطالي ألبرتو مورافيا.
166– (الجلد) للأديب الإيطالي كورتسيو ملبارته.
167– (الجيل الصاخب) للأديب الأمريكي جينز برج.

(م) الترجمات الفلسفية:

168– الفلسفة الوجودية الألمانية – لإميل تسلر.
169– الفلسفة الوجودية الفرنسية – لجان جاك رسو.
170– معنى العدم عند هيدجر وسارتر – لجانيت أردمان.
171– مسرح العبث الفرنسي – لإتيان ماريبو.
172– الفيلسوف الروسي برديائف – لفيكتور لوزتسيف.
173– من كيركجورد إلى مارسيل – لأنطوان بابيف.
174– سيمون دبوفوار تلميذة رصينة – لفرنسواز روسلان.
175 – رسائلها إليه ـ لفرنسواز روسلان.
176– فاشلون لكن نبلاء – لجان ماري روار.
177– ما الميتافيزيقا؟ – لمارتن هيدجر.
178– الوجودية فلسفة إنسانية – لجان بول سارتر.
179– فلسفة حنا أرنت – تلميذة للفيلسوف الألماني مارتن هيدجر – لآدم برجشتاين.
180– كروتشه فيلسوف الحرية – لإيزابيلا دلورنتس.
181– شمعة في كل طريق.
182– أكثر من رأي.
183– معذبون في كل أرض.
184– تعالوا نفكر..
185– معنى الكلام..!
186– اللعب غريزة منظمة
187– في انتظار المعجزة!
188– وأنا اخترت القراءة
189– من أجل عينيها